

المانحله

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٦٨) المجلد (٦١) العام [٦٥] صفر ١٤٢٠ هـ - مايو/يونيه ١٩٩٩م

تاريخ الجلفة السموجية
في عهد الملك عبد العزيز

الغاز الطبيعي ؟!

زمبابوي .. قلب

إفريقيا الذهبي

أهمية الصورة

في القطعة الأدبية

رعاية الطفولة والأمومة

في التراث الطبي

المكتبات

زوار على غير موعد
من الفضاء الخارجي



وقفه مع كتاب ابن مالك

«سبك المنظوم»



قلم

اتجاه حسن .. واتجاه أحسن

فيما قبل الحرب العالمية الثانية انبعثت من بعض الأدباء همسات موفقة تقول بأن الطريق السوي لرفع مستوى التفكير في البلاد، إنما هو باتجاه حملة الاقلام الى ميدان «التأليف» الواسع، بدلا من حشد الجهود في هذا الباب الضيق المحنود: «أدب المقالة والقصيدة».

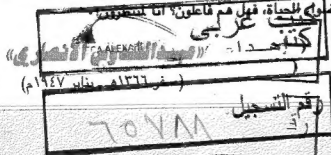
وانزوت الفكرة بعد طغيان موجة الحرب فيما انزوى من مظاهر الادب فلما هدأت الدنيا وانبعثت أصوات الأدب في الأفق من جديد عادت النغمة الداعية الى التأليف من جديد.

والتأليف فن له شروط ولوازم، وله وسائل وروافد، وهو بدون هذه المهيئات عبارة عن «سواد في بياض» ويتمثل في الثقافة الكافية، والبيان المشرق الجميل، وامتلاك ناصية الموضوع، وسمو الهدف... وهذه أمور، وإن كانت محدودة عندها، إلا أن من واجبنا - ونحن نتحضر للحاق بقافلة العالم الحديث في الادب والحياة - أن نتقدم فندلي بدلالتنا، ونساهم بجهودنا فمن سار على الدرب وصل.

وأبينا بحمد الله: قد تخطى «عتبة البداينة الأولى» وقد تخطى معه فن التأليف ذلك الدور أيضا. فقد كان أغلب ما صدر منه قبل الحرب «مؤلفات جمعية». أما بعدها فقد أصبح التأليف «ذا شخصية» بعض الشيء وخاصة في أدب السيرة وأدب الشعر.

وهذه ظاهرة قيمية بالتسجيل، لما تنبىء به من نمو تفكير وتحسن اتجاه... على أن ماضي البلاد القصي والقريب، وأوضاعها القديمة اللاحقة والقائمة وملابساتها على مر الاجيال، وآثارها المطورة ومعالها المجهولة، وموجبات تلخوها في الماضي وموجبات انبعاثها في الحاضر والمستقبل - كل هذه آفاق مشرقة تنتظر الرائدين وتطلّع الى الباحثين والناشرين.

فيحسن بأنبئنا أن يعنوا بها، وأن يشبثوا للعالم تساميمهم للمشاركة في هذا الاتجاه الاحسن، تقدما بالحياة على اعضاء الادب، ونهضة بالادب الى ااضواء الحياة، قبل مم فاعلون! أنا لمتحورون.



خالد خنجر

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للحداقة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية صرب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٢ ت: ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٧٨
- الرياض: صرب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٢٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال -
المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبیه بن عبد القدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبیه الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تصل في العديد من
صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء
الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية
شريفة الرجاء المحافظة عليها.



ثلاث العدد

طبع بمطبع
شركة الهدية الهدية لطباعة والنشر
جدة، الهاتف: ٧٣٩٦٠٠٠، الفاكس: ٧٣٩٦٠٠٠

لقطة الشهر



«كوسوفا ... إبادة عرقية .. تهجير جماعي .. تشريد
ومجاعة .. على أعتاب القرن الحادي والعشرين ..
فهل لهذه المأساة من نهاية!!»

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة
لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويخضع في الاسهامات
عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي
تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة
لمصادر المادة بصورة واضحة.

الفهرس

٤ - أول القيث.

- ١٠ - زوار على غير موعد - د. شذى الركزلي.
- ١٨ - التعريف والتكثير في القرآن الكريم (٢ - ٢) - د. تامر سلوم سلوم.
- ٢٤ - المصطلحات الانشائية والمعيارية في القرآن الكريم - سامي ميري كاظم.
- ٣٢ - في القصص النبوي (٥٤) - د. عبد الباسط حمودة.
- ٣٨ - الاستشراق والظاهرة الاسلامية (٢ - ٤) - د. محمد عمارة.
- ٤٦ - رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي - د. محمد علي البار.
- ٥٤ - سرية الهوى الى دمشق (شعر) - د. بهاء بن حسين عزي.
- ٥٦ - أهمية الصورة في القطعة الأدبية - د. عبد الرزاق حجاج محمد.
- ٦٤ - تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز (١ - ٢) - د. أمين ساعاتي.
- ٧٣ - مجلة السائح العدد (١١٣).
- ٨٤ - الاستخارة الشرعية - د. محمد طاهر حكيم.
- ٩٢ - وارث الأنبياء - عبد العزيز بن صالح العسكر.
- ٩٦ - الفروق في اللغة - د. ياسين بن ناصر الخطيب.
- ٩٩ - أم اللغات (شعر) - إبراهيم الصعبي.
- ١٠٠ - أبعاد الحرب على اللغة العربية - د. محمد السيد على بلاسي.
- ١٠٤ - رحلة في المكتبة (١١) - د. محمد رجب البيومي.
- ١٠٨ - كهفان (شعر) - عمار صبيح التميمي.
- ١١٠ - انتاج واستهلاك الغاز الطبيعي - نايف العبادي.
- ١١٦ - المغنيسيم وأثره في الصناعة الحديثة - معمر بن زهران العبري.
- ١١٨ - الخفاش أقدم رادار في الطبيعة - د. رمضان مصري هلال.
- ١٢٢ - بين السطور - د. عيد الغني عبد الحميد رجب.
- ١٢٦ - من شعراء التراث - د. عبده بدوي.
- ١٣٠ - وقفة مع كتاب ابن مالك المخطوط - د. غنيم غانم الينبعاري.
- ١٣٢ - نكزي حدث صحتي - يعقوب السيد حسنين.
- ١٣٤ - سيمفونية المساء الحزينة - د. احمد عبد المنعم عريود.
- ١٣٧ - مجلة هن العدد (١١٦).
- ١٥٠ - شذرات الذهب - د. أبو حسام.
- ١٥٤ - كتب وإصدارات.
- ١٥٦ - مسك الختام - د. محمد قاسم هرموش.



العدد: (٥٥٨)

الجلد: (٦١)

السام: (٦٥)



منهجية الزمن

ما بين المولد والمات، زمن يستغرق حركة حياة الإنسان بكاملها.

هذا الزمن المستوعب لنشاط البشر على الأرض محسوب بدقة متناهية لكل فرد على وجه هذه البسيطة. ومنهج الاسلام، هو منهج أداء فاعل، يأخذ بيد المسلم - بكل الجد والفاعلية - لكي يفيد إيجاباً من استثمار هذا الزمن (المحسوب بدقة متناهية) لصالحه، ولصالح مجتمعه، ولصالح أمته.

وهذه دوائر متتالية، متلاحقة، تتداخل في بعضها لتشكل دائرة كبرى، تستوعب حركة الحياة عند المسلمين كافة. وحسب الانسان ان يكون مُحَاسِباً، ضمن ما يُحَاسَبُ عليه (عن عمره فيما أفناه).

وهذا العمر هو الزمن - (الثواني والدقائق والساعات، الأيام والأسبوع والشهر، العام والأعوام).

من هذا المنظور، الإنسان في المنهج الاسلامي، منظومة من العمل القوي، والجد الذي لا يفتر ولا ينقضي، وحركة الحياة عند المسلم، ينبغي أن تكون حركة صاعدة، متنامية، مستشرقة للقمّة.

وفي استشرافه هذا يستصحب معه كل دلائل الخير. واقع الحياة التي يعيشها المسلمون الآن، واقع تظلمه سحب داكنة، قاتمة. يحيط بهم الشر من كل مكان. ذلك لأن حركة الحياة عندنا بطيئة وتسير الى غير غاية أو هدف.

وكان لنا أن نكون شيئاً يُهاب ويُحسب له ألف حساب وحساب.

وكان لنا أن نصبح في عالم اليوم (رقماً) من الصعب على الآخر ان يتخطاه.

أما الآن .. وقد أحيط بنا، هل نعيد حساب منهجية الزمن من جديد. لعلنا نفعل شيئاً.

المصدر

في هذا العدد



فقرات مستلة

* المستشرقون الغربيون أدانوا ما صنعه الغرب بالعرب والمسلمين

د - محمد عمارة ص ٣٨

* التراث الطبي الاسلامي كان سبباً في دراسات الأمومة والطفولة

د - محمد علي البار ص ٤٦

* الفن حدث فريد وقدره خاصة لا تمنح من قبل الآخر

د - عبد الرزاق حجاج ص ٥٦

* المعلم: السلم الذي تصعد عليه الاجيال ويبقى هو مكانه

عبد العزيز العسكر ص ٩٢

* المستثمر يمل على تنظيم العربية، وترويج لفتة

د - محمد السيد علي بلاسي ص ١٠٠

* لينهض النساء ما ضلن ان ينهضن، وليهذن الداعون الى نهوضها التواء القصد

د - محمد رجب البيومي ص ١٠٤

* الغفاني أقدم زاهد في الطبيعة

د - رمضان مصري هلال ص ١١٨

* الظم المطو، بالكلمات العذبة، طيب الرائحة

د - أم عمرو ص ١٤٨

الاملايات:

يراجع بشأنها

الإدارة ت: ١٦٢٢١٢٤

١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٢٠١٩٦ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م/ الكويت/ ٢٤١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ النماة ٥٣٤٥٥٩.

معرض الكتاب السعودي خلال مش

المملكة وامراجها وزواها المبرزين في التعليم والفكر والثقافة.

أوائل اعمال المؤلفين السعوديين:

يحتوي على الطبقات الاولى من اوائل اعمال المؤلفين السعوديين. مع التركيز على اوائل المطبوعات التي نشرت قبل ١٣٩٠هـ.

أوائل المطبوعات الحكومية:

يضم ما تيسر من بواكير المطبوعات الحكومية بما في ذلك التقارير والنظم التي تبين تطور الادارة في المملكة من عهد المغفور له الملك عبد العزيز.

أوائل الصحف والمجلات السعودية:

يحتوي نماذج من الصحف والمجلات السعودية في اشكالها الاصلية سواء اكانت جارية أم متوقفة.

في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية أقدم معرض ضخم للكتاب (كماً وكيفاً).

وهذا المعرض يضم بين أروقته الكثير من الكتب والمطبوعات السعودية المنتقاة من حوالي مائة وخمسين ألف كتاب سعودي، إضافة الى عدد من اوعية المعلومات المختلفة، وعدد من اوائل المطبوعات الاصلية مما يمثل حركة التأليف والنشر خلال مائة عام.

يتألف المعرض من الاقسام والاجنحة المتخصصة الموزعة على النحو التالي:

دور قادة المملكة في نشر الكتب:

ويضم الكتب المطبوعة على نفقة ملوك المملكة وامراتها منذ عهد الملك/ عبد العزيز حتى اليوم الراهن.

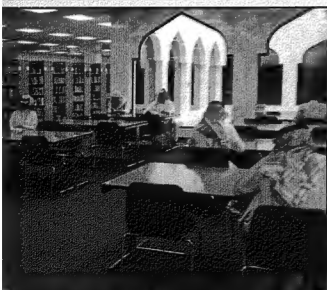
سير وتراجم قادة المملكة:

ويحوى كتب السيرة والتراجم التي تتناول ملوك

المكتبات الوقفية في السعودية

في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة عقدت اعمال ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، واستمرت الندوة ثلاثة أيام قدمت خلالها العديد من الدراسات والبحوث الاكاديمية الخاصة بالمكتبات، ومنها: (الوقف من منظور فقهي - الوقف مفهومه ومقاصده - الأوقاف النبوية في المدينة المنورة، ووقفات بعض الصحابة).

وأهمية هذه الندوة تكمن في ان الوقف يشكل في مجال الكتب والمكتبات لبنة اساسية في نماء الحضارة الاسلامية وتوفير وسائل الافادة من الكتب عبر العصور المتعاقبة. كما تعد الندوة خطوة رائدة في استجلاء الصورة المشرقة لواقع هذه المكتبات في ماضيها المجيد



وحاضرها الزائر ومستقبلها الواعد وبيان ما يشكله الوقف من أهمية كبرى في النهوض بها . ولا تخفى الأهمية البالغة والمكانة المرموقة للكتب والمكتبات وخاصة المكتبات الوقفية الموجودة في بعض

تكريم الأديب محمود عارف



الأعلى للرائد ولأبناء الرائد ومستشاراً لهم فقد كان كبير السن كبير المقام كبير النفس كثير الأناة على غير تعجل. محمود عارف كان شاعراً طويلاً إلى أبعد الحدود تستهوي الموسيقى في كلمة يقرأها في أغنية يسمعها، في قصيدة يكتبها، إنه كما قال عن نفسه:

أنا الوتر الساكن في الهم والأسى
أنا الكوثر المعسول في شفة الصادي
بعد ذلك أنشد الشاعر المعروف الأستاذ يحيى توفيق قصيدة جاء فيها:

أهلاً بطبيب كل الناس لخصاً
العابر الذكر والمحمود أعرافاً
والعارف الشهم من ترجى موبته
من يجهل على الصالح إغداً

كما أرسل الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين كلمة لتكريم الشاعر محمود عارف فقال عنه انه رجل ذو جميل، ولا يكره الجميل ولا ينسأه وهو يحب الخير للجميع كما يحبه لنفسه جم التواضع لا يحسد الذين اتاهم الله من فضله كان العارف في أيام صحته يتفقد اصحابه ويسأل عنهم وإذا أصابهم سوء يعمل على عونهم ويواسيهم.

بعد ذلك قدم الأستاذ عبد العزيز الخلافي رئيس جمعية الثقافة والفنون درج الجمعية لابن الشاعر العارف الأستاذ حسين محمود عارف داعياً للشاعر الكبير بالمرز من الصحة والتألق متمنياً له حياة سعيدة.

أقامت جمعية الثقافة والفنون بجدة حفلاً تكريمياً للشاعر المبدع محمود عارف بمسرح مدينة الملك فهد الساحلية.

وقد تخلل هذا التكريم ورقتان تقيديتان قدمتا دراسة تحليلية لتجربة

العارف الشعرية.

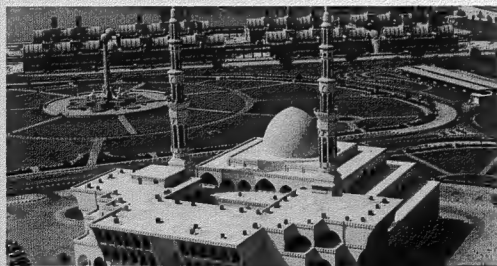
إحدهما: للدكتور عبد الله المعقل الأستاذ بجامعة الملك سعود.

وثانيتها: للدكتور عبد الله المعطاني رئيس اللجنة الثقافية.

ويعد هاتين الورقتين جات مشاركة نخبة من الأبناء والشعراء ليقدموا كلماتهم.

قال الأستاذ عبد المقصود خوجة: لقد أعطى الشاعر محمود عارف الكثير في دواوينه التي رافقتنا في الحل والترحال وعطرت ليالي عشاق الشعر واستوعبت كل أحاسيسنا ومشاعرنا من خلال دواوينه.

أما الدكتور عبد الله مناع رئيس تحرير مجلة الإعلام والاتصال فقال: تربطني بالأستاذ محمود عارف سنوات طويلة فقد عرفته قبل العشرين من العمر حينما كانت مجلة الرائد على وشك الصدور فكان أول لقاء لي معه وكان المثل



بينالي
الشارقة
الدولي
للفنون

١٩٩٩م

العولة، غدت الهاجس الأكبر الممتد عبر زمانية نهاية هذا القرن. ولم يقتصر موضوع العولة على مجالات الاقتصاد والسياسة وحدها، بل امتدت مساحات العولة إلى الفنون والآداب والثقافة، بل حتى إلى الأخلاق وتوجهات الحياة العامة.

منارات ومجالم :

جامعة الملك فيصل بتشاد

تعتبر جامعة الملك فيصل بتشاد مؤسسة اسلامية أهلية علمية أكاديمية ذات منفعة عامة ومن أهم أهدافها اعداد وتأهيل الشباب الدارس باللغة العربية للمساهمة في الدعوة الاسلامية والتنمية الوطنية والمحافظة على الهوية العربية والاسلامية في البلاد .

وأنشئت الجامعة في تشاد عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م بجهود ذاتية تشادية قام بها المهتمون بتطوير التعليم العربي والاسلامي في تشاد .

وقد سميت هذه الجامعة باسم الملك فيصل - رحمه الله - نظرا لما لهذا الاسم من مدلولات حيث كان له الفضل بعد الله سبحانه في إقامة مركز اسلامي أصبح معلما من معالم الحضارة في تشاد في الفترة ما بين ١٩٧٢ - ١٩٧٤م، حيث ترتب على انشاء هذا المركز تطور التعليم العربي والاسلامي مما أدى إلى قيام هذه الجامعة .

وللجامعة نور هام في ربط الحاضر بالماضي وربط الحاضر بالمستقبل للنهوض بمستوى التعليم العربي والاسلامي والفهم الحضاري الصحيح لمقتضيات الحياة .

فهي تهتم بنشر العلم والمعرفة وبناء الانسان بناماً تربوياً إيمانياً يواكب مقتضيات العصر واحتياجات المجتمع وتدعيم أواصر الأخوة بين الناس، وتوثيق علاقة الانسان بماضيه وحاضره ومستقبله في ضوء تعاليم الاسلام .

وتضم الجامعة عددا من الكليات وهي كلية اللغة العربية وكلية التربية ومركز المدينة النورة للكمبيوتر ومركز الخدمات الجامعية وقسم الدراسات العليا .

وتتمتع الجامعة الدرجات العليا التالية: درجة الاجازة العالية الليسانس - درجة بعلوم الدراسات العليا - درجة الماجستير - درجة الدكتوراه، وذلك من قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية والتربية والجغرافيا .

كما تطرح الجامعة مشاريع مستقبلية منها انشاء كلية الشريعة وكلية العلوم والتكنولوجيا وكلية الطب وكلية الاقتصاد والادارة وكلية الزراعة فضلا عن انشاء مبان سكنية خاصة لطلاب الجامعة ولأعضاء هيئة التدريس فيها .

بركة القنوة

سعادة الأستاذ الفاضل الأديب/
رئيس تحرير مجلة المنهل الفراء -
يحفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فانه من دواعي الفخر والاعتزاز
أن نرى مجلتنا المنهل وهي في عامها
الخامس والستين تسير في خطى ثابتة
ملينة بالشباب والحيوية ترتدي ثوب
العلم والمعرفة جيدة في طباعتها
وإخراجها، تزود القاريء بشتى أنواع
الثقافة .

ومع بزوغ فجر المحرم العام
١٤٢٠هـ تصفحت صفحات مجلتنا
الغنى بشغف وارتواء، فوجدت فيها
ضالتي التي طالما أسعى إليها، إذ
أنها تحتوي على موضوعات دينية
وثقافية وعلمية من شتى أنواع
المعرفة .

ومما أعجبتني في هذا العدد ما
كتبه الأستاذ الدكتور/ محمد عامر
في سلسلته الجديدة تحت عنوان
الاستشراف والطائفة الاسلامية التي
يوضع فيها آراء المستشرقين تجاه
الاسلام والمسلمين .

وطفت ورحلت مع الدكتور/
محمد رجب البيومي في سلسلته
الرائعة "رحلة في الذاكرة" .

ولقد أبهجني ذلك الحوار مع
المفكر والأديب الأستاذ أنيس منصور/
صاحب المؤلفات العظيمة ومدى جدية
المصادر - الأخ مصطفى محمد
مصطفى - ومراجعة المصادر في الرد
على الأسئلة التي شملت نواحي
متعددة منها العزلة وأزمة المثقف ثم
أزمة الثقافة وكذلك القنوات الفضائية
هل هي نعمة أم نقمة والحوار في الرد
مجمله يستفيد منه القاريء على
اختلاف ثقافته ومعارفه .

وإني لا أمك في الختام إلا أن
أوجه الشكر إلى القائمين على مجلتنا
المنهل المعطاء .

ودأبنا إلى الأمام والله
يرعاكم .

محكم/ صلاح بن عبد الله بن هندی
- الاحساء -

المذنبات

مكتشفها، وإضافة رقم تسلسل إذا كان للمكتشف نصيباً في اكتشاف أكثر من مذنب. ومن الطريف أن شارل ميسيه (١٧٣٠ - ١٨١٧) لم يكن فلكياً، فقد بدأ حياته العملية مساعداً في تسجيل الجداول الفلكية لفلكي فرنسي، ثم استهواه رصد المذنبات فاكشف خلال حياته ثلاثة عشر مذنباً؛ كما نظم أول دليل للأجسام الفلكية ليستطيع تمييز المذنبات، عند أول ظهورها، عن السدم والتجمعات النجمية وغيرها. ومن أطرف ما يذكر عنه أنه شوهد يبكى بشدة بعد وفاة زوجته، لانشغاله بها في أيامها الأخيرة، مما أدى إلى ضياع فرصة اكتشافه لمذنب سبقه إليه راصد آخر، وكان ذلك بعد اكتشافه لاثني عشر مذنباً. كما ترقم المذنبات أيضاً برقم السنة التي اكتشفت فيها، مثل مُذنب «١٩٧١»، لأول مذنب اكتشف عام ١٩٧١م ومذنب «١٩٧١ ب» لثاني مذنب، وتكتشف حوالي عشرة مذنبات كل عام وهناك حوالي ألف مذنب معروف الآن، اكتشف منها ٤٠٠ قبل اختراع التلسكوب.

ولهواة الفلك حصة الأسد في اكتشاف المذنبات، فبينما يعكف الفلكيون المتخصصون عادة على توجيه تلسكوباتهم نحو أهداف محددة لدراساتها حتى يعلن أحد هواة الفلك كل حين وآخر اكتشافه لزيارة على غير موعد لظاهرة فلكية مفاجئة، مثل مذنب أو انفجار نجم، لتستدير تلسكوبات الفلكيين المتخصصين باتجاه الظاهرة الجديدة لرصدها ودراساتها مؤجلين مشاريعهم التقليدية إلى حين.

وتبقى المذنبات الساطعة عادة عند الأفق بعد

يمر بمجموعتنا الشمسية العديد من الزوار من الفضاء الخارجي من نيازك ومذنبات لا يشعر بزيارتهم سوى الفلكيين من خلال التلسكوبات الضخمة، ولا تجذب هذه الزيارات انتباه الناس عموماً إلا عندما يمكن رؤية مظهرها الباهر في السماء أو بسبب الخوف من اصطدام «الزائر» بالأرض. وتعد المذنبات من أشهر هؤلاء الزوار الذين عرفهم الإنسان منذ القديم. وسُجل تاريخ ظهورهم على الألواح الطينية في العصور البابلية وعلى عظام الحيوانات في الصين منذ آلاف السنين. وآخر هؤلاء الضيوف، قدم في نهاية شهر آذار (مارس) ١٩٩٧م هو مذنب هيل-بوب الذي كان كما توقع الفلكيون من المذنبات الكبيرة التي أمكن رؤيتها بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وهو واحد من ٥٤ مذنباً حلت بها مجموعتنا الشمسية خلال عام ١٩٩٧م.

يهتم الفلكيون، بالإضافة إلى عامة الناس، كثيراً بالمذنبات. وشغل مذنب هالي العالم في عام ١٩٨٦ بسبب بُعد المدة الزمنية بين زيارته لمجموعتنا الشمسية، التي تصل إلى معدل ٧٦ سنة حيث يتسنى للمرء رؤيته مرة واحدة في حياته. وتكتشف العديد من المذنبات من قبل الفلكيين وهواة الفلك ولكن قليلاً منها الذي يقترب من الأرض إلى درجة يمكن رؤيته بالعين المجردة دون الحاجة للتلسكوب. وحفل عام ١٩٩٦م باكتشاف هاوي الفلك الياباني المعروف يوجي هياكوتاكي، في الثلاثين من شهر كيانون الثاني ١٩٩٦م، مذنباً جديداً سُمي باسمه (مذنب هياكوتاكي) أو C/1996 B2 من في منظومتنا الشمسية وكان يرى بالعين المجردة خلال شهري آذار (مارس) ونيسان (أبريل) من عام ١٩٩٦م. وقد دأب الفلكيون منذ اقتراح راصد المذنبات الفرنسي شارل ميسيه على تسمية المذنبات باسم مكتشفها الأول أو

بقلم: أ.د. شذى الدركزلي

جامعة درم - المملكة المتحدة



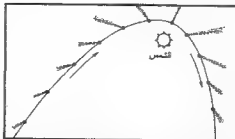
إسهام
في تطوير
علمي البصريات
والفلك. وذكر المؤرخون

العرب العديد من الظواهر الفلكية ومن بينها
المذنبات أمثال ابن القلانسي في كتابه «ذيل تاريخ
دمشق»، وابن الأثير في كتابه «الكامل في
التاريخ» [١].

تظهر المذنبات الضخمة في السماء على شكل
كتلة ضبابية كثيفة يتبعها ذيل مضيء من الغازات يمتد
خلفها إلى مساحة كبيرة من السماء، أما المذنبات
الأخرى فغالباً ما تظهر بشكل كتلة ضبابية صغيرة،
ويتم اكتشاف العديد من المذنبات كل عام إلا أنها
نادراً ما ترى بالعين المجردة، ويتابعها الفلكيون عادة
بالتلسكوبات للدراسة والبحث.

تعرف دورة المذنب بالمدة التي يستغرقها المذنب
ليتم دورة كاملة حول الشمس. والدورة الطويلة تعني
وصول المذنب إلى مسافات تبعد عن أبعد كوكب في
المجموعة الشمسية. ويتغير شكل

المذنب مع تغير موقع المذنب من
الشمس، ويفقد المذنب خلال الدورة
الواحدة، بعضاً من كتلته عند
اقتربه من الشمس، «شكل رقم (١)»
كما يمر بالمجال التجاذبي
(التثاقلي) للكواكب الرئيسية في
المجموعة الشمسية ويؤدي هذا



.. تغير طول واتجاه ذنب المذنب مع موقعه من الشمس.

الغروب بقليل وحتى قبيل الشروق، وإن
كانت هناك بعض المذنبات الضخمة شوهدت أثناء
النهار مثل مذنب عام ١١٠٦م، وكان مذنب عام ١٨٤٢
يرى أيضاً في النهار، وذكر أنه في ٢٨ شباط كان
أسطع ٦٠ مرة من القمر. وفي متابعة لمحّة من فيزياء
المذنبات وما قطفه العلم من ثمار البحوث في النصف
الثاني من القرن العشرين من معلومات عن أشهر
مذنبين، مذنب هالي ومذنب هيل- بوب، يمكن فهم سبب
ولع الفلكيين وهواة الفلك بظاهرة المذنبات الجميلة
والغامضة.

شيء من فيزياء المذنبات:

اشتقت كلمة المذنب Comet اللاتينية من
الاغريقية aster Kometes وتعني النجمة ذات
الشعر الطويل، وهي تسمية
تصف شكل المذنب. ولقد أسماه
الفلكيون العرب القدماء بالكوكب
ذي النؤابة، وأسماه محدثوهم
بالمذنب لوجنود شكل المذنب في
نهايته. وأسهم العلماء المسلمون
خلال العصر الوسيط أعظم

العاملان بالنهاية الى تقليل كتلة المذنب ومن ثم مدة دورته.

والمذنب موقعان يعرف بهما، هما أقرب موقع له من الشمس ويسمى الحضيض الشمسي Perihelion وأقرب موقع له من الأرض Perigee، وتتناسب شدة سطوع المذنب عكسياً مع مكعب المسافة بينه وبين الشمس. وتصنف المذنبات الى نوعين رئيسيين هما المذنبات الدورية Periodic أي المتكررة الظهور، والمذنبات طويلة المدة Long Period. ويضاف حرف C لتحديد نوعية الجسم الفلكي بالمذنب، أو P للإشارة الى عودته الدورية، Periodic، والاخيرة لا تعود إلا بعد مئات أو آلاف السنين، وقد تصل الى ملايين السنين، الى المجال القريب من الشمس، وهي التي سجلت مرة واحدة في التاريخ، ومعظم المذنبات تنتمي الى النوع الثاني، ومذنب هالي هو المذنب الوحيد من المذنبات الدورية التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة، لقد احتوى دليل المذنبات الذي نشر عام ١٩٧٩ على ١٠٢٧ مذنباً منها ٦٥٨ مذنباً يمكن تحديد دورته. يصنف ٥٤٥ من المذنبات ضمن المذنبات الدورية طويلة المدى (دورته تزيد على القرنين)، وحوالي ١١٣ مذنب قصير المدى (دورته تقل عن ٢٠ سنة) وما تبقى (أي ٣٦٩ مذنباً) هو من النوع المتكرر الظهور.

وتزداد بيضوية المدار مع زيادة مدة دورته، وتقترب مدارات المذنبات القصيرة الدورة من الشكل الدائري، فمذنب أينكة مدة دورته ٣٢ سنة، بينما

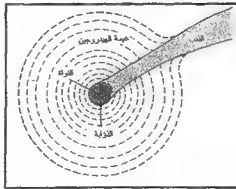
تستغرق دورة مذنب كوهوتيك الذي رصد عام ١٩٧٤م حوالي ١٠٠٠ عام، ومذنب أينكة على اسم يوهان إنكة (١٧٩١ - ١٨٦٥) الفلكي والرياضي الألماني، كان ثاني فلكي بعد هالي يتنبأ بعودة مذنب في عام ١٨٢٢ والذي رصد في أستراليا فسمي بعد ذلك باسمه. ولا يزال يرصد حتى اليوم وقدره الضوئي حوالي ٠.١١ أما مذنب كوهوتيك

فاكتشفه الفلكي التشيكي لوبوج كوهوتيك (١٩٣٥) في ١٨ آذار مارس ١٩٧٣، وظهر بالقدر الرابع في كانون

ثاني/ يناير ١٩٧٤م واستد ذنبه ٢٥ درجة، وكان منظره أقل سطوعاً مما توقعه الفلكيون.

وكان لتطور الفيزياء وعلم الفلك أثرهما في فهم مكونات المذنبات وحركتها، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين وضحت بعض معالم صورة المذنبات بفضل التلسكوبات الضخمة ورحلات الفضاء للأبحاث الفلكية في الربع الأخير من القرن العشرين. واستفاد العلماء من النتائج التي زودتهم بها الأقمار الصناعية التي اخترقت المذنبات العديدة وأهمها مذنب هالي. ويعتبر المذنب أفضل وسيلة للفلكيين لفهم تاريخ الأنفك، لاحتفاظ المذنب بالمواد الأولية المكونة للسدم Nebulae قبل تكون المنظومة الشمسية. وتعد نظرية غيمة أورت التي اقترحها في عام ١٩٥٠ الفلكي الهولندي يان هنتريك أورت (١٩٠٠ - ١٩٩٢) أكثر النظريات قبولا عند الفلكيين اليوم. تفترض هذه النظرية وجود ما يزيد على مئة بليون (أي ١٧/١) مذنباً أو ما يسمى بغيمة المذنبات أو غيمة أورت. يدورون في مدار بعيد عن المنظومة الشمسية، ولم ترصد غيمة أورت بعد، ويخمن الفلكيون أنها تبعد بين ٢٠ إلى ١٠٠ وحدة فلكية عن الشمس، وعند حدوث أي اضطراب في الغيمة بسبب تغير في المجال الثقالي على أثر مرور نجم سريع مثلاً يقتنص أحد المذنبات ويتغير مساره الى مسار يشبه شكل السيكار، تقع الغيمة في إحدى نهايتيه بينما تقع الشمس في النهاية الثانية.

يتكون المذنب من ثلاثة أجزاء رئيسية: النواة، وهي الجزء الصلب الداخلي من المذنب والذي يدور حول الشمس بمدار بيضاوي، والنوابة وهي "رأس المذنب" أو الجزء المضيء والمرئي من المذنب، والمذنب بالإضافة الى غيمة الهيدروجين "شكل رقم ٢".



- تركيب النموذج مذنب.

يُصنّف المذنب الى ثلاثة أنواع اعتماداً على درجة تحدد المذنب ومركبات المذنب الكيميائية:

وهي جزيئات متيائية (مثل أول أكسيد الكربون CO+) للنوع الأول وجزيئات (مثل الكاربون C2)

الهيدروجين التي تحيط
بالنواة تنتج من شطر
أشعة الشمس لجزيئة
الهيدروكسيل OH
وتحرر ذرات
الهيدروجين
الذي ينتشر
في الفضاء
على شكل
غيمة تحيط
بالنواة.

في أوائل
خمسينات
القرن العشرين
اقترح الفلكي
الأمريكي فريد لورنس
ويبل فرضيته لأنموذج نواة
المذنب بأنها «كرة ثلجية متسخة»
وتسمى بكرة
الثلج المتسخة

لتكونها من جسيمات صخرية صغيرة مدفونة في كتلة
غازية متجمدة، ويقطر يقارب بضعة كيلومترات مكونة
من ماء وغازات بسيطة متجمدة، ويختلط مع المركبات
المتطايرة المتجمدة في ثلج الماء حبيبات غبار كوني
بنسب متساوية، وينطلق بفعل الثلج المتخثر كما ينطلق
الصاروخ فكتلة نواة مذنب قطره خمسة كيلومترات
تصل الى حوالي ٥٠٠ مليون طن. وعند اقتراب المذنب
من الشمس تسخن المكونات السطحية لنواة المذنب
مكونة النواة والذنب وغيمة الهيدروجين، ولم تتوفر
قياسات كافية لنواة مذنب هالي وكل ما تم الحصول
عليه كان من النواة والذنب فقط وكما سيأتي ذكره
لاحقاً.

يصبح المذنب مرئياً عندما يقترب من الشمس،
ويتكون الذنب نتيجة تحرير المكونات المتطايرة من نواة
المذنب بسبب حرارة الشمس. ويتكون الشكل المرئي
والمتميز للمذنب نتيجة فلورة وانعكاس ضوء الشمس
من الغازات والجسيمات المتحررة من النواة. وتزداد
كمية المواد المتحررة مع الاقتراب من الشمس وينتشر

للنوع الثاني وغبار حبيبات
معدنية للنوع الثالث.

ويكون ذنب التويعن

الأول والثاني

شبه مستقيم

وضيق

ويصعب

قياس زاوية

تقوسه أما

الثالث

فشديد

التقوس

وعريض.

ويظهر النوعان

الأول والثاني

متصلان في كثير من

الأحيان ويسمى عند ذاك

بذنب الأيونات. ويسبب ضغط

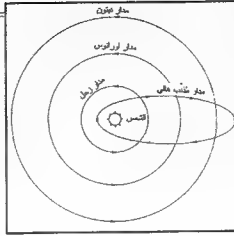
الإشعاع

(السلط على

سما مكتظة بالنجوم والكواكب والشهب

المذنب من الشمس) والرياح الشمسية في دفع الذنب
متبعداً عن الشمس. وقليل من أنواع الجزيئات المكونة
للمذنب هي من الجزيئات المستقرة مثل أول اوكسيد
الكاريون والماء وسيانيد الهيدروجين HCN وسيانيد
المثيل CH₃CN، أما باقي الأنواع التي تقارب
الأربعين فتشمل على جنور حرة شديدة التفاعل مثل
OH, CN وأيونات CH₃, H₂O+ أو ذرات مثل
الأكسجين O والهيدروجين H أو معادن مثل الحديد
والكوبلت والنيكل والنحاس. وأسهمت تحليلات مذنب
هالي في تأكيد وجود نحو ٢٠ نوعاً من الجزيئات
العضوية، وقبل رصد مذنب هالي الدقيق في عام
١٩٨٦ كان من المؤكد أن كتلة صغيرة صلبة تختفي
وراء رأس المذنب المرئي. وبني هذا الاستنتاج من
عودة المذنب للظهور بالرغم من فقدانه لجزء كبير من
كتلته جراء اقترابه من الشمس.

أما النواة فهي كرة من الغاز والغبار الكوني
تحيط بالنواة، وهي مثل الذنب لا تتكون إلا عند اقتراب
المذنب من الشمس. ويعتقد الفلكيون أن غيمة



- مسار مذنب هالي حول الشمس -

هذا المذنب في عام ١٧٥٨ وهو ما حدث فعلاً، ولكن بعد ستة عشر عاماً على وفاته. لذلك أطلق الفلكيون اسمه (بعد وفاته) على هذا المذنب الذي كانت آخر زيارتين له في القرن العشرين هما في عام ١٩١٠ وعام ١٩٨٦م «شكل رقم (٣)».

في عام ١٩١٠ وصل القدر الضوئي للمذنب إلى صفر وأصبح على بعد ١.٥ وحدة فلكية من الأرض، وامتد ذنبه إلى مسافة ١٠٠ درجة في السماء فكان واضحاً، وللمقارنة فإن قطر البدر يمتد نصف درجة، أما في عام ١٩٨٦ فقد وصل الحضيض الشمسي في ١٩٨٦/٢/٩م وأقترب من الأرض إلى مسافة ٠.٤٢ وحدة فلكية في ٤/١١، ووصل القدر الثالث وامتد ذنبه إلى مسافة عشر درجات فقط، ولم يكن واضحاً في نصف الكرة الشمالي.

توقع علماء الفلك عودة مذنب هالي واستعدوا للقائه بسنوات عديدة قبل اقترابه من الأرض. وبالرغم من حسابات المسار المتوقع فقد فشل الفلكيون في رصده لمدة خمس سنوات حتى تمكن من اكتشاف مسباره، في الساعات الأولى من صبيحة ١٦/١٠/١٩٨٢، بإجتان من معهد كاليفورنيا الثقافي في مرصد بالومار فتوجهت التلسكوبات نحو الموقع لترصد المذنب وتتابعه حتى عام ١٩٨٩. كان قدوم مذنب هالي سبباً في الحصول على كم كبير من المعلومات عنه بصورة خاصة وعن المذنبات بصورة عامة. فقد انطلقت ست رحلات فضائية خصصت لدراسة مذنب هالي من مواقع مختلفة. كانت اثنتان من الرحلات سوفيتية Vega 1 و Vega 2 التي رصدت المذنب من بعد ٨٠٠٠ كم عن النواة، واثنان يابانية Sakigake و Suisei واثنان أوروبية، أقربهما القمر الصناعي جيوتو الذي أطلقته وكالة الفضاء الأوروبية European Space Agency (ESA) التي تشترك بها إحدى عشرة دولة أوروبية،

غلاف مضاء للنواة، وهو النواة، التي قد تمتد إلى عدة آلاف من الكيلومترات وقد تصل إلى الملايين. ويتنشر قسم من المواد المتحررة إلى مئات الملايين من الكيلومترات على شكل ذنب. ويؤثر ضغط الإشعاع على ذيل الغبار وتؤثر الرياح الشمسية، المنطلقة بسرعة مئات الكيلومترات في الثانية من الشمس، على ذيل الأيونات فينتجه الذنب مبتعداً عن الشمس. وإن كان الذنب لا يكون دائماً مصاحباً للمذنب. ويتعد ذيل الأيونات، وهو ضيق ومستقيم، عن ذيل الغبار، وهو عريض ومقوس، بسبب اختلاف سرعتهما. فسرعة الغبار أقل من سرعة الأيونات. ويفقد المذنب ذيل الغبار بسبب العودة المتكررة للمذنب، كما في مذنب أنك، بينما يبقى ذنب الأيونات المستقيم الأزرق اللون بسبب أيونات أول أكسيد الكربون. أما مذنب هالي وبسبب طول مدة دورته فلا يزال يمتلك ذيل الأيونات الأزرق المستقيم وذيل الغبار الأبيض المائل للون الأحمر، ولبعض المذنبات يكون لونه أصفر شاحباً بسبب نوع المواد المكونة للغبار والتي تسبب استطارة ضوء الشمس عنها.

مذنب هالي: IP/HALLEY

لقد أسهمت حسابات الفلكي الإنجليزي أدموث هالي (١٦٥٦ - ١٧٤٢)، ورسمه مسار العديد من المذنبات باعتماده على نظرية نيوتن للجاذبية، في ترسيخ رأي الفلكي الدنماركي تاكيو براهه (١٦٤٦ - ١٦٠١) من أن المذنبات توجد خارج جو الأرض. ووجد هالي من حساباته أن المذنبات التي ظهرت في الأعوام ١٥٣١ و ١٦٠٧ و ١٦٨٢ أخذت المسار نفسه حول الشمس، وبمدة زمنية يصل معدلها إلى ٧٦ سنة بين كل واحدة منها. لذلك استنتج أنها مذنب واحد يدور في مسار بيضوي حول الشمس ويتكرر ظهوره حسب طول دورته حول الشمس، فكان هالي أول من استنتج العودة المنتظمة للمذنبات، وتوقع عودة ظهور

في ٢٣ يوليو ١٩٩٥ عندما كان على بعد ٧ر٢ وحدة فلكية عن الشمس ويزيد بعده عن ٦٥٠ مليون ميل من الأرض. وكان سبب اكتشافه على هذا البعد الشاسع هو سطوعه العالي غير المألوف. بدأ هذا المذنب مسيرته ضمن المجموعة الشمسية في أواخر آذار/ أغسطس ١٩٩٦ بقدر ضوئي حوالي ٩ وأصبح ثمانية في حزيران/ يونيو

١٩٩٦م وارتفع الى القدر السادس في آب/ أغسطس ١٩٩٦م واستمر قدره الضوئي في الارتفاع حتى وصل أوجه عند أقرب مسافة له من الأرض (١ر٣٢ وحدة فلكية) في ٢٢ مارس ١٩٩٧، وصل الحضيض الشمسي، أقرب مسافة له من الشمس (٠ر٩١ وحدة فلكية)، في الأول من نيسان/ابريل ١٩٩٧. أمكن عند ذاك رؤيته بالعين المجردة وكان قدره الضوئي -٥ر. في نهاية آذار/ مارس ١٩٩٧، وفاق سطوعه الذاتي (أو القدر المطلق) أسطع مذنب منذ خمسمئة سنة. وعند موازنته مع مذنب هالي نجد أن سطوع الأخير كان بمقدار ٢٣ على البعد الذي اكتشف فيه مذنب هيل - بوب. والمذنب هيل - بوب نواة كبيرة، بسبب نشاط عال لنواته، الذي يعود الى كبر حجم النواة أو كبر حجم جزئها النشط. وامتد ذنب الغاز الى ٢٠ درجة، بينما امتد ذنب الغبار الى ٢٥ درجة، (يقدر قطر البير بنصف درجة تقريباً). وساعد هذا في اكتشافه المبكر والحصول على كمية كبيرة من الأرصاد سبقت اقترابه من المشتري. فدورته قبل دخوله المنظومة الشمسية كانت ٤٢٠٠ سنة وستكون بعد خروجه منها ٢٢٧٩ سنة.

كان قطر نواة المذنب حوالي ٤٠ كيلومترا، وعند اقترابه من الشمس ازداد طول ذنبه قطعي ما يزيد عن ٣٠ درجة. ولم تنج الظواهر الفلكية، مثل الخسوف والكسوف والمذنبات، من نشاط الشركات السياحية واستغلالها. فقد نظمت بعض الشركات سفرات بالطائرة لمدة ٧٥ دقيقة لمراقبة المذنب في ٢٩ آذار ١٩٩٧ بسعر ١٢٥ جنيه استرليني انطلقت من مطار

هيثرو في جنوب لندن، ورحلات بحرية من ساحل فلوريدا في أمريكا لمدة اسبوع واحد من نهاية شهر آذار (مارس) ويكلف ألف دولار أمريكي. فالمذنبات تعد من الظواهر الفلكية «الشعبية» لكثرة اهتمام عامة الناس بها لجمال منظرها في السماء ولما يحيط بها من أخبار وأساطير منذ القدم وحتى يومنا هذا. فكم هو غريب تخيل حالة الأرض قبل ٤٢٠٠ سنة، عند زيارة هيل - بوب السابقة، وأغرب من ذلك صورتها بعد ٢٢٧٩ سنة عند الزيارة القادمة.

لكل مذنب تنبؤات قبل وصوله ومفاجئات بعد مغادرته، وكانت مفاجأة هيل - بوب يوم ١٦ نيسان ظهور ذيل ثالث اكتشفه فريق من الفلكيين في مرصد لابالما في جزر الكناري أولا ثم أكده فلكيون آخرون في مراصد أخرى. فالمذنب كما ذكر سابقا، يتميز بذنين هما ذيل أيوني (ضيق مستقيم وأزرق اللون) وذيل غيباري (عريض مقوس وأبيض اللون أو أصفر شاحب). والذيل الجديد اكتشف بسبب استخدام كاميرا بمرشح خاص للصوديوم، وبذلك كان ذيل «الصوديوم» هو مفاجأة القرن لفلكيي المذنبات وهواتها. امتد ذيل الصوديوم الى حوالي ٥٠ مليون كيلومتر طولا و ٦٠٠ ألف كيلومتر عرضا، عندما كان المذنب في الحضيض الشمسي. يعتقد الفلكيون أن ذرات الصوديوم التي شكلت الذيل الثالث، تنطلق من النواة ومن ذيل الغبار وليس من نواة المذنب. وشكل ذيل الصوديوم دقيق ومستقيم ينطلق من رأس المذنب متجها نحو اليسار أي مبتعدا عن ذيل الغبار. وكان العلماء يعتقدون بوجود ذرات الصوديوم في النواة فقط

الفلكيين واستعانتهم بالحواسيب الضخمة، فإنهم يخفقون في التنبؤ الدقيق بما يحصل للمذنب عند اقترابه من الشمس - ومفاجآت المذنبات عديدة وكثيرة من المذنبات توقع لها الباحثون مظهراً باهراً في السماء، إلا أنها خيبت آمال الفلكيين وعامة الناس كما حصل مع مذنب هياكوتاكي في عام ١٩٩٦م. ولكن مفاجأة هذا المذنب كانت في ارتفاع شدة أشعة رونتجن (الأشعة السينية) التي رصدت لأول مرة من مذنب بواسطة القمر الصناعي الألماني Roentgen Satellite (ROSAT) الخاص بالكشف عن أشعة رونتجن، وقد فاقت شدة أشعة رونتجن ما توقعه الفلكيون بعدة مراتب وألقت بذلك ظلالاً من الشك على نظرية الفلورة التي تعزى إليها إضافة المذنب.

أما مذنب هيل - بوب في عام ١٩٩٧م الأكثر سطوعاً فقد تحفظ بعض العلماء وكانوا أكثر حذراً في تنبؤاتهم لكي لا يخيب أمل الناس و«تتشوه» سمعة العلماء وثقة حساباتهم، خوفاً من أن يبدو المذنب مثل «لطفة» صغيرة بين النجوم الساطعة، مهما كان منظره باهراً بالتلسكوبات الكبيرة. وكانت مفاجأة مذنب هيل - بوب، بالإضافة إلى سطوعه في اكتشاف ذيل الصوديوم الثالث.

إلا أنه من المؤكد أن الإنسان المؤمن عندما يرفع عينيه في ليلة صافية غير ملوثة بأضواء المدن، ويتطلع إلى صفحة السماء الجميلة المزينة بالنجوم والكواكب والسدم والمجرات وأحياناً بالمذنبات أن يجد سوى الشعور بالضعف والضعالة أمام هذا الكون العجيب والإقرار بجمال صناعة الخالق العظيم عز وجل.

المراجع:

- Calder, N. (1992). Giotto to the Comets, London: Presswork.
Comet Hale-Bopp home page: <http://WWW.iac.es/Hale-Bopp/hbtp.html>
Verschuur, G. (1996). Impacts: The Threat Comets and Asteroids, NY: Oxford University Press.
Yeomans, D. K. (1991). Comets: A Chronological History of observation, Science, Myth, and Folklore, New York: John Wiley & Sons.

ولكن انتشار الصوديوم إلى مساحة واسعة في «ذيل الصوديوم» غيرت تلك الفكرة - وتابعت مسيرة المذنب صفحات عديدة من الهواة والفلكيين، في الإنترنت، وبسبب المفاجآت العديدة للمذنبات وصفها أحد الفلكيين بأنها تشبه القطط، لها ذنب وتقلع ما يحلو لها.

خلاصة:

لقد دأب الإنسان على التشاؤم والحذر عند ظهور مذنب، بسبب تزامن ظهور العديد من المذنبات مع حصول كوارث، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر العديد من الرسوم الساخرة عن المذنبات وما يمكن أن تحدثه على الأرض. ويبين الجدول التالي بعضاً من الحوادث والكوارث التي صاحبت ظهور بعض المذنبات:

جدول لبعض الحوادث المصاحبة لظهور مذنبات ضلّمة

تاريخ ظهور المذنب	الحدث المصاحب
٤٤ ق - م	اغتيال يوليوس قيصر
١٠٦٦	غزو النورمانديين لإنجلترا
١١٠٦	الحروب الصليبية
١٦٦٥	وباء الطاعون في إنجلترا
١٦٦٦	حريق لندن الكبير
١٨١١	حروب عديدة في أوروبا
١٩٨٦	١. انفجار مركبة الفضاء الأمريكية تشالنجر ٢. حادثة مفاعل تشيرنوبل النووي
١٩٩٦	كارثة وباء البقر في بريطانيا

إلا أن المتححص لهذه الحوادث يجد أن أضعافها كان ولا يزال يحدث، في مختلف أنحاء العالم، من الأوبئة - بأنواعها العديدة - والحروب والكوارث بصورة مستمرة، فإن تزامن بعضها مع ظهور مذنب فلا علاقة للمذنب بهذا الأمر أو ذلك، ومع ذلك فلا يزال ربط المذنبات بالكوارث ملازماً لها حتى اليوم.

لقد كشفت بحوث المذنبات العديد من أسرارها، إلا أن الغموض لا يزال يكتنفها، مثل مصدرها وموعد عودتها الدقيق وسطوعها. وبالرغم من نة حسابات

التعريف والتنكير في القرآن الكريم

فاجلبوا[١٥]، والابهام - وهو أبعد ما يكون عن المعنى النحوي - خضع لهذا الدافع القريب الذي اقتضاه سياق الكلام وتعلق ببعضه بعض وفي التعريف باسم الإشارة يتجلى هذا المنحى بوضوح في أهمية اسم الإشارة في ربط الكلام واتلاف أجزاء النظم - كما يتجلى في التعريف بالاضافة بالعلاقة بين المضاف والمضاف اليه، وفي وجه الائتلاف بينهما كالتخصيص، والايضاح (التبيين) والملاسة - وهي معان نحوية تعتمد على الاحساس اللغوي القريب والرؤية الذهنية والقياس المنطقي والكشف العقلي للظاهرة.

أما في التنكير فيتمثل هذا الاتجاه النحوي في المعاني الذهنية القريبة التي تفيد التبعيض والتقليل والتكثير والشمول، وعلى نية التعريف ومن أجل تنكير آخر والتخصيص أو النوع، وكلها من معاني النحو وأحكامه وألوانه - فهي في صورتها التي وقف عليها الزمخشري أدوات للإشارة تهدف إلى ايضاح المعنى وتحديد وجهاء الفكرة المتبسة الغائمة لا مواقف وجدانية أو رموز أو تأويلات أساسية.

الكلمات المنكرة مبهمة وهو يستغل هذا الابهام في تلوين المعنى أو تفنيق الامكانات التي ينطوي عليها - ولهذا أخذ يستعين بالمقارنة بين المعاني

هذه الدراسة في حلقتها السابقة تتبعت (التعريف والتكثير) في كشاف الزمخشري، صيفه ومضامينه، والابهام التي ورد فيها، وفي هذه الحلقة تسجل الدراسة ملاحظاتها على ما أورده الزمخشري في (التعريف والتكثير). وأول ما نلاحظه هو أن الزمخشري أعطى للتعريف والتكثير معاني نحوية وأخرى بلاغية، وأن المعنى النحوي كان يحمل في أعماقه المعنى البلاغي، أو أن صورتيهما بدت متداخلة في صنيع الزمخشري، فكثيرا ما كان يقفز من المعنى النحوي إلى المعنى البلاغي أو يتكى عليه في سبيل الانتقال إلى معان بلاغية وأفاق نوقية.

ويعتدل الاتجاه النحوي - في التعريف بال - في وقوفه على معنى العهدية والجنسية والموصولة والثابتة عن المضاف اليه والتي تفيد الابهام، فهو قد سلك بها منحى ذهنيا معيناً أغفل معه كثيرا من الدلالات الوجدانية التي لا يمكن الغض من شأنها أو تقليل قيمتها في مواجهة الأثر الفني - فالقول بالعهد والجنس معنيين قريبان لا يقصد بهما أكثر من التبيين والتجديد.

والموصولة خضعت لفكرة الربط بين أجزاء الكلام وتغليف بعضه ببعض ولهذا لاحظنا كيف أن الزمخشري عطف الفعل - أقرضوا - على معنى الفعل في (المصدقين) من قوله تعالى [إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا][١٤].

كما ضمن ال معنى الشرط ووقعت الفاء رابطة لجوابها من قوله تعالى (الزانية والزاني

بقلم: د. تامر سلوم سلوم
استاذ البلاغة بجامعة الملك فيصل
- السعودية -

ويتكىء على الحجج العقلية والقياسات المنطقية والتحليلات اللغوية القريبة لتوضيح الفروق وإبراز المعاني النحوية في أبهى ثوب عقلى لها.

نشاط الزمخشري محصور في معرفة ما كان يسميه عبد القاهر الجرجاني مزايا النحو وهى «كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها» والمعنى عنده يقوم على هذه الثنائية القديمة: التفرقة بين الجوهر والعرض بين الدائم والمتغير بين الصفة وتقيضها، ولهذا نقرأ في العبارة باستمرار هذا التمييز بين العهد والجنس، بين التبعية والتكثير والشمول وغيرها، المادة واحدة لكن هناك إضافات طارئة نحدد بها المعنى أو نبحث عن توكيده وايضاحه وتخصيصه ومطابقته لفكرة الصواب وسياق الكلام وأجزاء النظم.

ويجاء نقول: أن الزمخشري كان مولعا بالفروق النحوية التى شغف بها عبد القاهر قبله. وأنه كان يلمس الدلالات الأخرى أو يهتدى إليها في ضوء هذه العلاقات النحوية التى ألقت معها كل مدلول نوقى أو احساس جمالى.

ولكن هناك ظاهرة أساسية يهمنى كثيرا أن نشير إليها هى أن المعنى النحوى كان يطل، على معنى بلاغى أو أفاق نوقية - فتعريف الجنس من قوله تعالى (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ينطوى على تعريض [١٦] هذا التعريض يصح أن نقول عنه أنه ملحظ وجداني أو معنى بلاغى، لكنه ينبع من (أل) الجنسية أو من المعنى النحوى القريب ومن هنا نلاحظ أين يكمن المعنى البلاغى ومن أين ينبعث.

ويتمثل هذا المنحى في كثير من الاعتبارات النحوية التى لم تكن تخلو تماما من الاعتبارات الوجدانية كالقول (بال كمالية) أو التى تفيد الكمال

في الصفة، والتى على تأويل التنكير، إذ الانتقال، من الجنس أو العهد الى القول بكمال الصفة والابهام الواسع الذى يحتمله التنكير، يمكن اعتباره في قرب وجدانيا، أو هو انتقال من ظاهرة أساسها نحوى الى ظاهرة بلاغية أو ملحظ وجداني.

وإذا ما انتقلنا الى ضروب التعريف الأخرى فاننا نلاحظ أن المعنى البلاغى فيها أزهى مما كان عليه في (أل).

ففى التعريف باسم الموصول يتمثل هذا الاتجاه في الفروق التى وقع عليها الزمخشري بين التعبير باسم الموصول (ما) واسم الموصول (من) وما يحمله اسم الموصول مع صلته من أصباغ نوقية كالمدح والتفخيم أو الذم والتحقير. وهذه المعانى الجديدة هى التى نقول عنها انها ملحظ بلاغى ولكن يجب ألا ننس أن هذا الملحظ كان نابعا من ملحظ آخر هو اسم الموصول وصلته أى من معنى ذهنى وأساس نحوى.

وفى التعريف بالإشارة نهتدى الى معان وجدانية قريبة من المعانى الوجدانية في اسم الموصول كالتفخيم والتعظيم والاستحقاق، والاستهانة والتحقير والتصغير، وهى معان تنبع من فكرة الربط أو التعليق بين أجزاء الكلام التى يؤيدها اسم الإشارة، أى انها تردت كسابقته الى ملحظ عقلى أو أساس نحوى.

وهذا المعنى البلاغى ينمو نموا ملحوظا في ظل معنى نحوى آخر هو التعريف بالإضافة فنجد التفخيم والتعظيم والتهكم والاستهزاء والاستحقاق والاستعطاف والرحمة والتحسر والمبالغة، ونجد أنفسنا أمام تعبيرات تنم عن احساس نوقى غامض كقوله وهذا أمر لا يترك كنهه - أو - لا يعلم كنهه - أو - له شأن [١٧].

على هذه الصورة نرى الزمخشري ينتقل من المعنى النحوي الى المعنى البلاغي أو يفتش عن أحدهما في قلب الآخر. وغاية ما نقوله هو أن المعنى البلاغي نما وازدهر في ظل المعنى النحوي وأن خيال الزمخشري وأحاساساته الجمالية نمت أيضا وصيغت النص بشيء من لونها وحرارتها.

وإذا ما انتقلنا الى التنكير فإنتا نجد هذا الاتجاه متمثلا في المعاني الثانية التي يفيدها التنكير كالتفخيم والتعظيم والكمال في الصفة أو بما لا يكتنه وصفه أو لوقوعه وراء صفة الواصف، أو كان يدل على التوبيخ [١٨] أو يكون ذا دلالة نفسية كقوله إن هذه النكرة «من أوقع النكرات وأحزنها للمفصل» [١٩] وأن في هذا التنكير إقتناطاً كلياً [٢٠] أو أنه يشير الى اليأس والقنوط والحيرة [٢١].

والواقع أن هذا الملحظ الوجداني نما نموا كبيرا في ظل التنكير الذي يفيد الإبهام. فالإبهام هو المعنى القريب للتنكير وهو المعنى الذي استغله الزمخشري في إثبات أغراض أولى قربية كالتبويض والتكثير والشمول وغيرها، كما بينا. أما هنا فنراه يتجاوز الإبهام الى آفاق شعورية جديدة أو لنقل ان المعنى النحوي ينطوى على معنى بلاغي. فالإبهام في قوله تعالى (ووالد وما ولد) هو الإبهام المستقل بالمدح والتعجب [٢٢] والإبهام في كلمة (أساور) إنما هو لإبهام أمرها في الحسن [٢٣]، وفي كلمة (ساق) «الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة خارج عن المؤلف» [٢٤] وفي (هدى) إبهام «لا يبلغ كنهه ولا يقاير قدره» [٢٥].

وهذه الآفاق الشعورية من الحسن والتعجب والشدة والتعظيم واليأس والحيرة والتوبيخ إنما هي إدراك جمالي تابع من أساس نحوي أو هي احساس فني لدلالة التنكير وتنوع حيوي لأسرار التعبير فيه.

شيء آخر يبقى في هذا الاتجاه هو تردد الزمخشري، أحيانا، بين إثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية. فالكمالية تقرب من آل الجنسية، والتي على تأويل التنكير تختلط بمفهوم المعهدية، والتعظيم في ما الموصولة يختلط بما المصدرية، والتكثير الذي يفيد التكثير والتبويض يختلط بالتنكير الذي يفيد التفخيم والتعظيم، وتنكير الإبهام يختلط بالتنكير الذي يفيد التبويض، والتنكير الذي يفيد الكمال في الصفة أو هو لأمر لا يكتنه وصفه يختلط بتنكير التبويض والتقليل.

وهذا الخلط أو التردد في إثبات أغراض نحوية وأخرى بلاغية يكشف بوضوح أن المعنى النحوي يمكن أن يعيش في قلب المعنى البلاغي وأن المعنى البلاغي يمكن أن يعيش في قلب المعنى النحوي. ويتعبير آخر: أنه لا نستطيع أن نضع حدودا فاصلة بين المعنيين فهما دائما يتبادلان التفاعل والتأثر وأن المعنى النحوي يحمل الحاجة الى المعنى البلاغي وهذا بدوره يحمل الحاجة الى المعنى النحوي. والواقع أن الزمخشري شعر بالتداخل المحير الذي يصل بين هذين الملحظين وبالصلة الفاضلة التي تربط بينهما فخضع لهذا الاحساس والشعور ومن ثم جاءت صورة التعبير عنده مقترنة بهذين المنحيين (المنحى النحوي والمنحى البلاغي) ومؤلفة منهما.

نقد وتقييم:

ونحن إذا أمعنا النظر في صنيع الزمخشري فإننا نلاحظ أنه يعطي لمعاني النحو أهمية خيالية، كل شيء يرتد الى مظاهر النشاط اللغوي وينبع منه. هذه هي خلاصة التعريف والتنكير بكل جزئياته وتعقيقاته.

التجربة الانسانية والعبرة تكمن بما تحتويه اللفظة من مكنون شعورى وبما توحيه في موضعها من خواطر ومشاعر.

فالتنكير من قوله تعالى [انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها] أبعد من التبويض [٢٦] الذى يذهب اليه الزمخشري، فهو معنى قاصر لا ينهض بعبء كبير من الصورة الفنية المرسومة أمامنا. التنكير هو هذا الصدر الربح الذى يحتضن الماء والسيل والزيد، أو لنقل هو هذا الإطار الخارجى للصورة.

ويدخله تبدو المفارقات. الماء وما يرمز اليه من جهة. والزيد وما يرمز اليه من جهة أخرى كل شيء داخل الإطار موح ومتحرك. وجمال التنكير انه يهب لأجزاء الصورة حرية التحرك داخل اطارها. الماء غزير بهطوله وسرعة ملتقاه والأودية تفتح ذراعيها له. ويكاد الصراع يمزق هذه الأجزاء. لولا هذه الكلمة الرقيقة - بقدرها - التى تعيد التوازن للصورة وتمنع الماء هبة الخير والغطاء. صورة الزيد تتجدد دائما لكن سرعان ما تجف وتبدل. عمرها قصير أشبه برحلة الحياة.

كل شيء في الصورة موح ومتحرك والتنكير هو وحده القادر على أن يهب لخيالنا أن يتنوق هذه المدلولات الوجدانية أو أن سر الجمال فيه ينبع من أنه يهبنا القدرة في أن نتلمس هذه الحالات النفسية أو نشاهدها في لوحة أو مشهد من لوحات الطبيعة ومشاهدها الخالدة. والتنكير في قوله تعالى [وأن يحشر الناس ضحى] أبعد من دلالة على نية التعريف [٢٧] أو من الاحساس المعجمي القريب لهذه الكلمة (ضحى).

والواقع أن هذا الصنيع لا ينطوى على جادة حقيقية. اللفظة تعرف الكلمات المنكرة المبهمة وتعرف الكلمات المحددة أو المعرفة. وجهد الزمخشري محصور في تعقب مظاهر الإبهام والتحديد.

هذه الطريقة الفكرية تستغل ما تنطوى عليه مظاهر النشاط اللغوى من أمور كثيرة. فهي لا تصنيف معانى جديدة كل الجدة وانما هي توثق الاشارة الى شيء سابق أو تعيد رسمه بألوان أزهى قليلا.

التعريف والتنكير وكل مظاهر النشاط اللغوى الأخرى لا تصنيف شيئا جديدا وانما نستغل ما فيها من مزايا لا حصر لها. ونحن اذا قرأنا (التعريف والتنكير) وما ورد فيهما من مزايا أو ألوان بلاغية فسنجد الشغف الشديد بفكرة المدح والذم.

اننا نواجه باستمرار التعبيرات التى تشير الى المدح والتفخيم والتعظيم والاستحقاق، أو تلك التى على نقيضها من الذم والتعريض والتوبيخ والاستهزاء. والزمخشري معنور، من الوجهة التاريخية، في ذلك لأن المدح والهجا (أو الذم) هما محورا التفكير في نواتر البحث القديم.

بنية اللغة وبنية النحو يستحيلان الى أسلوب في المدح وأسلوب في الذم، وكل ما أراده الزمخشري هو: أن يتعمق هذه الفكرة ويجد صدى لها في تفتيق جوانب العبارة وبنية اللفظة.

وهذا التزييف في مظاهر النشاط اللغوى يؤول الى اعمال فاعلية الخلق اللغوى وهم الدلالة الكلية للعمل الأدبى بأبعادها المختلفة. فاللفظة أو الكلمة المفردة لا تشير الى معنى أو فكرة فحسب بل هي نسج متشعب من الأحاسيس والمشاعر التى أنتجت

فهو يشير الى الثقة والنصر التي تملأ نفس موسى وإلى الطمأنينة والرضى التي تقعم صدره: أما ذلك المعنى النحوي القريب أو الإحساس اللغوي الميت، الذي يذهب اليه الزمخشري، فلا ينهض بشيء من هذا الإحياء الوجداني «بل ربما كان الأصح أن المعنى في كل استعمال يتجدد تجديدا كلياً، وأننا من أجل ذلك لا نستطيع، مثلاً، أن نقول أن الضحى كلمة تعنى الوضوح والبروز- مثل هذا القول يبسط المعنى أكثر مما ينبغي ويختصره في كيفية أو نعت ويهمل جانباً كبيراً جداً من الارتباطات والمعاني التي اشترك الضحى في النهوض بها.

الكلمة نسج حتى أو هي أقرب الى مجموعة من العمليات، ولا يمكن فهمها بمعزل عن مواقف تجسيدها في الحياة، فتتكرر الغد من قوله تعالى (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) توحى الى معنى أعمق من التعظيم الذي يقول به الزمخشري [٢٨] أو من الإحساس القريب بالزمن الذي يعكسه الإحساس اللغوي.

أما هذا الغد ما سره؟ وماذا يحمل معه؟ فهذا أمر متروك للتذكير الذي يطرق أسماعنا ويتخذ الى مشاعرنا بكل ما أوتي من حيرة- انه رمز للمجهول الذي نطمح دائماً في اكتشافه ورمز للحيرة التي تلقنا أو النكسة التي تعاودنا من حين الى حين عندما نخفق في تحقيق ما نصبو اليه.

ثم أن فاعلية السياق ودلالة التركيب ذاته لهما أثر لا نستطيع أن نتجاهله في الفهم الوجداني لبلاغة التعريف والتذكير وقيمتها النفسية إذ لا يمكن فهم دلالة أى منهما بمعزل عن مساقه أو ينشأ عن الدلالة الضموية للتركيب اللغوي ذاته. فالنص أشبه شيء بالحقل لا يسقط عليه ضوء واحد

دائماً، كما أن ظروف تربته والحشاش التي تكسوه ليست بأية حال واحدة، وفي وسع المرء أن يعبر عن تجارب حياة كاملة بلغة هذا الحقل وألوانه وأصواته المتغيرة. ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقول ان التعريف من قوله تعالى (وليس الذكر كالأنثى) للعهد كما يقول الزمخشري [٢٩] فهو معنى قريب لم يقصد به أكثر من التعمين، وإذا ما عدنا الى قراءة النص داخل سياقه أو في ضوء تربته التي ينمو عليها (رب) إني نذرت لك ما في بطنى محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) فإننا نجد أنفسنا أمام عواطف إنسانية متشابكة داخل النفس، يتعانق فيها الرجاء باليأس والدمعة بالابتسامة، أمام أمنية امرأة عجوز لا يزال في قلبها بقية من فتوة وشباب. والنص كله يكاد أن يكون تصويراً لهذه الحالة النفسية أو لهذه العواطف المتصارعة- رجاءها نحس به في هذا النداء/ رب، وحذف الأداة من هذا النداء رمز لإحساسها بالقرب الذي يبتئها من خالقها. والابهام في ما- ما في بطنى- رمز لحيرتها وأمنيته المشوبة باليأس. والتعبير بهذا الفصل- تقبل- ليس خشوعاً وتضرعاً فحسب بل تحس أننا أزاء ارادة فيها شيء من الضعف، أو هي غصة محرقة تعاودها كلما لمست بيدها صفحة شبابها الذابلة. ثم انظر كيف كور النداء وله هذه المرة طعم جديد فقيه التحسر والأسى وكيف جاءت جملة التأكيد لتزيل الستار عن بقية الأسى في نفسها.

في ضوء هذه الظلال الوجدانية أوفى ضوء ملاحظة هذه الحركة النفسية نستطيع أن نتأمل دلالة ال التعريف التي لا تعدو أن تكون عهداً نفسياً

يعيدنا الى هذه الاحاسيس والمشاعر باستمرار .

بل ربما كانت الاعتبارات النفسية من أصح ما يبنى عليه الفهم الوجداني والنوقى لمدلول التعريف والتكثير فبالملاحظة النفسية تطل أسرار التراكيب ودقائق النظم والتأليف، وبدونها يمس المعنى ساذجا قريبا لا تكاد النفس تلمس أن اليه . ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نقر الزمخشري بالابهام القريب الناتج عن الاحساس اللغوي والذهني للتكثير من قوله تعالى [اقبلوا يوسف أو اطرحوه أرضا] [٢٠] فالقفرة والوحشة في هذه الأرض رمز لقلوب أخوة يوسف المقفرة من العطف والحنان .

وهذا الابهام أقرب الى أن يكون تعبيرا عن هذه العواطف الغامضة البهيمية - عواطف الأخوة المتشابكة - منه الى الاحساس الذهني المجرد .

ومنع الجمال في التكثير هو أنه يتبع الفرصة لخيالنا أن يتلمس جزئيات هذه اللوحة المعبرة ويسمح لنا أن نقرأ فيها هذه الدلالات النفسية العميقة والمواقف الوجدانية المتفاعلة - وهذه هي الحقيقة الفنية - للتكثير - التي يتم التوصل اليها عن طريق المعاناة دائما لا عن طريق الدراسة المجردة .

وغني عن البيان أن التعريف يبيت معه هذه المعاني لأنه يرتد بنا الى أرض محددة معينة تلغي معها هذا الاحساس بالفموض والوحشة والقفرة التي تلمسها في التكثير .

تلخيص:

غاية ذلك كله أن المعاني البلاغية عند الزمخشري كانت ترتد الى مظاهر النشاط اللغوي والى أحكام النحو وعلاقاته وأسرار نظمه التي أعطاها قيمة خيالية كبيرة جدا . وأن هذه المعاني

البلاغية كانت إضافات طارئة لا تحمل معها شيئا جديدا يقدر ما كانت زخرفة أو تلويحا لمعنى سابق . ومن ثم تحولت بنية اللغة ومظاهر النشاط اللغوي الى شيء من هذه الزخرفة والتلوين .

وهذا الفهم القريب أحمل فاعلية الخلق اللغوي وبدا عاجزا عن استيعاب أسرار اللغة ووجوها التي يدق فيها النظر، ومن ثم كان لابد من رؤية جديدة لفهم النشاط اللغوي المتمثل في (التعريف والتكثير) فهما وجدانيا يقوم على إحياء الكلمة وتثوق مدلولها الحيوي، ودلالة التركيب، وفاعلية السياق، ومعرفة القيمة النفسية لهذا النشاط اللغوي وموقعه على النفس .

الهوامش:

- (١٤) الكشف ٤/٦٥ .
- (١٥) الكشف ٣/٤٧ .
- (١٦) الكشف ٢/٥٠٨ .
- (١٧) الكشف ٣/٢٤١ .
- (١٨) الكشف ٣/٣٢٧ - ٣٢٨ .
- (١٩) الكشف ٣/٢٨ .
- (٢٠) الكشف ١/٢٧٩ .
- (٢١) الكشف ٣/٤١٨ .
- (٢٢) الكشف ٤/٢٥٥ .
- (٢٣) الكشف ٢/٤٨٣ .
- (٢٤) الكشف ٤/١٤٧ .
- (٢٥) الكشف ١/١٤٥ .
- (٢٦) الكشف ٢/٣٥٦ .
- (٢٧) الكشف ٢/٥٤٢ .
- (٢٨) الكشف ٤/٨٦ .
- (٢٩) الكشف ١/٤٢٥ .
- (٣٠) الكشف ٢/٣٠٥ .

المصطلحات الإنشائية والمعمارية في القرآن الكريم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبي الأمة سيدنا محمد، المبعوث بالحق والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا يخفى ما يعانيه المرء - أحياناً - إذا أراد الاستشهاد بآية كريمة من القرآن الكريم، للرجوع إلى أحكامه الشرعية في أمور دينه ودنياه. ويزداد الأمر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالبحث عن المفردات والمصطلحات الفنية والهندسية بشكل عام، وما يماثلها من ألفاظ، أو ما يقابلها من كلمات أو مصطلحات كذلك التي نستعملها في كتبنا العلمية ويحوتها أو دراساتها التخصصية.

لقد ياشرت بالبحث بين آيات الذكر الحكيم عن المفردات الهندسية في مجال هندسة العمارة والإنشاء وإني - مع شدة ما عانيت من مشقة البحث والجمع والمراجعة - لا أبرئ نفسي من زلة السهو، فإني أبرأ إلى الله تعالى من خطأ العمد، وأستغفره لما طغى به القلم.

٢- الإنسان والبناء :

منذ وجد الإنسان، وفجر التاريخ، كان الشعور بالحاجة الماسة للسكن (المأوى)، وكان المأوى بدأئياً، حيث لجأ الإنسان القديم إلى اتخاذ الكهوف

القرآن الكريم ينبوع العلوم والمعارف، والإعجاز العلمي فيه واضح في دقته المتناهية في تصوير حقائق الكون الرائعة. وقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته فيه، مئات المرات، وحث على النظر فيما يتعلم منه الإنسان في آيات كثيرة، بل ودعا إلى السير في الأرض والهجرة لطلب العلم، كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت/ ٢٠ (قل سيروا في الأرض فلنظروا كيف بدأ الخلق) .. وقد دعا القرآن الكريم إلى دراسة مختلف العلوم، وإنه حوى أصول هذه الدراسات في مختلف قطاعات العلم. فطلي سبيل المثال نجد أن الآية/ ٣٠ من سورة الأنبياء: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجطنا من الماء كل شيء حي)، قد شملت أهم نظرية في خلق الكون واسمها (نظرية لايفلاس) في خلق السماوات والأرض. وقد بحثت بين آيات الكتاب المبين عن بعض المصطلحات الهندسية الإنشائية والمعمارية التي نستعملها في كتاباتنا الهندسية، وأسهمت في دراسة معانيها اللغوية والهندسية، مع ذكر المصطلح الإنجليزي المرادف لها، من خلال دراسة موجزة لتطور البناء والإنشاءات عبر التاريخ، والذي ارتبط بشكل وثيق بتطور مواد البناء وتقنيات البناء والتشييد.

١- المقدمة:

بسم الله والحمد لله الذي ينفذ البحر قبل أن تنفذ كلماته، سبحانه أنزل الفرقان كتاباً محكماً ناصح البيان، قاطع البرهان. هو العليم الذي لا تحبط قهارس الكائنات بواسع علمه، والحكيم المتعالي الذي لا غور لقاموس حكمته.

بقلم: سامي ميري كاظم

كلية الهندسة - جامعة ناصر *

- ليبيا -



التي بدأت تستخدم لأغراض مختلفة، غير المأوى، كالمعابد والقلاع والقصور ومشاريع الري والجسور والسدود الواقية من السيول... الخ. وقد أدى هذا التطور في الحياة الاجتماعية للإنسان إلى وجود مالكن للأراضي يستغلونها للصيد والري والزراعة والسكن.

وقد ذكر القرآن الحكيم مصطلح (المالك - Prop-erty) ما يملك ويتصرف فيه، والجمع (أمالك)، ويقال (ملك الشيء ملكاً) حازه وانفرد بالتصرف فيه، فهو مالك). وفي التنزيل العزيز: في سورة الإسراء/ ١٠٠ [قل لو أنتم تملكون خزائن]، وسورة يس/ ٧١ [فهم لها مالكون]. وعلى هذه الأرض التي يملكها الفرد... يبنى له مسكناً يلجأ إليه ليجد فيه الراحة والسعادة والأمن والطمأنينة، حيث تردّد مصطلح (السكن Home) المسكن - والجمع (مسساكن) - في ميسور قرآنية عديدة، منها سورة الإسراء/ ١٠٤ [استقوا الأرض]، وفي سورة إبراهيم/ ٤٥ [سكنتم في مسساكن]، وفي سورة التوبة/ ٢٤ [ومساكن ترضونها]، كما وردت مصطلحات مرادفة للسكن، مثل مصطلح (البيت Home): مأوى الإنسان، ثم قيل لما يتخذ للسكنى، والجمع (بيوت)، كما جاء في قوله تعالى في سورة النور/ ٦١ (... من يبنيكم بيوتاً بآبائكم)، وسورة الأحزاب/ ٥٣: {... لا تغفلوا بيوت

(Caves) التي لم يشارك في بنائها، بل كونتها العوامل الطبيعية، مأوى له. وكنيجة لشغف الإنسان، منذ القدم، لاكتشاف العالم الذي يعيش فيه، وتعرفه على أسرار الطبيعة ومخاطرها، استطاع تطويع الطبيعة وصنع الحضارة (Civilization)، فابتدأ يفكر في بناء مأواه بأسهل الطرق، وباستخدام أكثر المواد توفراً لديه، فاستخدم غصون الأشجار وجنوعها لبناء الهيكل البدائي لكوخه، ونسج جدرانه من حصائر أوراق الأشجار، وطور الكهوف الطبيعية ببناء جدران حجرية لها، وبنى الأكواخ الحجرية وسقفها بحجارة مسطحة أو متطاولة منتقاة، وكساهها، وسد الفراغات بينها بالأشجار والطين. واستخدم قاطنو السهول والوديان (الطين) لبناء أكواخهم وخلطوها بالطين فحصبوا على مادة بناء جيدة شيّدوا منها مساكنهم. وعلى نفس المبدأ، استخدم الزراعة جلود الحيوانات وشعورها، فشيّدوا منها خيامهم الخفيفة المشدودة بالخيال والسلة النقل. كما شيّد قاطنو المناطق القطبية الثلجية أكواخهم من قطع الثلج المتجمدة، وكسبوا من الداخل بفراء الحيوانات التي يصطادونها.

ومع تطور المجتمع البشري، وتطور الحياة الجماعية لدى الناس، وظهور التجمعات المستقرة التي تطورت إلى مدن، ظهرت الحاجة إلى تطوير الأبنية

١٠٠. وسورة البقرة/ ١٢٥ [وإذا جئنا البيت مشاة:]: وكذلك مصطلح (الدار Dwelling): المنزل البني، والموضع الذي يسكنه الناس، والجمع (بدر) و (ديار)، وقد ورد في سورة هود/ ٦٥: [٠٠] **تَمْشُوا فِي دَارِكُمْ**، وفي سورة الأعراف/ ٧٨: [٠٠] **فَلْيَصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ**، وفي سورة البقرة/ ٨٤: [٠٠٠] **مَنْ يَبَارِكْكُمْ**، وقد ذكر مصطلح (القصر Palace): البيت الفخم الواسع البني بالحجارة أو نحوها، وجمعه (قصور)، كما جاء في سورة الحج/ ٤٥: [٠٠] **وَقَصْرَ مَشِيدٍ**، وفي سورة الأعراف/ ٧٣: [٠٠] **مَنْ سَهَّلَهَا قَصُورًا** [مثلما أشار التنزيل العزيز إلى مصطلح (عمارة Architecture): ما يَعمُر به المكان، وهو مبنى كبير فيه عدة مساكن في طوابق متعددة، وعمره عبارة، فهو معمور، وقد ورد في سورة التوبة/ ١٩: [٠٠] **وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**، وعمارة المسجد بما يناسبه من إقامة الشعائر والعبادة، وفي سورة الطور/ ٤: [والبيت المعمور].

ومنذ بدء الخليقة، والإنسان دائم الرحيل من مكان لآخر هو وحيواناته، باحثاً عن الخضرة والعيون والماء، فإذا وجدها في مكان ما، بدأ في استيطانه واستقر فيه، وأنشأ ما يعرف بالتجمع العمراني. وقد ورد ذكر مصطلح (الماء Water) في سورة الأنبياء/ ٣٠: [٠٠] **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**، وفي سورة البقرة/ ٧٤: [٠٠] **فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ**، وفي سورة الحجر/ ٢٢: [٠٠] **فَإَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**، وقد ذكر مصطلح (العيون Springs)، قالوا: عين الماء، تشبيهاً لصفائها ومائها الجاري. كما جاء في قوله تعالى في سورة يس/ ٣٤: [٠٠] **وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنِ**، وفي سورة القمر/ ١٢: [وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا]، وفي سورة الحجر/ ٤٥: [٠٠] **فِي جَنَّاتٍ وَعَيْنٍ**.

وقد تشكلت من هذه البيوت والمساكن قرب منابع المياه والعيون، المستعمرات البشرية والعمرانية التي أصبحت بؤرة لنشأة القرية، ومن نجم القرى تكونت المدينة، ومن هذه المدن، تكونت الأمصار والبلدان. ولم تنشأ القرى أو المدن ولم تتطور بشكل عفوي، إنما كان نموها نتيجة جملة من العوامل الاستراتيجية المتعلقة

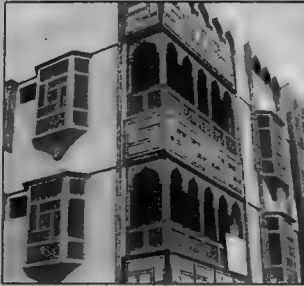
بالموقع والموضع والعوامل الاقتصادية والسياسية. وكانت المدينة في كل العصور رمزاً للعمل والزراعة والأمان، فهي تتفاعل مع المناطق المحيطة بها، وهي نقطة التقاء وتجمع للطرق وخطوط المواصلات والمنتجات الزراعية والصناعية ولجميع البضائع ومركز للخدمات والمؤسسات المالية والمصرفية.

وقد ورد مصطلح (القرية Village): كل مكان اتصلت به الأبنية، والجمع (قرى)، في سور قرآنية عديدة نذكر منها، في سورة الأنعام/ ١٢٣: [٠٠] **جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ**، وفي سورة القصص/ ٥٨: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ]، وفي سورة البقرة/ ٥٨: [٠٠] **أَنْخَلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**، بينما ورد ذكر مصطلح (المدينة City): البلدة العظيمة تجمع المنازل والأسواق، وجمعها (مدن) و(مدائن)، إذ جاء في سورة يوسف/ ٣٠: [وَقَالَ نِسُوا فِي الْمَدِينَةِ]، وفي سورة الحجر/ ٦٧: [وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ]، وفي سورة الأعراف/ ١١١: [٠٠] **وَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**.

٢- مواد الإنشاء وخصائصها:

لتحقيق الوجه الأكمل لأي منشأ هندسي في المائة والديمومة، يستوجب وجود التصميم المتكامل الذي يأخذ في الحسبان، المواد الإنشائية المستعملة والظروف التي تتعرض لها، والمدة التي ستستعمل فيها، وكذلك عامل الأمان والاقتصاد في التكلفة. وقد ظهرت حاجة الإنسان إلى المواد الإنشائية مع ظهور حاجته للسكن. وقد استخدم مواد الإنشاء المتوفرة في الطبيعة قديماً، فاستخدم الأحجار والصخور والطين والرمل والقطران. وبدأ الإنسان في اختراع بعض الأدوات البسيطة التي تساعده على تشكيل المواد التي يصنع منها مسكنه، فكانت الأدوات عندئذ بدائية تمكنه فقط من تقطيع الأحجار وتهذيبها وتقليم فروع الأشجار وتقليمها.

واستمر الإنسان في تطوير تلك الأدوات والآلات التي تساعده في تحقيق متطلباته ورغباته، وتطورته خبرة البنائين لواقبة متطلبات الحياة المتزايدة. وقد



كما أشار القرآن الكريم إلى مواد إنشائية أخرى مثل مصطلح (الزجاج Glass): جواهر صلب سهل الكسر، شفاف، يصنع من الرمل والقي، والزجاجة: القطعة من الزجاج. حيث ورد ذلك في سورة النور/٢٥: {٠٠ المصباح في زجاجة الزجاج كثتها كوكب ٠٠}. كما تطرق الكتاب المبين إلى مصطلح (الحديد Iron): عنصر فلزي معروف يجذب المغناطيس، ومن أنواعه: الزهر والمطاور والصلب، حيث وردت سورة قرآنية كاملة تحمل اسم (سورة الحديد)، وقد ورد منها الآية/٢٥: {٠٠ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ٠٠}. بينما ورد ذكر المصطلح في سور قرآنية أخرى، منها سورة الكهف/٩٦: {أتوني زهر الحديد ٠٠}، وسورة سبأ/١٠: {٠٠ وألنا له الحديد ٠٠}. كما أشار القرآن الكريم إلى ذكر مصطلح (الرمل Sand): فتات الصخر. وحده القرآن الكريم خصائص هذا النوع من التربة غير المتماسكة (Noncohesive) كما جاء في سورة المزمل/١٤: {٠٠ كثيبا مهيلا، فالكثيب: الرمل المترام، والمهيل: الرخو اللين وغير المتماسك. مثلما وردت بعض الخصائص الفيزيائية للمواد الإنشائية ٠٠}. حيث ورد مصطلح (عذب فوات Fresh): الشديد العتوية، إذ ورد ذكر ذلك في سورة فاطر/١٢: {٠٠ هذا عذب فوات ٠٠}. وفي سورة المرسلات/٢٧: {٠٠ وأسقينكم ماء فواتا ٠٠}. بينما ورد ذكر مصطلح (ملح أجاج Salt): الشديد اللوحة. إذ ورد ذكر ذلك في سورة

وردت في آيات الذكر الحكيم إشارات عديدة للمواد الإنشائية مثل مصطلح (الطين Clay): واحتنتا طينة، الوحل المعروف، وقد يسمى طيناً بعد زوال مائته، طين لازب، كما جاء في سورة الأنعام/٢: {٠٠ خلقكم من طين ٠٠}، وفي سورة ص/٧٧: {٠٠ وخلقته من طين ٠٠}. بينما ورد ذكر مصطلح مماثل (الصلصال: كل ما جف من الطين ما لم يجعل خرفاً)، حيث ورد ذكره في سورة الرحمن/١٤: {٠٠ من صلصال كالفخار ٠٠}. وفي سورة الحجر/٢٦، ٢٨، ٣٣: {٠٠ من صلصال من حماء مسنون ٠٠}. كما ورد ذكر مصطلح (الحجارة Stone): واحتنتها الحجر، المادة الصلبة التي تتخذ من الجبال، ويقال كسارة الصخور. إذ وردت في قوله تعالى في سورة النازيات/٣٢: {٠٠ حجارة من طين ٠٠}، وفي سورة الفيل/٤: {٠٠ بحجارة من سجيل ٠٠}، وفي سورة البقرة/٧٤: {٠٠ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ٠٠}. كما ذكر مصطلح (الصخر Rock): الحجر العظيم الصلب، واحتنت صخرة، إذ ورد ذلك في سورة الكهف/٦٢: {٠٠ إذ أوتينا إلى الصخرة ٠٠}، كما أشارت بعض سور الذكر العزيز إلى مصطلح (غبرة Dust): الغبار، ما يبقى من التراب المثار، حيث ورد ذلك في سورة عبس/٤٠: {٠٠ يرمض عليها غبرة ٠٠} بينما تطرقت بعض آيات الكتاب المبين إلى مصطلح (ركام Aggregate): ما اجتمع من الأشياء وتراكم بعضها فوق بعض، حيث جاء في قوله تعالى في سورة النور/٤٣: {٠٠ ثم يحطه ركاما ٠٠} ٠٠ وقد ورد مصطلح (التراب Dust): ما نَعَم من أديم الأرض، ويقال ما تفتت وتَفَقَّ من جنس الأرض، حيث ورد ذلك في سورة النحل/٥٩: {٠٠ أم يمسسه في التراب ٠٠}، وفي سورة الحج/٥: {٠٠ خلقناكم من تراب ٠٠}، كما ورد ذكر مصطلح (القطران Tar): عصارة شجرة الأرز، تطبخ ثم تطلّى بها الإبل، ويقال مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما، وهي مادة إنشائية مائعة للرطوبة، وتستخدم في رصف الطرق ٠٠ وقد ورد ذكرهما في سورة إبراهيم/٥٠: {٠٠ سرايبهم من قطران ٠٠}.

فاطر ١٢/ (.. وهذا ملح أجاج..) كما ورد في الذكر (اللين مصطلح (لين Soft)، يقال: لان الشيء: سهل وذهبت صلابته، فهو لين، حيث جاء ذلك في سورة سبأ/ ١١: {.. وأتانا له الحديد}. بينما جاء ذكر مصطلح (صلد Hard): الصلابة واليبس، كما ورد في سورة البقرة/ ٢٦٤: {.. فتركه صلباً..} وقد جاء ذكر مصطلح (الدك Compaction): يقال دك الأرض: فئت أجزاءها وسواها، مثمما جاء ذكر ذلك في سورة الفجر/ ٢٧: {.. كلا إذا نكث الأرض نكاثاً}. وفي سورة الأعراف/ ١٤٣: {.. جطه نكاً..} وقد أشارت بعض آيات التنزيل العزيز إلى مصطلح معادل (الرص Compaction): يقال رص البنيان: يرصه رصاً: أحكمه وجمعه وضم بعضه إلى بعض، فالبنيان مرصوص، إذ ورد ذلك في سورة الصف/ ٤: {.. كأنهم بنيان مرصوص}. وقد ورد ذكر مصطلح (الشيء Bending): يقال ثنى الشيء يثنيه ثنياً: عطفه ورد بعضه على بعض، حيث جاء ذلك في سورة هود/ ٥٠: {.. يثنون مسجورهم..} وقد جاء مصطلح (المثلى Optimum): وهو وصف للتفضيل لكل ما هو فاضل ذو ميزة في نوعه وبإياه، نحو قوله تعالى في سورة طه/ ٦٢: {.. ويذهب بطريقتكم المثلى}.

٤- طرق البناء وأنظمة التشييد:

منذ خلق الإنسان، ظهرت معه الحاجة إلى ملوى يحمي من تقلبات الجو وأخطار الطبيعة المحيطة به ومع تطور حياته، تطورت احتياجاته، ومع هذا التطور تطورت طرق البناء وتقنياته وأنظمة التشييد، ومرت بمراحل مختلفة، وذلك على مر الأزمان والعصور.. وقد استخدم الطابق الطيني (الأجر) في بناء الجدران والأعمدة والسقوف، بينما وجدت شواهد تاريخية كثيرة تدل على قدم استخدام الأحجار في التشييد، في بناء الأعمدة الحجرية (Columns) والأعتاب أو الحواجز المنحوتة من الحجر (Beams)، والأقواس (Arch)، والعقود (Vaults)، والقباب (Domes).... الخ، وكان لتطور صناعة الحديد وطرق استخراجها

وصهره تأثير كبير على شكل المنشآت وحجمها، كما كان اكتشاف السمكت والخرسانة، ثم بعيد ذلك الخرسانة المسلحة (Reinforced Concrete) والخرسانة المسبقة الإجهان (Prestressed Concrete) ثورة في عالم الهندسة الإنشائية والمعمارية، فظهرت إنشاءات خرسانية عملاقة وفريدة من نوعها، وهكذا ارتبط تطور الأبنية والإنشاءات (عبر التاريخ) بشكل وثيق بتطور مواد الإنشاء وتقنية البناء والتشييد، وقد استنبطت نظريات وطرق لتصميم المنشآت الخرسانية أو الفولاذية، تعتمد على مقدار الأحمال القصوى المسلطة ونوعيتها، وعلى خصائص الأعضاء الإنشائية التي تسلب عليها هذه الأحمال، وعلى سعة تحمل تربة الأساس الذي يستقر عليه المنشأ.

وقد أشارت آيات الذكر الحكيم إلى مصطلحات إنشائية ومعمارية عديدة بهذا الخصوص، فمثلا ورد ذكر مصطلح (الإنشاء Construction): يقال إنشاء: أوجده وأحدثه، ويقال إنشاء: رفعه، حيث جاء ذلك في سورة الواقعة/ ٢٥: {.. إنا أنشأناهم إنشأاً}.. بينما ورد ذكر مصطلح (الحمل Load): الثقل أو الجسم الذي يرفع، وحمل الشيء: أقله ورفع، والجمع أحمال. في سورة الحاقة/ ١٤: {.. بحملت الأرض} وفي سورة النحل/ ٢٥: {.. ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة} وهو تشبيه حمل الذنوب بحمل الأثقال. كما ورد مصطلح (ثقل Weight)، ثقل الشيء ينقل نقلاً فهو ثقل أي رجح، وثقل الشيء وزنه، وتجمع (أثقال)، حيث ورد ذكرها في سورة العنكبوت/ ١٣: {.. وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم..} وفي سورة الأعراف/ ٨: {.. والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه..}، بينما ورد ذكر مصطلح (سعة Capacity) ويقال سعة الشيء: طاقته، ووسع الشيء الشيء: جملة فلم يضيق عنه: إذ ورد ذكرها في سورة الطلاق/ ٧: {.. لينفق ذو سعة من سعته..} في حين أشارت بعض آيات الذكر المبين إلى ذكر مصطلح (الاقصى Maximum) أقصى الشيء: أبعد، وبلغ أقصاه، والاقصى الأبعد. حيث ورد ذلك في سورة الإسراء/ ١: {.. إلى المنجى

مصطلح (البرج Tower) الحصن أو البناء العالي
الذاهب في السماء، والجمع (بروج) وأبراج، حيث
جاء في سورة النساء/٧٨: {.. في برج مشيدة..}

== مراحل تنفيذ البناء (مراحل الإنشاء):

تمر المشروعات الهندسية بالمراحل التالية - منذ
ظهورها كفكرة إلى أن يتم تنفيذها:
المرحلة الأولى: دراسة الجدوى الاقتصادية
 للمشروع.

المرحلة الثانية: إعداد وثائق مناقصة المشروع.

المرحلة الثالثة: مرحلة تنفيذ المشروع.

فإذا كانت نتائج دراسة الجدوى الاقتصادية
 للمشروع إيجابية، ستبدأ الخطوة التالية لإعداد
 التصميم والمواصفات الفنية للمشروع، وصيغ التعاقد
 وشروطه، ثم تطرح أعمال المشروع في مناقصة عامة
 ويتم تحليل العطاءات والبت فيها، حيث يعهد العمل
 بأكمله إلى مقاول متخصص أو أكثر، وتبرم (عقود
 Contracts): مفردها (عقد)، وهي العهد، وحيث إن
 العقد هو شريعة المتعاقبين، لذا فإن إعداد حبيقة
 مناسبة للعقد والمستندات التي تلحق به، تعتبر من أهم
 العناصر الأساسية لعملية تنفيذ المشاريع، حيث ورد
 ذكر مصطلح (عقود) في سورة المائدة/١: {.. أولوا
 بالعقود...}

(أ) - مرحلة تخطيط الموانع:

يبدأ تنفيذ المشاريع الإنشائية بمجموعة من
 الإجراءات الضرورية قبل المباشرة بالتشييد أو البناء،
 ومنها استحصل الموافقات الإدارية الأصولية للمشروع
 بالبناء، وتسييج الموقع وتوفير الخدمات العامة اللازمة
 لإدارة المشروع.. حيث ورد ذكر مصطلح (البناء
 Constraction) بمعنى الشيء المبني، والجمع
 (بنيان)، وبني البيت أقامه، حيث ورد ذلك في سورة
 البقرة/٢٢ وغافر/٦٤: {.. والسماء بناء..}،
 وفي سورة الصف/٤: {.. كلتهم بنيان مرسوح،}
 وجاء منها مصطلح (بناء Constructor): وفن من
 يحترف البناء، حيث وردت في سورة ص/٢٧: {..

الأنحصى..} وفي سورة يس/٢٠: {وجاء من أقصى
 المدينة..}، كما ورد ذكر مصطلح (القصى -Al
 timate): الغاية البعيدة، وهي مؤنث (الأقصى)، حيث
 جاء ذكرها في سورة الأنفال/٤٢: {.. وهم بالعنزة
 القصوى..}.

وأشارت بعض سور الكتاب المبين إلى مصطلحات
 إنشائية ومعمارية أخرى، مثل مصطلح (السور
 Wall): الحاجز أو الحائط، أي كل ما يحيط بشيء
 من بناء وغيره، حيث جاء ذكر ذلك في سورة
 الحديد/١٢: {.. فحُرب بينهم بسور له باب..}،
 وكذلك ورد ذكر مصطلح (الجدار Wall): الحائط،
 وجمعه (جدر) أو (جدران).. حيث ورد في سورة
 الكهف/٨٢: {وأما الجدار..}، وفي سورة
 الحشر/١٤: {.. لو من وراء جدر..}، كما أوردت
 بعض سور القرآن الكريم ذكر مصطلح (الغرفة
 Room) العلبة، والجمع (غرف) أو (غرفات)، حيث
 جاء ذكرها في سورة الزمر/٢٠: {.. لهم غرف من
 فوقها غرف مبنية..} وهي إشارة واضحة إلى البناء
 الهيكلي (Post and Beam System) وهو أحد
 الأنظمة الإنشائية للأبنية. وقد ورد مصطلح معادل
 (الحجرة Chamber): المكان من الدار يحاط
 بجدران، وجمعها (حجر) و(حجرات)، كما جاء في
 سورة الحجرات/٤: {.. يتناولونك من وراء
 الحجرات..} حيث ضم القرآن سورة تامة تحمل اسم
 الحجرات.

في حين أشارت آيات قرآنية كريمة أخرى إلى
 مسميات ومصطلحات لأبنية ومنشآت معروفة حالياً،
 مثل مصطلح (المسجد أو الجامع Mosque): مصلى
 الجماعة، والجمع (مساجد)، حيث ورد ذكر ذلك في
 سورة التوبة/١٨: {إنما يعمر مسجدا لله..}، وفي
 سورة البقرة/١٩٩: {.. ولا تقاومهم عند المسجد..}،
 وقد ورد ذكر مصطلح (السد Dam): الحاجز بين
 الشئين والبناء في مجرى الماء ليحجزه والجمع
 (سدود)، كما جاء في قوله تعالى في سورة
 الكهف/٩٢: {.. بلغ بين المسدين..}، وفي نفس
 السورة/٩٤: {تجعل بيننا وبينهم سدا}، وقد ورد ذكر

بينما جاء ذكر مصطلح (الطول Length). طال الشيء. إمتد، حيث ورد ذلك في التزليل العريز في سورة الإسراء/٢٧: {وان تبلغ الجبال طولا}. بينما ورد ذكر مصطلح (العرض Width) خلاف الطول، ويقال عرض الشيء: جانبه وناحيته، حيث ورد ذكر ذلك في سورة آل عمران/١٢٣: {... وجنة عرضها السموات والأرض}. بينما ورد ذكر مصطلح (العمق Depth): البعد أسفلا، ويقال (عميق Deep): أي بعيد القعر وصفا للمكان، حيث ورد ذكر ذلك في سورة الحج/٢٧: {... من كل فج عميق...}. بينما أشارت بعض سور الذكر الحكيم إلى ذكر مصطلح (السماك Thickness): المسافة ما بين أسفل الشيء وأعلى، وسماك الشيء: غلظه وثخاذه، ويراعى فيه البدء من الأسفل، فإن نظر إليه من الطويل له عمق، حيث ذكر ذلك المصطلح في سورة الفاتحات/٢٨: {رفع سمكها فسواها}.

(ب) - مرحلة تنفيذ الأساسات:

يعتبر تنفيذ الأساسات، المرحلة الأولى لبناء أي مبنى، وقد يتطلب الأمر حفر التربة - عندما تكون هشة وضعيفة - إلى عمق كبير حتى تصل إلى الطبقات الصخرية التي تعتبر مناسبة لكي يستقر فيها المبنى، وخاصة في الأبنية الهيكلية المتعددة الطوابق. وقد ورد ذكر مصطلح (الحفر Cut): حفر الشيء: أحدث فيه حفرة، والحفرة (Pit): جزء من الأرض نزع عنه ترابه فانخفض... حيث جاء في سورة آل عمران/١٠٢: {... وكنت على شفا حفرة...}، بينما جاء ذكر مصطلح (الردم Fill): ردم الشيء ردماً، ويقال ردم الحفرة وهال فيها التراب، والردم: السد، حيث ورد في سورة الكهف/٩٥: {... أجعل بينكم وبينهم ردماً...} وقد أشار الكتاب المبين إلى ذكر مصطلح (الأسس Footings): أسس بنيانه، أي أقامه على أساس، وهو قاعته التي يبنى عليها، والجمع (أسس)، حيث ورد ذلك في سورة التوبة/١٠٨: {... لمسجد أسس على التقوى...}، في نفس السورة/١٠٩: {أفمن أسس بنيانه...}، مثمما ورد مصطلح (القواعد Footings): قاعدة الدار: أساسها، والجمع: قواعد، حيث ورد

كل بناء وقوام). ويجب تحديد موقع الأبنية ومراكز أسسها وجدرانها، وكذلك تعيين المناسيب والإحداثيات المتحركة: الخ، حيث يتم أولاً تنظيف الموقع وإزالة الانقاض وتسويته وتعديل أرضيته وتحويلها إلى ساحة، حيث ورد مصطلح (الساحة Courtyard): فناء أو قضاء واسع، والجمع (السوح)، كما جاء في سورة الصافات/١٧٧: {فإذا نزل بأسحمتهم...}.

وتستخدم أجهزة ومعدات القياس المساحية لتحديد الاتجاهات، إذ يمكننا - بالتوجيه الجيد للبناء - الاستفادة من الإضاءة الطبيعية والتكيف بتأثير حرارة الشمس (حسب الحاجة)، وجعل إطلالة البناء مناسبة ومريحة الناظر، والتخفيف من حدة الضوضاء، مثمما تساعد المناطق الخضراء والأشجار في تحسين شروط الموقع ومناخه المحلي. وقد تطرق القرآن الكريم إلى مصطلحات (الاتجاهات Directons): يقال وجهه توجيهها: جعله في ناحيته وصوبه، والوجه: الشيء يتوجه إليه كالقبلة، والوجهة: المكان المتوجه إليه والناحية، حيث ورد في سورة البقرة/١٤٨: {ولكل وجهة...}، وفي سورة سبأ/١٥: {... جنتان عن يمين وشمال...}، وفي سورة البقرة/١١٥: {والله المشرق والمغرب فلينما تولوا فثم وجه الله...}، وقد أشارت آيات الذكر المبين إلى مصطلح (الاستقامة Alignment): إستقام الشيء: خلا من العوج، ويقال (المستقيم Straight): المستوى القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء، حيث جاء في سورة الفاتحة/٦: {اهدنا الصراط المستقيم...}، وفي سورة الأحقاف/٣٠: {... إلى طريق مستقيم...}، وقد تكرر ذكر مصطلح (الطريق Road): المسلك الذي يسير عليه الإنسان، وجمعها (طرق) و(طرائق)، حيث ذكرت سورة طه/٧٧: {... فاضرب لهم طريقاً...}، وفي سورة النساء/١٦٩: {إلا طريق جهنم...}.

وقد أشار الكتاب المبين إلى مصطلحات تخص وحدات القياس، فمثلا ذكر مصطلح (السلسلة Chain): وهي وسيلة قياس مساحية للطول، وكذلك مصطلح (زراع Cubit) مقياس يقدر به، وطوله من المرفق إلى أطراف الأصابع، حيث ورد ذلك في سورة الحاقة/٢٢ {في سلسلة نزعها سبعون ذراعاً...}.

ذكرها في سورة البقرة/١٢٧ {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت..}.

(ج) - مرحلة تنفيذ الأعمدة:

بعد تنفيذ الأساسات، ترتفع الأعمدة في البناء الهيكلي التقليدي. وقد يختلف ارتفاع هذه الأعمدة وشكلها (مقطعها) ومواد إنشائها. وتتخذ الأعمدة بارتفاعات مختلفة لإحداث تغيير في المظهر الخارجي للابنية. ولإعادة النواحي الجمالية والمعمارية، يستخدم مزيج من الوحدات السكنية الأرضية، أو المتعددة الطوابق، وقد ورد ذكر مصطلح (عمود Column): دعامة رأسية، ويقال: ما دعت به، والجمع (أعمدة) و(عمد)، والعماد: ما يقام عليه الخباء، وكذلك البناء. حيث ورد ذكرها في سورة الرعد/٢: {٠٠ رفع السموات بغير عمد..}، وفي سورة الفجر/٧: {إرم ذات العماد}، وفي سورة لقمان/١٠: {٠٠ بغير عمد ترونها..}.

(د) - مرحلة تنفيذ الجوائز والسقوف:

بعد تنفيذ الأعمدة، يتم إنشاء الجوائز (Beams) والسقوف (Slabs) والسلالم (Stairs)، وقد ورد ذكر مصطلح (السقف Slab): غطاء المنزل ونحوه، وهو أعلاه المقابل لأرضه، وجمعه (سقوف) أو السقيفة والسقيف: كل بناء سقفت به صفة أو نحوها مما يكون بارزاً، حيث ورد في سورة الأنبياء/٢٢: {وجعلنا السماء سقفاً..}، وفي سورة الطور/٥: {والسقف المرفوع}، وفي سورة النحل/٢٦: {٠٠ فخر عليهم السقف}، بينما ورد ذكر مصطلح (السلالم Stairs): ما يصعد عليها إلى الأمكنة العالية، وهي مرادفة لكلمة (مفارج): أي مصاعد.. كما ورد في سورة الزخرف/٢٢: {٠٠ ومفارج عليها يظهرن}.

الختام:

القرآن الكريم، كتاب الله وكلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ينبوع العلوم والمعارف،

وهو جميل في ظاهره وباطنه، جميل في معناه، جميل إذا سمعت أو تلوته، وهو معجز في مجال أسلوبه ودقة تصويره، وتنسيق ألفاظه، وروعة بيانه، وهو صالح لكل زمان ومكان، ويحوي الكثير من الكنوز والخاثر في الكون كله، سواء في الدنيا أو في الآخرة {ما فرطنا في الكتاب من شيء}.. سورة الأنعام/٣٨، ولذلك فجميع ما تم اكتشافه واختراعه منذ الخليقة، وما سيتم اكتشافه واختراعه، حتى قيام الساعة من علوم وأسرار، مادية وغير مادية، له إشارات ومعضات في القرآن الكريم.

المراجع:

- (١) إنشاء المباني، زهير سالكو وأرتين ليفون، كلية الهندسة/ جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٣.
- (٢) الإنشاء المعماري - عناصر البناء الأساسية، د. عمر محمد أبو جناح وآخرون، نشر مشترك دار الانيس للنشر والتوزيع - مصراتة، وجامعة ناصر/ كلية الهندسة، الخمس، الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- (٣) «تخطيط المدن» د. فاروق عباس حيدر، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٩٤.
- (٤) «التكنولوجيا الحديثة في البناء» د. محمد محمود عويضة - منشورات دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٤.
- (٥) «فتح الرحمن لطالب آيات القرآن» ترتيب على زاده فيض الله الحسيني المقدسي، منشورات مكتب الإعلام والنشر لجمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٢.
- (٦) «قواعد تخطيط المدن» د. نايف محمود عترسي - دار الراتب الجامعية - بيروت.
- (٧) «المخصص» لابن سيده الأندلسي - دار الفلاح الجديدة - بيروت (خمس أجزاء).
- (٨) «مصطلحات الهندسة المدنية» مصبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٩٠.
- (٩) «معجم ألفاظ القرآن الكريم» - مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٧٣.
- (١٠) «المعجم الوسيط» مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٧٣ (جزأين).

القصة النبوية

قصص الأنبياء

في هذا العصر الذي يبعد عن البعثة النبوية بأكثر من أربعة عشر قرناً، هذا العصر اقتربت فيه المجتمعات الإنسانية وانفتح بعضها على بعض واقتربت عن طريق الاتصال والمواصلات، حتى أشبهت القرية الصغيرة، وتناقلت فيما بينها المذاهب والنحل، والعادات والتقاليد، والآثار والأفكار، في كل مجالات الحياة الأدبية والعلمية والسياسية والاقتصادية والدينية، ونبت الصراعات بين الأمم، للاستيلاء على الموارد بكل الوسائل والحيل وضعفت أمم وخضعت لغيرها، لأنها فقدت بعض مقوماتها الأساسية، وفي مقدمتها: الانبهار و الأتصهار والخضوع لثقافة غيرها، وأخذها بالمذاهب الوافدة من سياسية واجتماعية ودينية، فمحقت شخصيتها وتلونت في قوالب أمليت عليها عن طريق التعليم والإعلام، فدارت في فلك، وسلكت طرقاً، أبعد ما تكون عن عقيدتها ودينها وتراثها وأخلاقها.

خضعت تلك الأمم لدول استعمارية وبعدها رحيلها بقيت تلك الأمم - التي كانت خاضعة تحت تأثيرها دائرة في فلكها، متظاهرة أنها تنقل الحضارة الإنسانية، وتستفيد من تجارب العلم والفكر والثقافة في عصرها، ولكنها لم تأخذ إلا أسوأ ما عند الآخرين، كالانحلال الخلقي، والتبرم والانسلاخ عن الأديان والقيم والتراث، لتستغل بظل العلمانية الملحدة، والشيعوية المادية، تطبق هذه تارة وهذه تارة

أخرى، وظلت تجرى مبهرة وراء السراب حتى خسرت أعظم مقوماتها، وانفرط عقد شخصيتها المستمدة من دينها ولفتها وتراثها - ومن المؤسف أن الأكثرية - لجهلها المركب - تنكر هذه الحقائق، ولم ولن تحاول الرجوع عن غيها، بزعم أنها علي طريق الحضارة والتقدم العلمي، الذي سارت عليه المجتمعات الغربية الحديثة، والواقع غير ذلك: (المجتمع الحديث، إذن، مجتمع يتميز ب (العلمانية) في التوجيه، والعلمانية في التوجيه، شعار يقصد منه أن الدول العلمانية تبعد في سياستها الداخلية والخارجية، وفي توجيهها للناشئة - عن طريق المدرسة والجامعة، وللرأي العام عن طريق الصحافة والإذاعة والنشر - تبعد الدين، كما تبعد رجاله، عن أن تكون لهم حظوة عند الشعب أو نفوذ عليه. والمجتمع العلماني، أو الدول العلمانية، هو المجتمع أو الدولة التي تدخل في اعتبارها من أول الأمر، تتبع الاتجاهات الدينية، وتحتيتها عن مجال التوجيه، أو على الأقل، تجاهل هذه الاتجاهات وتناسيها) [١].

وعلى الرغم من أن أوربا،
تصير العلمانية إلى بلاد
المسلمين بصفة خاصة، على



بإسلام: آء، عبدالباسط أحد حسنة
- مصر -



الإيمان في عقيدة هذه الأمة، لأنه يرسخ الإيمان العملي ويزكي صفات الصبر والتحمل والجهاد والافتقار بهؤلاء الأعلام في مسيرة قافلة الإيمان في هذا الكون.

وقصص الأنبياء مهم جدا لتحقيق الأهداف والغايات التي نرجوها لهذه الأمة، كما كانت أسوة وتسرية وعظة وعبرة للأنبياء السابقين ولسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) سيد المرسلين، وأكثر سنور القرآن الكريم تشتمل على قصص الأنبياء مع أمهم وأقوامهم، وقصص النبي (صلى الله عليه وسلم) مع أهل الكتاب والمشركون والمنافقين، ووقائع للمسلمين. وذلك كله لأخذ العبرة والاعتبار والتمسك بشرع الله والوقوف عند حدوده. ومن الأمثلة على ذلك قوله، تعالى على لسان شعيب - عليه السلام - (ويا قوم لا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يَصِيْبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ، مَا قَوْمَ لُوطٍ مِثْلُكُمْ بَيِّنٌ) (هود/٨٩).

ومن ذلك قوله تعالى لحمد (صلى الله عليه وسلم): {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون} (آل عمران/٤٤).

وقوله: {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون} (يوسف/١٠٢). وقوله: {ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين} (هود/٤٩) وقوله تعالى {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين}

النحو السابق (فإن أوروبا الحديثة وأوروبا المعاصرة، مجتمعاتها ودولها مجتمعات ودول دينية، هي مجتمعات ودول أخذت في الاعتبار منذ قيامها وتكوينها حماية الدين والنود عن المسيحية، فأنجلترا جامية البروتستنتية، وفرنسا حامية الكاثوليكية، بل راعية التبشير بها خارج أوروبا كلها، في آسيا وأفريقيا، ويتمثل على وجه أخص في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين، بعد ما قامت محاكم التفتيش في إبعاده عن إسبانيا، وإمبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فيينا إلى بلاد البلقان، وروسيا القيصرية في دفعه عن القرم، ثم السياسة الأوربية الشرقية والغربية على السواء في دفعه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز إلى الحدود المتاخمة جنوبا للبلقان والقوقاز[٢]).

وقد عملت هذه الأمم على تحقيق هذه الأهداف، وأمعنت في مكراها بإعداد مراكز تتمثل في مدارس الإرساليات والجامعات والخدمات الاجتماعية، لتخريج أجيال تدن بثقافتهم وفكرهم، وتعمل على موالاتهم بصور ملتوية كالوطنية والقومية على حساب الإسلام وثقافته وتراثه، ولا يخفى دور محمد علي في ازواجية التعليم في مصر، وكمال أتاتورك في مطاردة كل مظهر للإسلام، وإبشار اللغات الأجنبية والقوانين الوضعية مما عجل بالرابطة الإسلامية، ثم تلتها روابط أخرى حتى وصل حال الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه الآن.

وفي ضوء ما تقدم رأيت الكتابة عن قصص الانبياء في القصص النبوي، لأنه من أهم دعائم

(هود/١٢٠) وقوله تعالى: {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى وما كنت من الشاهدين} (القصص/٤٤) وغير ذلك من الآيات.

ولذلك نرى في قصص الأنبياء من خلال القصص النبوي، يفيض في تفسير وشرح القصص القرآني، لتجلية العبرة أمام خير أمة أخرجت للناس في آخر الزمان، وهو قصص يتضمن ما كان منذ بدء الخلق، وما سيكون بعد رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا وفي الآخرة، فريق في الجنة وفريق في السعير. وفي القصص النبوي الإعجاز البلاغي من حيث الشكل، ومن حيث المضمون، إعجاز يصدق النبوة: إذ كيف أحاط هذا النبي الأمي بهذه المعلومات والأخبار والقصص التي لم تكن معروفة لفرد أو لجماعات أو أمم في هذه الجزيرة، ولم تكن للكتابة والتدوين منتشرة في هذه الأمة. ولذا نسوق بعض الحكم في قصص الأنبياء:

قالت الحكماء [٢]: إن الله - تعالى - قص على المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أخبار الماضين من الأنبياء والأمم الخالية لخمسة أمور، أي حكم:

الحكمة الأولى: إظهار لنبوته (صلى الله عليه وسلم) ودلالة على رسالته، وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان أميا، لم يختلف إلى مؤدب، ولا إلى معلم، ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه عالم الأخبار، ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان، فنزل عليه جبريل - عليه السلام - ولقنه ذلك، فأخذ يحدث الناس بنخبار ما مضى من القرون، وسير الأنبياء الماضين والملوك المتقدمين، فمن كان من قومه عاقلا موقفا

صدق بما يوحى الله إليه، وإخباره إياه بذلك فأمن به وصدقه، وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته، ومن كان منهم عنوا معاينا جسده وجحدته وانكر ما جاء به، وقال كما أخبر الله - تعالى: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} (الفرقان/٥) قال الله - تعالى - تكذبا لهم، وتصديقا للنبي (صلى الله عليه وسلم): {قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما} (الفرقان/٦).

والحكمة الثانية: أنه إنما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين، فيما أخبر الله - تعالى - عنهم وأثنى عليهم، ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء بمخالفتها عليها، واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب، فتمم الله له بذلك معالي الأخلاق، فلما امتثل أمر الله - تعالى - واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم/٤) وذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - حين سئلت عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كان خلقه القرآن.

والحكمة الثالثة: أنه إنما قص عليه القصص تشبيها له وإعلاء بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم، وذلك أنه لما نظر إلي أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء، وخفف عنهم في الشرائع، ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله - تعالى -: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نعمة ظاهرة وباطنة} (لقمان/٢٠).

يبقى نكره وأثاره الحسنة إلى قيام الساعة، كما رغب خليل الله إبراهيم - عليه السلام - في إبقاء الثناء الحسن، فقال: [وأجعل لى لسان صئق في الآخرين] (الشعراء/ ٨٤) والناس أحاديث، يقال: ما مات ميت والذكر يحييه، وقيل ما أنفق كبار القوم الأموال على المصانع والحصون والقصور، إلا إبقاء الذكر، وأنشد ناصر بن محمد المزوي، قال: أنشدني الريدى:

وإنما المرء حنيت بعينه
فكن حنيثا حسنا لمن رعى

فضائل الأنبياء (عليهم السلام):

أرسل الله الرسل من خيرة خلقه في كمال الخلق والخلق وأسطفاهم ورياهم على عينه وخصهم بالوحي وأيدهم بالمعجزات، ورفعهم مكانا عليا [ومن أبائهم وزياراتهم وإخوانهم واجتبيانهم وهديانهم إلى صراط مستقيم] (الأنعام/ ٨٧) وفضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض كما قال - تعالى -: [لك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس] (البقرة/ ٢٥٣) وقوله: [ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً] (الإسراء/ ٥٥).

وفي القصص النبوي تفصيل وتوضيح لدرجات المرسلين ومكانتهم بين الخلق، وخصائص بعضهم على بعض، وحكمة الله في ترتيب إرسالهم، وحكمته في وضع الفترات بين الرسل وغير ذلك مما يرد نكره.

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة تضعيف الصنائع، قال الله - تعالى -: [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] (البقرة/ ١٨٥) وقال تعالى: [وما جعل عليكم في الدين من حرج] (الحج/ ٧٨) وقال تعالى: [يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا] (التساء/ ٢٨) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته، وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم، فواصل قيام ليله بنهاره، وصيامه بقيامه، لا يفتر عن عبادة ربه، أداء لشكره حتى تورمت قدماءه، فقيل: يا رسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ثم افتخر - عليه السلام - فقال: بُعثت بالحنيفية السمحة.

والحكمة الرابعة: أنه إنما قص الله - تعالى - عليه القصص تأنيبا وتهذيبا لامته، وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم، والأعداء وعقابهم، ثم ذكر - في غير موضع - تحذيره إياهم، عن صنع الأعداء، وحثهم على صنع الأولياء، فقال - تعالى: [لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين] (يوسف/ ٧) وقال: [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب] (يوسف/ ١١١) وقال: [وهدى وموعظة للمتقين] (آل عمران/ ١٣٨) ونحوها من الآيات، وكان الشبلى - رحمه الله - تعالى - يقول في هذه الآيات: اشتغل العام بذكر القصص، واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص.

والحكمة الخامسة: أنه قص عليه أخبار الأنبياء الماضين إحياء لذكورهم وأثارهم، ليكون المحسن منهم في إبقائه نكره مثبلا له تعجيل جزاء في الدنيا، حتى

فمن خصائص الأنبياء - عليهم السلام - نوم أعينهم ولا تنام قلوبهم - ففى البخارى عن سليمان عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر، سمعت أنس بن مالك، يحدثنا عن ليلة أسرى بالنبي (صلى الله عليه وسلم) من مسجد الكعبة: جاءت ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه - وهو نائم فى المسجد الحرام - فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم - وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك، فلم يرههم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي (صلى الله عليه وسلم) نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء [٤].

وقد جاء فى فضائل الأنبياء أحاديث وأثار كثيرة، وفى ذلك ما جاء فى (منتخب كنز العمال فى سفن الأقوال والأفعال) [٥] ذكر ابن سعد عن قتادة: إذا أراد الله أن يبعث نبيا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة فيبعث خيرها رجلا. وعن عائشة رضي الله عنها: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير) وفى رواية البخارى [٦] قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا - أو يخير - .

ومن فضائل وخصائص الأنبياء يبعثون شبابا، وما يبعث الله نبيا إلا رعى القتم حتى محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يرعاهما لأهل مكة على قرارىط، وأنه ليس لنبي إذا ليس لامته أن يضعها حتى يقاتل، وإذا قبض الله نبيا فى موضع دفن فيه، وأن النبي لا يموت حتى يؤمه بعض أمته، وإذا مرض المرض

الآخر يخير بين الدنيا والآخرة، وأن الله - تعالى - حرم على الأرض أن تكلل أجساد الأنبياء، وما كانت نبوة قط إلا تبعها خلافة، ولا كانت خلافة إلا تبعها ملك.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله إنك تأتى الخلاء فلا ترى شيئا من الأذى إلا أن نجد رائحة المسك، فقال: إنا معشر الأنبياء نبقت أجسادنا على أرواح أهل الجنة وأمرت الأرض ما كان منا أن تبثله [٧].

وقد فضل الله بعض الأنبياء على بعض كما قال - تعالى - : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كُلم الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيناه بروح القدس) (البقرة/٢٥٣) قال ابن كثير فى قول الله (منهم من كُلم الله) يعنى موسى ومحمدا (صلى الله عليه وسلم) وكذلك آدم كما ورد فى الحديث المروى فى صحيح ابن حبان عن أبى ذر - رضي الله عنه - (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت فى حديث الإسراء حين رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) الأنبياء فى السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله - عز وجل - فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت فى الصحيحين عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال اليهودى فى قسم يقسمه: لا والذى اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فطلم بها وجه اليهودى، فقال: أى خبيث؟ وعلى محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ فجاء اليهودى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فاشتكى على المسلم، فقال

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فلكون من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء) وفي رواية (لا تفضلوا بين الأنبياء) فالجواب من وجوه: أحدها: أن هذا قبل أن يعلم بالتفصيل، وفي هذا نظر. والثاني: أن ما قاله من باب الهضم والتواضع. والثالث: أن هذا نهى عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الاختصاص والتشاجر. الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والمصيبة. الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله - عز وجل - وعليكم الانقياد والتسليم والإيمان به.

وعن ابن مردويه عن أبي سعيد [٨]: آدم في السماء الدنيا، تعرض عليه أعمال نريته، ويوسف في السماء الثانية وأبنا الخالة يحيى وعيسى في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فادم جسيم كأنه من رجال الزُّط) وفي رواية عن جابر زيادة (وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم - يعني نفسه).

وعن أبي زر - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (أول الرسل آدم، وآخرهم محمد، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى،

وأول من خط بالقلم إدريس).

وعن علي رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (سيد الناس آدم، وسيد العرب محمد، وسيد الروم صهيب، وسيد الفرس بطمان، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد الشجر السدر، وسيد الأشهر المحرم، وسيد الأيام الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي، أما إن فيها خمس كلمات في كل كلمة خمسون بركة) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (إن الله - تعالى - اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة) ونقل ابن عساكر عن الحسن مرسلا: (قال يحيى بن زكريا يا عيسى بن مريم أنت روح الله وكلمته، وأنت خير مني، فقال: بل أنت خير مني، سلم الله عليك، وسلمت على نفسي).

الهوامش:

(١) د محمد البهي: الدين والحضارة الإنسانية ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢.

(٣) ابن اسحق بن محمد الثعلبي: قصص الأنبياء ص ٢.

(٤) فتح الباري ج ٦ ص ٥٧٩.

(٥) ج ٤ هامش على مستند الإمام أحمد ص ٣١٨ وما بعدها.

(٦) فتح الباري ج ٨ ص ١٢٦.

(٧) منتخب كثر العمال ج ٤ ص ٣١٨.

(٨) منتخب كثر العمال ج ٤ ص ٣١٩ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٧٤، ٤٧٧.

ولقد كان هناك ما يشبه الإجماع بين المستشرقين على أن العالم العربي والإسلامي يعيش أزمة عميقة، حضارية وثقافية وحياتية فتحت الطريق أمام المد الإسلامي، وساعدت على تعاظمه، باعتباره «البديل الإسلامي» المناسب لذاتية الأمة وهويتها، الراضة لتقليد النموذج الحضاري الغربي في التحديث.. وذلك، يعد فشل النموذج العربي العلماني - بشقيه: الليبرالي الرأسمالي.. والشمولي الاشتراكي - في تحقيق مقومات النهوض للعرب والمسلمين في أي من ميادين النهوض.. وفشل نظم الحكم، التي حكمت في حقبة ما بعد الاستقلال، في حل الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وذلك لتلقيها للنموذج الغربي، وغرقها في الفساد والاستبداد.. وكرد إسلامي على الإذلال الاستعماري للقوميات الإسلامية، الذي حاول تجريد هذه القوميات من ثقافتها وتاريخها.

نعم.. كان هناك ما يشبه الإجماع على هذه المعالم للأزمة الحضارية التي يعيشها العرب والمسلمون، والتي أفرزت وأبرزت هذا «البديل الإسلامي»، الذي تعلق به الجماهير عندما بشرتها به الحركات الإسلامية المعاصرة.

فالمستشرق الأمريكي «جون إيسنويستو» يرى هذه الظاهرة طبيعياً تماماً..



ففي سياق الإحياء الديني العالمي، والشامل لمجتمعات وديانات عديدة، يجب أن نفهم

بقلم الفكر الإسلامي: أ.د. محمد عاروة

- مصر -

كانت القضية الرئيسية الثانية في «ملف» (الوسط) - الذي استطلعت فيه آراء علماء الاستشراق في الظاهرة الإسلامية - «الأصولية» هي: الأسباب التي أثمرت وأبرزت هذه الظاهرة، على نحو غير مسبوق في التاريخ العربي والإسلامي الحديث؟

واقده طوف كثير من المستشرقين حول هذه القضية، فجاءت إجاباتهم - مجتمعة - لتحيط بكل الأسباب الذاتية والموضوعية.. الداخلية والخارجية.. الحضارية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية.. الخ.. الخ.. بحيث لم تغادر إجاباتهم سبباً من الأسباب - الرئيسية أو الثانوية - التي أفرزت وأبرزت المد الإسلامي على هذا النحو المثير!..

أسباب

صعود المد الإسلامي

«المسجد» نقطة وحيدة للضوء، ومكانا للقاء، قادرا على إحياء الآمال كي تنبض من جديد في قلب الثقافة العربية والإسلامية. لقد عززت الأيديولوجيات الغربية عن توفير إجابات لمشاكل العالم الإسلامي، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لأزمات الشعوب الإسلامية، تماما كما عجزت عن توفير الحلول للشعوب الأخرى. وولدت هذه الأفكار ربود فعل سلبية جدا، لأنها بالإضافة إلى عجزها، كانت مستوردة من بلاد استعمارية قديمة وجديدة، في الوقت ذاته لم تتمكن القوى السياسية المحلية، في العديد من البلدان الإسلامية، من العثور على مخارج مناسبة للآزمات التي تعاني منها بلادها، ولآزمات المنطقة. وأعتقد أن «المسجد» أصبح في ظل وضع كهذا، نقطة الضوء واللقاء الوحيدة القادرة في أضعف الاحتمالات على حل الإشكالات الوجودية، وإحياء الآمال كي تنبض من جديد في قلب الثقافة العربية والإسلامية.

وتبني المستشرقة الألمانية «جورون كرامر» وجهة نظر مماثلة، فتري في الحركات الإسلامية البديل - المؤمن بعلاقة الدين بالدولة - للفشل السياسي والاقتصادي والثقافي الذي وقعت فيه نظم ما بعد الاستقلال - الليبرالية منها والاشتراكية - تلك التي لم تحقق شيئا من الليبرالية، وتحولت الاشتراكية على يديها إلى تخريب للمؤسسات وحكم بالحديد والنار، وعبادة أشخاص الحكام بشكل لا يطاق.. «إن المسألة الأصولية تحلينا بالدرجة الأولى إلى العلاقة بين الدين والدولة - فبعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمؤسسات والأنظمة التي ادعت الليبرالية لم تمارس ولو عنصرها واحدا من عناصر الليبرالية كما هو متعارف

للصحوة الإسلامية، التي لا ترفض «التحديث» بإطلاق، وإنما ترفض «التغريب» والتبعية للغرب، وتقدم بديلا دينيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في الميادين التي أخفقت فيها الحركة العلمانية، وبديلا لفساد الطبقة الحاكمة.. «ويقول: «إن الصحوة الإسلامية نابعة من الأزمة السياسية والاجتماعية والدينية التي يشهدها العالم الإسلامي». وهذه الأزمة تشهد قضايا دينية وثقافية وأخرى تتعلق بالهوية الوطنية، والشرعية السياسية، والفشل الاقتصادي، وتأثير التبدل السريع، إضافة إلى مسائل فساد الطبقة الحاكمة، ووضع حقوق الإنسان، ويخطئ من يعتبر «الأصولية الإسلامية» مجرد تعبير عن رفض التحديث، فهذه نظرة تقتصر إلى الدقة، ذلك أن الأصولية لا ترفض غالبا إلا بعض جوانب الحداثة، فهي، في وجه من وجوهها، رد فعل على إخفاق الحركة العلمانية، وعلى إسراف الحكومات في الانتكال على الغرب أو في سياساتها القائمة على «التغريب» وفي هذا السياق لا بد من أن نلاحظ بروز طريق ثالث، أو رؤية بديلة، تتمثل في أولئك الذين لم يمنعم تعليمهم الحديث (والغربي) من اختيار التوجه الإسلامي. ومن الضروري أن نضع الصحوة الإسلامية، أو الأصولية الدينية في سياقها العالمي، ففي مناطق وديانات عدة يلاحظ المرء حضورا جديدا

متعاظما للدين في الحياة الخاصة والعامة، كما أن الصحوة الإسلامية ظاهرة ذات وجوه مختلفة ومتعددة».

والمستشرقة الإيطالية «دانيلا أمالدي» ترى في مقدمة أسباب تعاضل المد الإسلامي عجز الأيديولوجيات الغربية، والحلول الاشتراكية والرأسمالية المستوردة من البلاد الاستعمارية، عن حل الآزمات وعن الإجابة على المشاكل في العالم الإسلامي، فلم يبق سوى

• بعض الأنظمة العربية فشلت في بناء الدولة الحديثة دولة القانون والمؤسسات والأنظمة، ومن الطبيعي أن يبحث الناس عن حل للآزمات المتتالية.. فاذا بالأصوليين يرتفون أن الحل الوحيد هو تطبيق الإسلام.

«جورون كرامر»

نفسها، وبالتالي العودة في الظروف
الحالي إلى ما هو أقرب إليها، أي
إلى الدين».

روثيه «مكسيم روبنسون» على
أن العالم العربي، منذ فيجيز
محاولات نهضته الحديثة، كانت
تتنازع دعوتان إلى مشروعين
للنهوض .. مشروع علماني غربي،

ومشروع إسلامي .. فلما أصاب الإحباط المشروع
الغربي، وتراجعت قواه، فتح الطريق أمام البديل
الإسلامي، فتعاظمت قواه .. «في العالم العربي، كما
في أماكن أخرى، نشأ إحباط تجاه الأيديولوجيات
السياسية والاجتماعية الكبرى التي انتشرت في نهاية
القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .. الليبرالية
البرلمانية .. والاشتراكية أو الشيوعية .. وفقدت
صديقتهما .. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت
مجموعات في العالم الإسلامي تقول دائماً: إن حل
مشكلات العصر يتم عن طريق الإسلام، ويطالبون
بالعودة إلى مصدر الإسلام .. وكان هناك على الدوام
في كل العصور من يطالب بالعودة إلى هذه الحقبة ..
وعندما توافرت الظروف المناسبة برزت المجموعات التي
تنادي بهذا النوع من الطول، مستفيدة من الإحباط
الذي أصاب الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية
الغربية، أمة بتسلم السلطة عندما تحين الفرصة».

ويشير المستشرق الفرنسي «دوميتيك شوفالييه»
في رصد أسباب تعاظم المد الإسلامي إضافة إلى أزمة
الأيديولوجيات الغربية إلى المواجهة الإسلامية مع
الحضارة المادية، وإلى الدور المتميز للمسلمين
حضرارياً، وإلى البطالة والفساد في الواقع العربي،
وإلى الصراع العربي - الإسرائيلي .. فهذه الظاهرة
الإسلامية «متصلة بالتحويلات العالمية التي طرحت
سؤالاً على العرب والمسلمين: كيف يمكن للإسلام كدين
أو كحضارة، أن يتحمل مسؤولياته في العالم الحديث؟
كيف يمكن أن يتحول المسلمون إلى فريق خلاق في
العالم الحديث، مع الاحتفاظ بشخصيتهم وهويتهم؟ ..

**«الأصولية تستجيب
لحاجات الناس، وهي قادرة
عجزت الثقافة العلمانية عن
امتلاكها والاستجابة إليها»
«داليندا غاسباريني»**

عليها .. أما تلك التي ادعت
الاشتراكية، فقامت بتخريب
المؤسسات، وحكمت شعوبها
بالحبيد والتار، وفيها مورست
عبادة الشخص بشكل لا يطاق ..
ولم يكن هذا الفشل سياسياً
فحسب، بل كان اقتصادياً وثقافياً
 واجتماعياً ومن الطبيعي أن يبحث

الناس عن حل للأزمات المتتالية، فإذا بالأصوليين
يرتلون أن الحل الوحيد هو تطبيق الإسلام».

أما المستشرقة الإيطالية «داليندا غاسباريني»
فإنها توجز أسباب هذا المد الإسلامي في: عمى
السياسة الاستعمارية الغربية، وعجز العلمانية عن
علاج مشكلات الناس وتخفيف عذاباتهم، والخواء
الثقافي .. فهذه الأسباب قد فتحت أمام الأصولية
طريق النمو والتطور، لتستجيب لحاجات الناس،
باحتراف وامتصاص عذاباتهم ..

«فالحركات الأصولية تنمو عادة في التربة التي
غابت عنها الثقافة .. وإذا ما أمعنا النظر في الواقع
العربي، نجد خواء فاحشاً في بعض المجالات، هو نتيجة
عمى السياسة الاستعمارية الغربية .. ويتعمق هذا
العمى السياسي عندما تنمو بأن الهواية بعيدة عنا،
كما أن الأصولية تستجيب لحاجات الناس باحتواء
وامتنصاص العذابات، وهي قادرة عجزت الثقافة
العلمانية عن امتلاكها والاستجابة إليها».

ووطن «مك كيرك» تعاظم هذه الظاهرة بالتغير
الذي حدث في موازين النماذج الحضارية، ففشل
النموذج الغربي هو الذي استدعى البديل الإسلامي
«لأن الانتساب إلى مدرسة الغرب لم يعط نتائج جيدة،
ولأن تقليد الآخر ليس أمراً حسناً في حد ذاته، إذن
يجب البحث عن الطول في إطار ذاتي .. وليس تطبيق
حلول الآخر على الذات .. لقد قللت المجتمعات العربية
والإسلامية ليبرالية الغرب، وسقطت في الفساد ..
وقللت الاشتراكية، ووقعت في البيروقراطية والطقان ..
وفي مواجهة ذلك يمكن فهم عودة هذه المجتمعات إلى

هكذا وجد الاسلام نفسه في مواجهة حضارة ليست مادية بحتة فقط. وفي إطار هذه المواجهة يمكن فهم جانب من أسباب الظاهرة. هذا بالإضافة إلى البطالة والفساد والصراع العربي الاسرائيلي، وأزمة الأيديولوجيات الأوربية القومية والاشتراكية وبخاصة الماركسية.

فهى مواجهة بين خيار حضارى إيمانى، وآخر مادى، تراجعت أيديولوجياته، بعد أن صنعت للعرب والمسلمين الكثير من الأزمات، فوجد الاسلام والمسلمون الطريق مفتوحا ليتحمل الاسلام، كدين وحضارة، مسؤولياته النهضة، التى تجعل من العرب والمسلمين فريقا خلافا في العالم الحديث.

أما المستشرق الإنجليزي «هوى بابا» فيرى الظاهرة الاسلامية جزءا من ظاهرة عالمية، ترفض العلمانية والمادية والتحديث الأوربي. يشقيه الليبرالي والشيوعي. الذى حرم شعوب العالم الثالث من تاريخها وثقافتها. «فالقضية الأساسية هى التحول الذى تشهده دول وثقافات عدة عن الأيديولوجيات العلمانية إلى نماذج ومثل أصولية دينية». فالحركات الأصولية تتفق في خيبة الأمل من السياسة الاجتماعية والثقافية الليبرالية الديمقراطية ومن العقلانية الاجتماعية التى نهضت عليها هذه السياسة. ومن التحديث الذى يمثل حركة معاكسة للأصولية، إن وعد التحديث، سواء أتى من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي، كان وسيلة لحرمان شعوب العالم الثالث من تاريخها المستقل. وفي هذا السياق تظهر حركات معارضة أفكار وقيم علمانية تحديثية أوربية التمرکز، وهذه المعارضة أصولية دينية لا تقوم على تصورات مادية أو مستوحاة من الشيوعية التى توأمت مع المشروع التحديثي إلى درجة ما.

وعند المستشرق الإنجليزي «فيرهايلدي» نجد المد الاسلامي: الرد السياسي الاجتماعى على المشكلات التى صنعها التحديث الغربي، الذى فقد مصداقيته. «والبديل للنظم العلمانية واليسارية» سببة السمة. «فهذه الحركات ذات رد سياسي اجتماعي

على مشاكل حقيقية تعيشها مجتمعاتها: ظروف ازدهار مدينى، ودول فاسدة وتأثير وإهانة خارجيان، وتغير ثقافي، في الماضي كانت الحركات اليسارية، أو تلك العلمانية الشعبية، مصدر الرد على هذه المشاكل، إلا أن سمعة اليسار لا تقل سوءا عن سمعة بعض الأنظمة اليمينية وهي قد اشتركت كلها في مشروع علمانى تحديثي فقد صدقته حاليا».

ويفصل المستشرق الإنجليزي «رون أوستن» أسباب هذه الظاهرة الاسلامية في نقاط موجزة، فيراها ثمرة لغلبة العدالة الاجتماعية. وأزمة الهوية - وحدة تأثير الأزمنة على الشباب. وسقوط الحلول ذات النماذج الغربية. «والثقة في الحل الإسلامى لهذه

«لقد قلنت

المجتمعات العربية

والاسلامية ليبرالية

الغرب وسقطت في

الفساد، وقلنت

الاشتراكية ووقعت في

البيروقراطية

والطغيان، وفي

مواجهة ذلك عانت

المجتمعات الى ما هو

أقرب اليها .. الى

النين»

«جاك بيرك»

«الاستعمار

الغربي حاول تجريد

القوميات من هويتها

الاسلامية وثقافتها .

«والصحوة

الاسلامية نابعة من

الأزمة السياسية

والاجتماعية والدينية

التي يشهدها العالم

الاسلامي»

«جون

ايسبوسيتو»

العدالة الاقتصادية والاجتماعية».

وعند المستشرق الإنجليزي «ديريك هوبود» نجد هذه الظاهرة الإسلامية: البديل الإسلامى المرشح لبناء حياة ومجتمع جديدين، ولحل مشكلات التنمية الاقتصادية، ولتأكيد الشخصية والهوية التى تتعرض «للأمركة» الطاغية.. والقادر على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن تدخل الأجانب وتأثيرهم، وذلك بعد أن فشلت الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية في حل أزمت العالم الإسلامى.. فهى السبيل إلى «إعادة تأكيد القيم الإسلامية في العالم العربي» - هى رد فعل على فشل الأيديولوجيات الأخرى في حل المشاكل الحاضرة.. والاعتقاد بأن الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية قد أخفقت يؤدى إلى طرح الإسلام بديلا يقدم الحلول المرجوة.. وهو أيضا وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الأساسية وحمايتها من «الأمركة» الطاغية التى يتعرض لها نمط الحياة. والإسلام، أيضا، قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها، وهذا يقضى إلى الإيمان بأن إقامة المجتمع الإسلامى المثالى ستتيح معالجة كل شيء».

ولا يختلف الأمر، في تشخيص أسباب المد الإسلامى، عند المستشرق الروسى «أرتور سعاديف».. فهو يرى هذه الظاهرة: رد الفعل الإسلامى، الذى يقدم الشريعة بديلا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وحقوقيا وأخلاقيا لبناء «الأمم» الذى غاب في التحديث الغربى - الليبرالى والقومى والاشتراكى - ذلك الذى قاد إلى أزمت في الاقتصاد والهوية.. «فالحركات الأصولية هى حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل من نتائج التحديث التى حققتها بعض الأنظمة العربية.. ففي المجال الاقتصادى، قاد هذا التحديث إلى نمو التضخم والبطالة وأزمة السكن.. وفي المجال الروحى، إلى أزمة الهوية.. وبما أن التحديث جرى تحت شعارات الليبرالية والقومية والاشتراكية - وهى شعارات اعتبرت «مستوردة» من

الازمات وعنده أنه

«يمكن تلخيص أسباب بروز هذه الظاهرة بما يأتى: أ - الرغبة في وضع معيار للعدالة الاجتماعية، إذ هناك فجوات أخذت بالانتساع بين الغنى والفقر. ب - أزمة الهوية: فلقد تمخضت المرحلة الكولونيالية وما تلاها عن أزمة هوية في معظم أجزاء العالم العربى، بعدما صيغت هيكلية القوانين والأنظمة وفق نماذج غربية. ج - حدة تأثير الشرور الاجتماعية الناجمة عن الفقر، وضعف الأمل بالعثور على عمل بالنسبة للشباب. وفي ظل القياب الواضح لى حل آخر يشعر كثير من الشباب بأن الإسلام قد يكون وسيلة التحديث والحفاظ على الهوية وتحقيق مستويات أعلى من

ب - أزمة الهوية: فلقد تمخضت المرحلة الكولونيالية وما تلاها عن أزمة هوية في معظم أجزاء العالم العربى، بعدما صيغت هيكلية القوانين والأنظمة وفق نماذج غربية.

ج - حدة تأثير الشرور الاجتماعية الناجمة عن الفقر، وضعف الأمل بالعثور على عمل بالنسبة للشباب.

وفي ظل القياب الواضح لى حل آخر يشعر كثير من الشباب بأن الإسلام قد يكون وسيلة التحديث والحفاظ على الهوية وتحقيق مستويات أعلى من

«* «لقد عجزت الأيديولوجيات الغربية عن توفير الاجابات لمشاكل العالم الإسلامى، ولم تتمكن المذاهب الاشتراكية والرأسمالية من توفير حلول لازمت الشعوب الإسلامية.. واعتقد ان المسجد أصبح في ظل وضع كهذا نقطة الضوء الوحيدة القادرة على حل الإشكالات»
«دانيلا أمالدي»

«* «إعادة تأكيد القيم الإسلامية، وسيلة لإعادة تأكيد الشخصية والهوية الأساسية وحمايتها من (الأمركة) الطاغية، والإسلام يمثل قاعدة بناء مجتمع وحياة جديدين توفران حولا لمشاكل التنمية الاقتصادية كلها.. وإقامة المجتمع الإسلامى المثالى ستتيح معالجة كل شيء».

«ديريك هوبود»

اهتمام بقتمية مجتمعاتها، فستبقى الأسباب المولدة للتطرف الذي يجد في شعارات الاسلام السياسي ملجأ له... **والخيار الديمقراطي**

وعند المستشرق الإسباني «بيخرومارتينيث مونتانيث» هي «نتيجة حتمية لأخطاء كثيرة تتراكم منذ عقود. وهي الخيار الطبيعي أمام الإحباطات والإخفاقات السابقة. فالإسلام هو المسوغ الهيكلي والجوهري لجميع الشعوب والنول والمجتمعات العربية».

وفي رأي المستشرق الهولندي «روبولف بيتزن» فإن هذه الحركات الاسلامية تمثل الرفض الجماهيري لخيار المؤسسة الاستعمارية الغربية - في الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية - الذي طرحته على يد أقلية منتقاة - وهو خيار مقطوع الصلة بجذور المجتمع وأصوله العربية والاسلامية... فجنود المشكلة تمتد إلى الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن، عندما طرحت المؤسسة الاستعمارية الغربية خيارها الخاص في العالم العربي على يد

أقلية منتقاة، وليس عبر الغالبية الواسعة من السكان، متبينة أهدافا مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية، وهي قوالب لم تكن لها جذور أو أصول في المجتمع الاسلامي والعربي».

ولا يختلف الأمر عند المستشرق الروسي «الكسندر سميرنوف» الذي يراها: الزد على التشويه الغربي للعنف للأصول الروحية والثقافية الاسلامية، والمواجهة للإذلال القومي والتشويه الاقتصادي الذي مارسه الاستعمار الغربي في العالم الاسلامي... «فالعنف والارهاب يقويان في البلدان التي استعمرها الغرب بالقوة، أو جعلت ذات طابع غربي بالقوة، فتشوهت أصولها الروحية وثقافتها، وفي كثير من النواحي اقتصادها أيضا... فكان نمو التطرف

الغرب - فالتحديث أيضا كان يعنى التطبع بطابع الغرب» ولهذا أصبحت الصفة الجامعة للحركات الاصولية: العداوة لما هو غربي، وأخذت شكل الدعوة إلى إقامة أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحقوقية وأخلاقية أساسها الشريعة الاسلامية».

ومثل ذلك نجده عند المستشرق الأمريكي «جون فول»... فهذه الحركات «هي أسلوب الرد على فشل برامج سياسية حديثة، وعلى أساليب حياة وقناعات تندرج في هذا السياق».

وهي عند المستشرق الايطالي «سلفاتورى بونو» ثمرة «خيبة الأمل، بسبب عدم انطلاق التطور الاقتصادي والاجتماعي، بعد انتهاء المرحلة الاستعمارية، لذا اعتبرت العودة

إلى تطبيق المبادئ الاسلامية وسيلة للانعتاق الاقتصادي والاجتماعي، وأحدث هذا التفسير الجديد تغييراً في الحركات الدينية، محولا إياها إلى تنظيمات ذات برنامج سياسي».

أما المستشرق الروسي «فيتالي ناومكين» فيرى هذه الظاهرة الاسلامية: الطريق

الاسلامى للأصالة القومية، وإحماية المصالح الوطنية، بعد فشل التحديث في حل المشكلات الاجتماعية، وتزايد حدة الفوارق الاجتماعية، والتبعية الاقتصادية للغرب... إنها «تعود» قبل كل شيء، إلى أسباب اجتماعية، وفي درجة أقل إلى أسباب سياسية... إنها تنشط أكثر ما تنشط حيث تجرى محاولات لتحديث أعمق، لم يسفر عن نتائج فيتسلح النشطاء الاسلاميون بأفكار الأصالة القومية، وحماية المصالح الوطنية... وما دامت هناك هوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء في إطار البلد الواحد، وفي مستويات التطور بين مختلف البلدان... وما دامت الرساميل العربية تجلب الازدهار للغرب، وتلبس دورا في تطوره من دون

«الحركات الاصولية هي حركات احتجاج نتجت من خيبة الأمل في الأنظمة العربية التي طبقت الأنظمة الليبرالية والقومية والاشتراكية»
«أرثر سعاديف»

الإسلامي كرد فعل جمعي على الإذلال القومي».

وحتى ظاهرة العنف في الحالة الإسلامية، تراها **المستشركة الإيطالية «إيزابيلا كاميرا دافليتو»** ناشئة عن: السياسة الاستعمارية الغربية.. والامبريالية الثقافية.. والاستعمار الجديد.. وغياب الديمقراطية والحرية.. وأخطاء الزعامات العربية.. «فالظاهرة الأصولية العنيفة، هي وليدة للمصاعب التي تجتازها بعض البلاد العربية، وبالأذات على الصعيد الاقتصادي لكن حتى هذه المصاعب الاقتصادية ليست وليدة اليوم، وإن كان للزعامات الحالية دور في تعميقها، فهي وليدة السياسة الاستعمارية والامبريالية الثقافية، والاستعمار الجديد. لذا، ففي اعتقادي ان مسؤولية الغرب في هذا

الإطار كبيرة وثقيلة.. فأخطاء الزعامات العربية، وغياب الديمقراطية والحرية في العديد من البلدان العربية، من العوامل التي تساهم في شق الطريق أمام صعود تيارات عنيفة تستفيد من غضب الناس».

ونون خروج عن جوهر الموقف الاستشراقي - الذي عكسه

«ملف» [لوسط] - في تحديد أسباب بروز الحركات الإسلامية.. يرى **المستشرق الألماني «أوبوشتاينباخ»** أنها ثمرة لتراجع شرعية النظم الحاكمة بسبب الأزمة العميقة في ميادين الثقافة والاجتماع والاقتصاد.. وإخلاقيات الغرب المزبوجة في التعامل مع القضايا الإسلامية، التي أدت إلى هزيمة قيمه، وهزيمة المثقفين الباحثين عن حلول للأزمة مؤسسة على هذه القيم الغربية.. هذه الأسباب قد أكسبت الحركات الإسلامية شرعية نسبية، عندما وعدت الناس بحلول تخرجهم من أزمتهم العميقة.. إنها «الأزمة الثقافية والاجتماعية العميقة التي يتخبط فيها العالم العربي».. أعطت شرعية نسبية للحركات الإسلامية التي قدمت وعوداً بحلول للمشاكل المطروحة... ويتحمل الغرب

عامة، وأوروبا على وجه التحديد، جزءاً من المسؤولية. فالغرب مطالب بإظهار مصداقيته أكثر من أي وقت مضى، وهو مطالب أيضاً بتجنب الأخلاقية المزبوجة.. إن استمرار الحرب في البوسنة مثلاً، يعطي الفرصة للمتطرفين الإسلاميين كي يعمقوا الهوة بين شعوبهم وقيم الغرب، ويهزموا المثقفين الساعين إلى إيجاد حلول واقعية وعقلانية للأزمات الراهنة».

ويرى المستشرق الإسباني «قرنانودي أغريدا» أن الظاهرة الإسلامية هي الرد على الأزمة الاقتصادية والسياسية.. وتدخلات القوى الكبرى في شئون العالم العربي.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب «إنها تعود إلى أسباب عدة، أهمها الأزمة العامة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي وتكاد تشمل كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهي تعتبر أيضاً رداً على تدخلات بعض الدول الكبرى.. وانقطاع الحوار الثقافي بين الشرق والغرب».

«* الإسلام هو المسوغ الهيكلي والجوهري لجميع الشعوب والنول والمجتمعات العربية»
«بيرومارتنيت»

وتذكر المستشركة الألمانية

«أرلموته ميلر» من أسباب بروز المد الإسلامي: أزمة الثقة بين الحكوميين والحكام.. وتعميق الجراح القديمة بين الشرق والغرب.. وذلك بسبب: عجز نظم ما بعد الاستقلال عن تحقيق الآمال.. وتحول الحركات التي قادت التحرير الوطني إلى أجهزة قمع للحريات ونهب للثروات.. والهزائم المتتالية في الصراع العربي - الإسرائيلي.. «فالاستقلال لم يحقق الآمال المنشودة» وفي أغلب البلدان العربية، تحولت الأحزاب والحركات التي قادت النضال التحرري إلى أجهزة القمع والإرهاب والرقابة بالإضافة إلى هذا وقع نهب شبه منظم من قبل الطبقات الحاكمة، والفئات الاجتماعية الوألية لها لخيرات البلاد، مما عطل حركة النمو الاقتصادي، وأهدر الطاقات وتسبب في أزمات خطيرة.. والهزائم

المسؤولون عن «اعتقاد الأصوليين بامتلاك الحقيقة دون الآخرين»!

على هذا النحو كان حديث المستشرقين عن أسباب بروز الظاهرة الإسلامية .. مع إضافة المستشرق الفرنسي «بيارتيه» : «انتصار الثورة الإسلامية في إيران» إلى هذه الأسباب .. وإضافة المستشرق الهولندي «يوهان يانسن» «الخوف من التطور التكنولوجي الزاحف الذي يحكم سيطرته على كل مرافق الحياة في المجتمع المعاصر» وإن كان المدقق لحال العالم العربي والإسلامي يلاحظ إنه وإن خاف من الاغراق الثقافي الغربي، فإنه فقير ومشوق إلى «التطور التكنولوجي الغربي»، ولا يخاف منه زحفاً! ..

لقد تفاوتت مواقف المستشرقين في الإيجاز والتفصيل لأسباب بروز الظاهرة الإسلامية .. وكذلك في التركيز على بعض جوانب وعوامل بروز هذه الظاهرة، تبعاً لتنوع مناهج ومذاهب وتخصصات كل منهم .. لكنهم جميعاً اتفقوا على أن هذه الظاهرة هي ثمرة طبيعية تماماً لأزمة حضارية صنعها الغرب والنظم التي حكمت بأيديولوجياته في مختلف ميادين حياة وفكر وثقافة العرب والمسلمين ..

لقد أدان هؤلاء المستشرقون الغربيون ما صنعته الغرب بالعرب والمسلمين، على النحو والمستوى الذي لا يقطع كثير من «المثقفين» العرب والمسلمين .. وهذا هو الفارق بين «الطغاة الأتمة» وبين «التلاميذ المقلدين» .. لقد اجتمعت كلمة هؤلاء المستشرقين على أن الأصولية الإسلامية هي التعبير عن البديل الراض للنموذج الغربي الطماني، الذي فشل في إنهاء العرب والمسلمين .. والراض للإذلال الاستعماري للقوميات الإسلامية .. والراض للتفريب الذي هدّد هوية الأمة وثقلتها وتاريخها .. وبغير هذا «الملف» الذي قيمته (الوسط) ما كان لنا أن نرى هذه الموضوعية التي تستحق كل الاحترام ..

«للحديث صلة»

المتتالية التي منيت بها الجيوش العربية في الصراع العربي الاسرائيلي، فتحت أبواب اليأس على مصراعها، وعمقت الجراح القديمة بين الشرق والغرب، وخلقت حالة من انعدام الثقة بين الحكوميين والحكام .. وأعتقد أن ظاهرة الأصولية هي نتيجة طبيعية لهذا الوضع المتأزم الذي يعيشه العالم العربي منذ ما يزيد على العشرين عاماً ..

وعلى هذا الدرب، الذي اجتمع فيه المستشرقون واجمعوا على أن بروز هذه الظاهرة الإسلامية إنما هو نتيجة طبيعية لأزمة حضارية وثقافية واقتصادية واجتماعية زلزلت هوية العرب والمسلمين، وشارك في صنعها الغرب واستعمار واستغلاله وأيديولوجياته، مع النظم التي حكمت العرب في حقبة ما بعد الاستقلال، والألفية المثقلة التي تولت التشير بأيديولوجيات غربية مرفوضة من الجمهور .. على هذا الدرب سار المستشرق الهولندي «بان بروخمان» عندما رأى في الظاهرة الأصولية: «محاولة الإصلاح الثالثة، بعد فشل المحاولة القومية، والفساد الاشتراكي» .. والمستشرق الأمريكي «روجر أوين» الذي أرجعها إلى «خيبة الأمل من جراء فشل حكومات ما بعد الاستقلال في خلق نظام سياسي واجتماعي - اقتصادي عادل وغني وسليم» .. والمستشرقة الآسيانية «مرثيدس ديل أمو» التي أرجعتها إلى «الفقر والجهل» .. والافتقار إلى علاقات دولية عادلة .. وإغلاق طريق الحصول على التعليم والصحة أمام العالم الثالث .. والاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين» ..

وبمناسبة «الاعتقاد بامتلاك الحقيقة دون الآخرين» .. كسبب من أسباب هذه الظاهرة .. هل للمرء أن يسأل أساتذة الاستشراق الذين نسبوا إلى «الآخرين» كل هذا الفشل .. والمسئولية عن الأزمات التي زلزلت هوية الأمة، وشوهت تاريخها، وأذلت كبريائها القومية، وحرمتها من مقومات الحياة .. هل يعتقدون أن لدى هؤلاء «الآخرين» «حقيقة» يدعون إلى الاعتراف بها وإلى احترامها؟! أم أن هؤلاء «الآخرين» هم أيضاً

رعاية الطفولة والأمومة في التراث الطبي

تعتبر الرعاية الصحية للطفولة والأمومة من أهم منجزات الطب في العصر الحديث... ولا شك أن رعاية الطفولة التي تشكل نسبة عالية من السكان في العالم النامي ومنه البلاد الإسلامية (عربية وأعجمية)، تعتبر حجر الزاوية في الرعاية الصحية الأولية والطب الوقائي... ففي البلاد الإسلامية (باكستان، بنجلاديش، اندونيسيا... الخ) والبلاد العربية (مصر - العراق - السودان - المغرب - الجزائر - اليمن - السعودية) يشكل الأطفال أقل من ١٥ سنة حوالي ٤٥ بالمئة من السكان [١] وتشكل الامهات اللاتي لديهن أطفال أقل من ١٥ سنة) أو هن في مرحلة الحمل ما لا يقل عن ٢٠ بالمئة من السكان في هذه المناطق [٢].

وهذا ببساطة يعنى أن رعاية الطفولة والأمومة تمثل رعاية ما لا يقل عن ٦٥ بالمئة من جميع السكان. لهذا نجد أن الاسلام بتعاليمه الشمولية قد اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من إنجازات باهرة في القرن العشرين خاصة.

ولذا نجد أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الاسلام قد اعتنى عناية فائقة بالأمومة والطفولة ووضع التشريعات التي تكفل حقوقهما في إطار تشريعات الاسرة... ولم يكتف القرآن الكريم بوضع هذه التشريعات التي تلزم المجتمع والافراد بتنفيذها وهو ما يعرف لدى الفقهاء بوجوبها قضاء (أي أن التقاعس في تنفيذها يجعل الحق للقاضي في تنفيذها عنوة)، بل تعدى ذلك الى ما يمس شغاف القلب فوضع تشريعات تلزم المجتمع بتنفيذها ديانة، أي أن التقاعس عن تنفيذها...

يؤدى الى المساسلة في يوم الحساب العسير... وهو أمر



بقلم: د. محمد علي البار
مستشار الطب الاسلامي - جدة

يضطرب له كيان كل من داخل الايمان شفاف قلبه .

كما نجد المصدر الثاني للتشريع وهو السنة المطهرة حافلة برعاية الامومة والطفولة، حاثّة على تنفيذ ما جاء بها من تعليمات راقية قضاء وديانة .

ولم يكتف علماء الاسلام الاجلاء بتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة في مؤلفاتهم العديدة بل أفردوا لرعاية الطفولة والامومة كتابا كاملة أو ألوانا كاملة من كتبهم الفقهية والدينية العامة والطبية .

أطباء المسلمين ورعاية الامومة والطفولة:

وإلّا أبى بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٠٢هـ - ٣١٣هـ / ٨٦٥ - ٩٢٥) كان أول من ألف رسالة كاملة عن أمراض الأطفال والعناية بهم . وقد تم تأليف هذه الرسالة في حدود سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م وقد ترجمت هذه الرسالة الى العديد من اللغات وترجمها الى اللغة الانجليزية صامويل رانبل ونشرها في مجلة أمراض الأطفال الأمريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١) عن اللغة الإيطالية . وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بترجمتها الى اللغة العربية (المؤتمر القطري للطفولة ٩ - ١٣ كانون الأول ١٩٧٩م بغداد) [٢] كما أفرد الرازي فصولا ضافية لرعاية الطفولة والامومة في كتابه الموسوعي الحاوي الذي قالت عنه المستشرقة الالمانية

«ريغزريد هونكه» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» إنه ظل المرجع الاساسي للطب في أوروبا لمدة أربعة قرون [٤] .

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه المنصوري في تدبير الأطفال وتكلم فيها عن كيفية العناية بالوليد ثم

كيفية الرضاعة والنظام واختيار الرضعة وتدبيرها ... الخ [٥] .

وألّف الرازي أيضا كتابه المشهور: «كتاب في الجدرى والحصبه» الذي ترجم الى اللغات الأوربية منذ عهد يعقوب . وكان هذا الكتاب كما تقول «ريغزريد هونكه» آية من نوعه وقد نشر في أوروبا أربعين مرة ما بين عام ١٤٩٨ - ١٨٦٦م [٦] وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرق الرازي تفريقا تاما بين الحصبه والجدرى . وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما .

وقد سبق الرازي مجموعة من الأطباء كتبوا عن طب الأطفال ورعاية الأمومة ولكنهم لم يفعلوا مثله بافراها بكتب مستقلة نذكر منهم علي بن سهل الطبري المروزي (ومدينة مرو في تركمستان في الاتحاد السوفيتي حاليا) . كان - يهوديا وقيل بل كان نصرانيا - قاسم على يد الخليفة العباسي المعتصم فقربه اليه وجعله من خاصته . وقد اشتهر باسم ابن رين الطبري نسبة الى جده . وله كتاب فردوس الحكمة الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب باللغة العربية .

وقد خصص ابن رين الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة عن تربية الأطفال وحفظ صحتهم .

وله أيضا كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الاطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب في ترتيب الأغذية . وفي هذه الكتب تحدث عن الحاصل والمرضع وغذاشهما كما تحدث عن أمراض الأطفال المناسبة لهم .



وقد عاش ابن ربن الطبري في القرن الثاني والثالث الهجري ١٥٢ - ٢٤٧هـ (٧٧٠ - ٨٦١م) [٨] - وكان مقربا للمعتصم ثم للمتوكل واشتهر بالحكمة والطب.

ويعتبر يوحنا بن ما سويه (١١١ - ٢٢٤هـ) (٧٧٧ - ٨٥٧م) المعاصر لابن ربن الطبري أحد الأطباء القلائل الذين أفردوا الجنين بمقالة مستقلة. وتعتبر هذه المقالة أول مؤلف مستقل في علم الاجنة باللغة العربية. وتبدأ الرسالة بهذه الجملة: «إن أول ابتداء الانسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة» [٩]. وهذا أمر لم يكن معروفا في الطب حيث كان الاعتقاد السائد هو أن الجنين إنما يتكون من دم الحيض كما كان أرسطو يقول. والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان أوضحا بكل جلاء أن الجنين إنما يتكون من نطفة الرجل ونطفة المرأة حينما يمتشجان ويختلطان فيكونان بذلك النطفة الامشاج [١٠، ١١].

وكتب ثابت بن قرة الحنولي سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠ مجموعة من التأليف المتعلقة بطب الأطفال وهي:

(١) - جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

(٢) رسالة في الجدري والحصبة.

(٣) مقالة في صفة كون الجنين.

(٤) الأخيرة في عالم الطب وفيه فصل عن أوصاف الطبيب وحفظ الصحة. ابتداء من الجنين إلى المولود فالطفل فالصبي فالبالغ.

ويعتبر حنين بن إسحاق العبادي (١٩٤ - ٢٩٠هـ / ٨١٠ - ٨٧٣م) أحد العلماء الاعلام الذين قريهم المأمون واشتغلوا له بالترجمة والتأليف [١٢]. وقد كتب في طب الأطفال عدة كتب منها كتاب المولود لسبعة أشهر وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر ومقالة في كون الجنين وكتاب في البن [١٣].

وقد ساهم أحمد بن محمد الطبري (٣٢٠ -

٣٦٦هـ) بكتابه المسمى المعالجات البقراطية «نسبة إلى أبي قراطه، حيث ساهم في الكتابة عن رعاية الأطفال وعلاجهم. وقد تحدث في كتابه هذا عن علل الأطفال وتدابيرهم حين يولدون وأداب المرضعة. . . وتحدث عن أنواع الجرب الذي يصيب الطفل. . . ويعتبر أول من اكتشف حشرة الجرب حيث يقول: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيرة: منها رطب يسيل مدةً وصديداً وأكثر حدوده للرأس. . . شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان (أي مثل صبيان القمل) وهي مختلفة الصور» [١٥]. . . ويتحدث كذلك عن حالات صرع الأطفال وأنها قابلة للبرء والشفاء بعكس حالات الصرع في الكبار التي تكون مزمنة. . . وتحدث كذلك عن الكزاز (الاصطكاك) وهو التتاتوس ووصفه وصفا جيداً في الأطفال.

وقد قسم الطبري حالات استرخاء الأطفال إلى نوعين مكتسب ووراثي. كما تحدث عن مختلف الأمراض التي تصيب الأطفال ابتداء من الجهاز الهضمي إلى الجهاز التنفسي إلى الأنف والأذن إلى أمراض العيون إلى النواحي النفسية. . . إلى غذاء الطفل في مختلف مراحل عمره من حين ولادته حتى تنبت أضراسه.

وظهر ابن الجزار القيرواني (أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد) كأحد الأطباء البارزين في المغرب في القرن الرابع الهجري (٢٨٥ - ٣٦٩ وقيل وفاته سنة ٣٧٧هـ) وله كتاب سماه «سياسة الصبيان وتدابيرهم» وهو من الكتب الهامة في رعاية الطفولة. وقد حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيلة عام ١٩٦٨. وقد قال ابن الجزار في مقدمة كتابه هذا ما يلي: «إن معرفة سياسة الصبيان وتدابيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين من ذلك كتاباً كاملاً شافياً بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى. . . وقد قسم المؤلف الكتاب إلى اثنين وعشرين باباً تناول فيها تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم ثم صفة المرضعة

وصفة لبن الظئر - وأطعمتها وأشربتها وسبب قلة لبنها وكيفية تدبيرها ثم تناول الامراض التي تصيب الاطفال حسب أعمارهم والامراض الخلقية وأنواعها - وأنهى كتابه بالتحديث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وقد وضع عريب بن سعد الكتب القلطية التي عاش في عهد المستنصر بالله (٢٥٠ - ٣٦٦هـ) كتابه «خلق الجنين وتدبير الصبالي والمولودين» وذلك عام ٢٥٢هـ بإشارة من المستنصر بالله.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التي جمعت رعاية الامومة في فترة الحمل والرضاعة ورعاية الطفولة منذ بداية الحمل الى الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة.

وقد نشر هذا الكتاب في كلية الطب والصيدلة بالجزائر سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م وحققه وترجمه الى الفرنسية الأستاذ نور الدين عبد القادر وهنري جاييه.

وكتب علي بن العباس المجوسي (المتوفى نحو سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٦٠م) كتابه المشهور باسم كامل الصناعة الطبية وخصص ثلاثة ابواب لطب الاطفال وهي: الباب الحادي والعشرون: ويبحث في تدبير الظئر والباب الحادي والعشرون: ويبحث في تدبير المرضعة) والثاني والعشرون ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشرة.

ملحوظة:

لم يكن علي بن العباس مجوسياً بل كان جده كذلك وغلب عليه اللقب وكان هو وأبوه مسلمين.

وظهر أحمد بن أبي الأشعث في الموصل واشتهر كطبيب ومعلم - وله في طب الاطفال «كتاب في الجدرى والحصبه والحُمى» [١٦] وكانت وفاة ابن أبي الأشعث في سنة ثلاثمائة ونيّف وستين للهجرة.

ويعتبر أحمد بن محمد البلدي العراقي من مدينة بلد (إسكى موصل الحالية) من أبرز تلامذة أحمد بن

الأشعث المتقدم نكره - ويتميز البلدي بأنه كان أحد القلائل الذين اهتموا برعاية الطفل منذ فترة الحمل الأولى ويعتبر كتابه «تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم» من أهم الكتب التي ساهم بها اطباء المسلمون في رعاية الامومة والطفولة. وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بتحقيق الكتاب ونشره في عام ١٩٨٠ عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية (دار الرشيد للنشر) وكانت وفاة البلدي عام ٢٨٠م وكتبه البلدي الى أهمية الرضاع من الأم حيث يقول: «وفي ملاسة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ صحتها» [١٧].

وقد اهتم أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٢٢٥ - ٤٠٤هـ/ ٩٣٦ - ١٠١٢م) أعظم جراح في القرون الوسطى وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لعدة قرون «التصريف لمن عجز عن التأليف» اهتم الزهراوي بجراحة الاطفال وأقرّد لها فصولا خاصة من كتابه العظيم.

واشترك أحمد بن عبد الرحمن بن منويه الاصفهاني المتوفى سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م بمؤلف في طب الاطفال أسماه رسالة في أوجاع الاطفال [١٨].

ويعتبر ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله) بحق أشهر أطباء المسلمين وأكثرهم نبوغاً وتأليفاً حيث بلغت مؤلفاته ٢٧٦ كتاباً في مختلف فنون المعرفة ابتداءً من اللغة ومروراً بالفلسفة والفقه والشعر وانتهاءً بالطب. ويعتبر القانون في الطب أشهر مؤلفات ابن سينا. ولقد بقي هذا الكتاب الفذ المرجع الأول للأطباء لمدة سبعة قرون في معظم جامعات العالم بما في ذلك جامعات أوروبا.

وابن سينا من مواليد بخارى في أوزبكستان في الاتحاد السوفيتى سابقاً - وأبوه من بلغ في شمال أفغانستان. ولقد عاش ابن سينا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٧٠ - ٤٢٢هـ/ ٩٨٠ - ١٠٢٦م) [١٩] وكانت حياته مليئة بالاضطراب حيث

ومنع من فصد دم الحامل كما منع من اعطاء الحامل مسهلات قوية وإذا كان لديها إمساك فعليها بالمليّنات الخفيفة.

٢ - تدبير المخاض والولادة: وفيها ينصح ابن سينا بتدليك الحامل قبيل الوضع في حمام ساخن ويأمر بالغذاء الجيد والمرق الدسم ويجزئ من إزعاج الحامل، ويأمر القابلة بأن تجعل الحامل تقوم بتمارين رياضية قبل الوضع حتى تقوى عضلات البطن.

٣ - اختيار الظئر (المرضعة) ويصف فيها صفات المرضعة الجيدة من امتلاء الجسم وتوسط السن غير مترهلة معتدلة المزاج خالية من الأمراض. كما يصف تغذية المرضع وعدم إزعاجها وتقريبها لمهمة الإرضاع.

٤ - تدبير الطفل في خاصته: ويشرح فيها ابن سينا كيفية العناية بالطفل حديث الولادة من حيث دهن جلده والتوسط في إرضاعه وكيفية تنظيفه وشده قناته. ومعاملته لينام نوماً هادئاً ثم تغذية الطفل بإضافة العسل كما ينصح بمناعه الطفل بصوت منغم ملحن ويتحدث عن تأثير الموسيقى عليه. كما يتحدث عن أهمية تعليمه الكلام.

ولا يكتفى ابن سينا بذلك بل يتحدث عن التشوهات في الجنين والمولود ويرجعها إلى الرحم الرديء أو ماء الرجل أو الولادة السيئة. أو نتيجة سوء رعاية المولود من ناحية تقييده أو وقوع الطفل حيث تنكسر ساقه أو يده. ثم يتحدث ابن سينا بعد ذلك عن ارتخاء العصب والتشنج وميل الرقبة. ويختم ذلك بآثر الأورام والقروح في إفساد الشكل الظاهري للأعضاء.

وقد تُرجمت أرجوزة ابن سينا إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي. ونشر الدكتور محمود الحاج قاسم الابيات الأربعين المختصة برعاية الأطفال والحوامل في مجلة العربي العدد ٢٧٢ [٢٢] كما نشرها كذلك في كتابه القيم: تاريخ طب الأطفال عند العرب [٢٣].

ولم يكتف ابن سينا بذلك كله ولكنه وضع رسالة في سياسة الرجل ولده وقد شملت هذه الرسالة:

تولى الوزارة في همدان (إيران) ثم ثار عليه الجند واستقر في اصفهان وتفرغ فيها للعلم والكتابة والتأليف فأثرى المكتبة العربية والانسانية أيما إثراء.

وقد خصص ابن سينا عدة فصول من كتابه الموسوعي في الطب «القانون» لرعاية الأطفال وجعل في الجزء الأول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

- فصل في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض.
- فصل في تدبير الإرضاع والنقل.
- فصل في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها.

- فصل في تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا.

ثم اتبع ذلك بقسم آخر سماه التدبير المشترك للبالغين وهو سبعة عشر فصلاً «معظمها في الرياضة والغذاء» ويده ذلك بقوله: لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يرتاض ثم تدبير الغذاء ثم تدبير النوم وجب أن نبدأ الكلام بالرياضة» [٢٠].

وفي الجزء الثالث من القانون وضع ابن سينا فصلاً في الحصبة والجدرى وآخر في الحميات وفصلاً في تشنج الأطفال.

وذكر ابن سينا أهمية الرضاعة من الأم فقال: «أن يرضع ما أمكن بلين أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم» ولابن سينا لفتات لطيفة في رعاية الطفل حيث يقول: «فانه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف، والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتتويم الأطفال» [٢١].

ولابن سينا أيضاً أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٢٢٦ بيتاً خصص منها أربعين بيتاً للأم والطفل في الابيات ٩١٣ إلى ٩٥٢ وقد قسمها أيضاً كما فعل في القانون إلى أربعة أقسام:

- ١ - تدبير الطفل في بطن أمه حيث يتحدث فيها عما يجب على الحامل من الاحتياط في تناول الطعام.

١ - اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة حيث يقول: إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاة.

٢ - تأنيب الطفل وعقابه منذ الصغر.

٣ - تعليم الطفل واختيار المؤدب الصالح: حيث يقول: وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً غير كز ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

ويقول: «ينبغي البدء بتعليم القرآن». «وصور له حروف الهجاء وألقن معالم الدين». وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم العقيدة. «ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق».

ويحث ابن سينا على تعليم الصبي مع أقرانه لا منفرداً «فإن الصبي غن الصبي ألقن وعنه أخذ وبه انس».

كما يهتم ابن سينا بميول الصبي وتوجيهه بعد إعطائه الثقافة الدينية الأولية حسب رغباته وميوله حيث يقول: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه، فإذا أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه وطورح الحساب وبخل به الديوان. وإن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له موافقة لكن ما شاكل طبيعه وناسبه». «فلذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي وسنبر قريحته، ويخبر نكاهه فيختار له الصناعات بحسب ذلك. فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا؟ وهل أنواته وآلاته مساعدة عليها أم حاذلة؟ ثم يبيت العزم.

وبهذه الطريقة الفذة يكتب ابن سينا عن رعاية الأمومة والطفولة في مراحلها المختلفة رعاية شاملة كاملة. «وإن كان ذلك منفرداً في كتبه ورسالته.

وإذا فإن من أتى بعد ابن سينا وخاصة من الأطباء كان عالة عليه إلى حد كبير. «ولم يأت بالجديد منهم إلا القليل وخاصة في موضوع رعاية الطفولة والأمومة اللذين نحن بصددهما». أما الفقهاء وعلماء الدين فقد توسعوا في هذا الباب من زوايا كثيرة لم يطرقها ابن سينا، وإن طرقها لم يتوسع فيها كما توسعوا. «وستكمل أولاً ما أضافه الأطباء إلى رعاية الأمومة والطفولة ثم نلتفت بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الدين والفقه».

يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي المتوفى سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٧م:

لم يضع يحيى بن عيسى بن جزلة كتاباً مستقلاً لرعاية الطفولة والأمومة ولكنه تناول ذلك بشيء من الاسهاب في كتابه: «تقويم الأبدان في تبيين الانسان» وفي هذا الكتاب فرق بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ وكيفية علاجها وقارن بينها مقارنة جيدة.

علي بن رضوان (المتوفى سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م بمصر). «وقد كتب في موضوع طب الأطفال ما يلي:

١ - «مقالة في أن جالينوس لم يخطئ في أقاويله في اللبن على ظن قوم».

٢ - رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وبداء الاسد».

أبو الحسن علي بن هبل البغدادي المتوفى سنة ٦١٠هـ / ١٢١٢م

صاحب كتاب «المختارات في الطب» الذي عقد في الجزء الاول منه أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الأطفال، ووضع فصلاً بعنوان «خلق الانسان» لخص فيه معلومات علم الاجنة إلى زمنه.

أبو مروان عبد الملك بن زهر الاندلسي: ٨٧هـ / ١٠٩٤ - ١١٦٢م

ورغم شهرة ابن زهر في الطب الا أنه لم يغرد طب الأمومة والطفولة بشيء من تأليفه بل تحدث عن

ذلك باختصار في كتابه الاغذية حيث ذكر ما يحفظ
الاجنة في الاجواف ثم القول في تبدير الطفل.

ابن النفيس (علاء الدين ابو الحسن علي بن ابي العزم القرشي المنصور بابن النفيس) ٦٠٧-٦٨٧هـ / ١٢١٠-١٢٨٨م.

أحد اعلام الطب البارزين في التاريخ الاسلامي.
صاحب التصانيف الكثيرة في الطب والفقه
وغيرهما. وأشهر كتبه في الطب شرح كتاب التشريع
من قانون ابن سينا وموجز القانون. ولم يكتف فيه
بإيراد أقوال ابن سينا وجالينوس وغيرهما من الأطباء
ولكنه انتقد بعض أخطائهم. ويعتبر ابن النفيس أول
من وصف الدورة الدموية الصغرى. كما كان أول من
وصف الشرايين التاجية المغذية للقلب وأول من أوضح
أن القلب له بطنان لا ثلاثة كما زعم ابن سينا. وأول
من كشف خطأ جالينوس في قوله «أن الجدار الفاصل
بين البطينين في القلب له فتحة ومسام».

ورغم أن مساهمات ابن النفيس في الطب كانت
رائدة وهامة إلا أن مساهماته في طب الأطفال
ورعايتهم كانت محدودة برسالة في أوجاع الأطفال.
ويبدو أن النية عاجلت ابن النفيس حيث لم يتم سوى
١٨ جزءاً من كتابه الموسوعي «الشامل في الطب» الذي
كان يزمع كتابته في ثلاثمائة جزءاً.

ابن القف (أبو الفرج بن موفق الدين بن اسحاق بن القف) كان جده من تصارى الكرك بالشام ثم اسلم وضار أبوه من اعلام الدين ولد سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٢م. تتلمذ على ابن أبي أصيبعة صاحب عيون الانباء في طبقات الأطباء وترجم له.

وله من الكتب الشافي في الطب وشرح الكليات
من كتاب القانون لابن سينا في ستة مجلدات. وله
مقال في حفظ الصحة. وكتاب «العمدة في صناعة
الجراح» وهو كتاب فذ في علم الجراحة.
وقد جمع في كتبه هذه فصولاً تتعلق برعاية

الامومة والطفولة. وفي كتابه «جامع الغرض في حفظ
الصحة ودفع المرض» تكلم عن تكوين الجنين وحفظ
صحة الحبالى وحفظ صحة الرضيع والمرضع. وحفظ
صحة الطفل قبل الطعام وبعده. وفي أيام الصبا
والشباب والكهولة.

وتكلم في كتاب العمدة في صناعة الجراح عن
علاج الحصبة، وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس
الصبيان، وعلاج من يولد من الأطفال وكمرته ومقعدته
غير مثقوبة. كما تكلم عن ختان الأطفال وأمور أخرى
تتعلق بجراحة الأطفال مثل الاصابع الزائدة والمتصفة
الخ. وكانت وفاة ابن القف عام ٦٨٥هـ /
١٢٨٦م.

داود الانطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م:

داود بن عمر الانطاكي. ولد في انطاكية وحفظ
القرآن الكريم ودرس الادب والطب حتى صار من
الاعلام. له مؤلفات عديدة في الطب والادب أشهرها
كتاب: «تذكرة أولى الابواب والجامع للعجب العجيب
المعروف باسم تذكرة داود (مطبوع)». وقد تحدث في
هذا الكتاب عن كيفية العناية بالمولود وتحدث عن
الرضاعة والمرضع وشروطها وصفات الطبيب الجيد
وكمية اللبن التي يتبغى أن يرتضعها الطفل حيث يقول:
«أقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين
درهماً. والاكثر فيما قالوا خمسمائة درهم».

ويساوى الدرهم ٨٨٨ ر. جراماً. وينصح داود
المرضعات بأن يتوقفن عن الرضاعة إذا اضطرن
لاستخدام الأدوية القوية التي تفور في لبن الثدي حيث
يقول: وتعالج المرضع إن لم يكن ولاد من دواء قوي
فلا ترضع يومه» [٢٥].

ويهتم داود بأضافة طعام آخر للطفل لعدم
الاكتفاء بالرضاع وخاصة قبيل الطعام والغريب حقاً
أن داود الانطاكي كان ضريراً ورغم ذلك انتهت اليه
رياسة الأطباء في زمنه وله بجانب التذكرة المشهورة
كتاب «نزهة الانهزام في اصلاح الابدان»، و«الفية في
الطب» و«كفاية المحتاج في علم العلاج» ورسالة في

علم الهيئة، وشرح عينية ابن سينا، وزيينة الطروس
في أحكام العقول والنفوس، وغاية المرام في تحرير
المنطق والكلام، و«النزهة المبهجة في تشخيص الأذهان
وتعديل الأمزجة» [٢٦].

الهوامش:

(١) د. حسن يله الأمين: مجلة الفحص الطبي، العدد
١٣ صفر - ربيع الثاني ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. محمود الحاج قاسم: رسالة في أمراض
الأطفال والعناية بهم، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا
الرازي. المؤتمر القطري للطب ٩ إلى ١٣ كانون
الأول (نيسمبر) ١٩٧٩م، بغداد وزارة العمل والشؤون
الاجتماعية.

(٤) زيفريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب،
ترجمة فاروق بيضون وكمال نسوقي منشورات المكتب
التجاري للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٦٤ (ص
٢٤٣ - ٢٥٧).

(٥) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال
(الطبعة الثانية) تهامة، جدة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص
١١٣.

(٦) زيفريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب
ص ٢٥.

(٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء
منشورات دار الحياة بيروت، تحقيق د. نزار رضا
ص ٤١٤.

(٨) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين،
بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ج ٤/ ٢٨٨.

(٩) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص
١١٠.

(١٠) د. محمد علي البار: خلق الانسان بين الطب
والقرآن، الدار السعودية، جدة، الطبعة العاشرة
١٤١٥ / ١٩٩٥.

(١١) د. محمد علي البار: الوجيز في علم الأجنة
القراني، الدار السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٧ /

١٩٨٦م ص ١٨ - ٢٢.

(١٢) د. محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص
١١١.

(١٣) خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٢ / ٢٨٧.

(١٤) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال ص
١١١.

(١٥) أحمد بن محمد الطبري: المعالجات البقراطية،
مخطوطة بدار الكتب المصرية، نقلًا عن المصدر
السابق.

(١٦) د. سامي حمارة: فهرس المخطوطات العربية
في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية.

(١٧) أحمد بن محمد البلدي: «كتاب تمييز الحبالى
والأطفال والصبيان، وحفظ صحتهم ومداداة الأمراض
العارضة لهم». تحقيق د. محمود الحاج قاسم، وزارة
الثقافة والأعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠ ص ٧٨.

(١٨) أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني:
رسالة في لوجاع الأطفال في مكتبة المتحف العراقي،
بغداد.

(١٩) د. محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد
السوفييتي، دار الشروق جدة، ١٩٨٣، ج ٢ / ٤٣٦ -
٤٤٩.

(٢٠) أبو علي الحسين بن علي بن سينا: القانون في
الطب، دار صادر (طبعة مصورة) ج ١ / ١٥٠ - ١٧٧.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) د. محمود الحاج قاسم: الأم والطفل في أرجوزة
ابن سينا، مجلة العربي العدد ٢٧٢، يوليه ١٩٨١ ص
١٣٤ - ١٣٧.

(٢٣) محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال عند
العرب، الطبعة الثانية، تهامة، جدة، ١٩٨٣م ص ١٣٣ -
١٣٧.

(٢٤) د. محمود نياي: الطب والأطباء ص ٢٧٢.

(٢٥) داود الأنطاكي: تذكرة أولى الألباب والجامع
للعجب العجيب ص ٣٥.

(٢٦) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين،
بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠، ج ٢ / ٣٣٣ - ٣٣٤.

سِرِّيَّةُ الْحَوَى إِلَى دَمِ

وَتَسْمُونَا دِينًا وَتَصْهَرُنَا حَوَى
فَنَلْقَى بِهَا نَصْرًا وَنُذْنِيَّةَ مَوْعِدَا

تَفَلَّتْ أَجْلُو عِبْرَةٍ بَعْدَ عِبْرَةٍ
فَلَمْ أَرِ ذَا لِهَوَى أَطَالِ تَسْوِدَا
وَمَا نَالَ مَجْدًا غَيْرَ مَنْ جَدَّ عَزْمُهُ
وَأَوْغَلَ فِي عِلْمِ الزَّمَانِ وَجْدَا
وَسَارَ بِقَلْبٍ قَبِيضٍ وَعَى مِنْ زَمَانِهِ
تَجَارِيهِ إِنْ جَادَ فِيهَا وَإِنْ كَدَى

وَأَرْنُو إِذْ حُلُمٌ سَنَا بِشِعَاعِهِ
أَنَارَ ظُلَامًا وَأَعْتَلَى وَتَجَسَّدَا
لِعَمْرِكَ إِنَّا قَدْ خَبَرْنَا مَلُوكَنَا
وَمَنْهُمْ وَمَنَا ثَارَ حُبٍّ فَسُوحَّدَا
وَهَشَدْنَا بِنَاءَ يَعْتَلَى مِنْ أَسَاسِهِ
طَى الْمَجْدِ إِسْلَامًا مُنِيرًا وَمُخْتَدَا

لَعَرُوبُكَ هَذَا مَجْسَدُهُ أَمْسَوَى
وَتَحْفَظُهُ الْأَسَادُ كَيْ لَا يَبِيدَا
أَطَالَعَهُ مَنْ مَهَيْطُ الْوَحْيِ مَكْبَرًا
وَمَرْوَانُهُ يُعَلِّقُهُ صَرْحًا مُجْدَا
أَرَى فِي بُرُوجِ الْكَوْنِ مَسْرَاكَ كَوْكَبَا
أَضَاءَ يَنْوِرُ اللَّهَ لِلْكَوْنِ فَاغْتَدَى
أَرَى جَفَلًا قَدْ هَبَّ مِنْكَ بِصُنْحِهِ
وَلَمْ يُغْنِ إِلَّا وَالنَّجَاحُ لَهُ الصُّنْدَى
أَعْدَّ شَمَالًا ثُمَّ غَرِبًا وَمَشْرِقًا
وَجَدَّ عَلَى دَرْبِ النَّبِيِّ مُؤَيَّدَا
وَإِنَّكَ لِلْمَجْدِ الَّذِي يَعْرِفُ الْوَرَى
وَإِنَّكَ لِلتَّارِيخِ سَقَرًا مُخْلَدَا
نَطَالَعَهُ نَسْتَلْظِمُ الْعَبِيرَ الَّتِي
حَوَى نُحْرَهَا بَيْنَ الصُّعَائِفِ مُرْشَدَا
وَقَدْ يُسَعِّفُ التَّارِيخُ طُلَابَ عِبْرَةٍ
وَقَدْ يَخْذُلُ التَّارِيخُ مَقَالًا تَبْلَدَا
وَهَلْ تُقَرَأُ الْأَسْفَارُ إِلَّا لِفَائِيَةٍ
تُوجِّجُنَا طَعْمًا وَتَصْنَعُ سُوَيْدَا



منظر عام لمدينة دمشق



شعر :

د. بهاء بن حسين عزي - جدة

عُدوية أطفال، شموخ سرية
تبتّل عبياد أجندوا تعبدا
وما أنت إلا دعوة مستجابة
نصوت بها ربي فجاد وأسمدا
فهمت، وإذ نهر تغيط فيضه
فيا بردي ما أنت إلا من الجدا
لعمرك إن القلب عمرائه الهوى
وليس هوى ما لا يفيض توقدا
وإنني لفيض يغري نجارة
أسير بوقد الشوق من حيثما ابتدا
وإذ جئت مشتاقاً فإني لفي هوى
يشد إلي ربي، فما الوجد من سدى
وإن هاج بي شوق السرى من سراتهم
فقد كنت أخفيه، وما هو قد بدا
وهذا هوانا يا ممشق تروينه
يفيض بوقد يستجيش مع المدي
يضيف له من بالجاز سلافة
وكل بنجد بالتحيمات زودا

الهوامش:

[٥] هذه القصيدة .. أهديتها تحية لمدينة دمشق العظيمة، عاصمة الخلافة الأموية وعرين الأسد، التي أزيورها لأول مرة تحية لدعوة كريمة تلقيتها من الأبيّة المبدعة الشاعرة ابتسام الصمادي.

وهي دعوة لإحياء أمسية شعرية في مجلسها الأدبي في دمشق بتاريخ ١٤١٩/٣/١٣ الموافق ١٩٩٨/٧/٧م.

(١) أسد الشرى .. جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، مؤجد الملكة العربية العربية السعودية .. أسكنه الله فسيح جناته.

(٢) بعثاً .. جيشاً.

(٣) «قسيون» .. جبل «قاسيون» الشهير المطل على دمشق.



فذي قبلة الإسلام أجمع وجهه
وذا مسجد الهادي فمن ثوره الهدى
وذي هضب نجد أنجبت أسد الشرى [١]
مؤجد أقطار ويعشاً مسبدا [٢]
وهذي ربي الظهران في الشرق تزديني
وهذي وهذا، زد، هذا موطن التلى
لعمرك إننا من بلاد عظيمة
أرى الصنعة العظمى لها اليوم أو غدا
فليت بصفو يا ممشق وهم فلو
ومن يقدمهم يستهد من روحنا الهدى
فلا تعجبي فالصب يفتدي كفة
على مذبح الأحباب يرجو تشهدا

وأنت غراماً يا ممشق وإن لي
ككل محب دعوة وتوجدا
رفعت على «قسيون» [٣] كفي ضراعة
وإذ بك في كفي حسناً تفردا



المسجد الاموي في دمشق

أهمية الصورة للقطعة الأدبية

أن للصورة في العمل الفني مكاناً متميزاً، إنها جوهره وأساسه. فماذا نقصد بالصورة؟ نقصد الكيان المادي للعمل الفني والعلاقات أو النظم بين الأجزاء المادية. بين الألفاظ بالنسبة للشعر أو بين الألوان بالنسبة لفن التصوير الزيتي، وفي كل الأحوال فإن ما يصنع الصورة هو ذلك البعد الذي يضيفه الفنان من ذاته... أو من شخصه، وهو بُعد لا يُعلم ولا يُورث، وبسببه يفقد العمل الأدبي الكثير إذا تُرجم إلى لغة أخرى، وبسببه أو بسبب الصورة التي هي منحة ونتيجة بعجز التلخيص والتحليل عن أن يغنيك عن مشاهدة أو قراءة، أو الاستماع للعمل نفسه، فإن حدث وأغنيك فالعمل ضعيف وليس جديراً بصفة فن.

ولنعالج الأمر في ثلاثة:

الفن حدث فردي، وقدره خاصة لا يستطيع نقاد الفنون وعلماء الجمال أن يمنحوها بدراساتهم لشخص لا يمتلكها، وما استطاعت دروس الشعر أن تخلق شاعراً، يستطيع الأستاذ أن يعلم تلميذه المجتهد من خلال كراسة الإنشاء: كيف يكتب كتابة جيدة مستقيمة سوية واضحة بيّنة، لكن هذه الكتابة الجيدة، لا ترقى إلى مستوى الفن وإنما هي صنعة، والصنعة تُطم، للصنائع مهما كانت أسماؤها مدارس واتجاهات وأشكال وتصميمات، وجماعات وحرفيون يتقنون ثم يتفنون ما اتفقوا على خطوطه ومعاله أما الفن فواقعة فردية، والفنان لا يعتمد في نية ميّنة وإصرار مسبق أن يدخل في زمرة جماعة يحتلونها ويقلد خطوطها، قد يتأثر بفنان أو أكثر، لكنه لا يعتمد.

يمتلك الشعر صفتي الوزن والقافية لكنه يمتلك سمات أخرى أساسية، هي التي تجعله شعراً، تلخص

يُعنى النقد الأدبي بالأدب شعراً وثنراً فنياً، أما علم الجمال أو فلسفة الفن أو الاستطلاح فتعنى بالفنون الجميلة سائرهما وتركز علي المشترك بينهما، وتتوقف عندما يميز الفن عن العلم والفكر، لقد ظهرت مضامين هذا العلم وأساسه ويغير تسمية ولا تنظير كثير عند أفلاطون وأرسطو وفي عالمنا الإسلامي عند الفارابي وحازم القرطجاني وعبد القاهر الجرجاني وغير هؤلاء من مفكري المسلمين، وفي أوربا العصر الحديث تمت التسمية على يد الكسندر بومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢). ولكن المسلم به أن (كانت) Kant هو المؤسس الحقيقي لعلم الجمال بمعناه الدقيق، وذلك في كتابه القيم (نقد الحكم) أي الحكم الجمالي، وعرفنا بعده هيجل وكروتش وبيوزا فكت وجون ديوي وكولنجوود ولوكاتش وصمويل الكسندر وسارتر، ولكل منهم فهمه الخاص للتذوق أو الحكم الجمالي، فهمه المنفرد في أرض فكره الميتافيزيقي.

وأرى أن دراسة قضايا علم الجمال وموضوعاته خاصة في صورته الغربية عند مفكري العصر الحديث أمر ضروري لدراسة الأدب وفهمه ونقده، فالأدب نوع من جنس هو الفن الجميل ولا يفهم النوع فهماً جيداً عميقاً إلا إذا فهم الجنس، وثمة - بطبيعة الحال - قضايا مشتركة بين حقل النقد الأدبي وحقل علم الجمال وبسبب هذا الاشتراك وجدنا من نقاد الأدب مفكرين يدخلون بقوة من باب علم الجمال - مثلاً - لهؤلاء: أ. س. ريتشاردز صاحب كتاب (مبادئ النقد الأدبي) وعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي: (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز).

الصورة تتعلق بالكيان

المادي للعمل الفني:

من أهم القضايا المطروحة في كتب علم الجمال ودراساته قضية التمييز بين المضمون والصورة، والحق

بقلم: د. عبدالرزاق حجاج محمد
جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض -

المشاهد رويداً رويداً ومن خلال كل جزئيات الصورة، أما العلم بآسره مختلف ذلك أن موضوعه هو الحق أو الحقائق وما دام الأمر كذلك، فالمضمون أو الفكرة هي الأساس، ولذا فإن العلم قابل للنقل من لغة إلى لغة، دون أن يتغير أو يفقد شيئاً، لأن الذي يتغير في حالة النقل هو الصورة... والصورة ليست موضع احتفال العلم، فالعلم تعنيه الفكرة، والفكرة يعبر عنها بأكثر من لغة بل تنقلها الرموز بشكل أرق من الألفاظ.

الفن مرماه وهنقه الجمال، والجمال يتعلق بالصورة، والصورة هي التي فيها وبها ومن خلالها يتحقق الجمال، إذا تغلب المضمون وبرزت الفكرة بروزاً وارتفع صوتها، لم يتسلل تسللاً وإنما ينكشف انكشافاً، هنالك لا تستوعبه الصورة في نسيجها كما يستوعب الوجه المشرق لون الصمرة، وإنما يظهر انفصالهما منذ اللحظة الأولى، فالمكتوب إعلامي تعريفي إرشادي وعطي خطابي، واللوحة تجارية مشخصة لا معبرة، ناقلة مقلدة، ليست هامة موحية، إنما مباشرة تماماً.

لذا فإن العمل الفني الأصلي يأبى إلا أن تعرف عليه هو نفسه، لا يفني عنه تلخيص ولا يزهك فيه تحليل، ذلك لأن التلخيص والتحليل يتعاملان مع الأفكار يلخصانها ويحللنها، لكن العمل الفني صورة أساساً، والصورة لا تلخص ولا تحلل ولا تجزأ أو تفتت فهي العمل نفسه، لذا يجب على المشاهد أو المستمع أو القارئ أن يقبل على العمل الفني كله وينفسه، فيلتقاه بذاته كلها: بقلبه وعقله وإحساسه، بروحه ووجدانه وفهمه، ومن ثم فإن ملاقاتنا للعمل الفني من أهم المناسبات التي تتوحد عبرها شخصيتنا.

إزاء العمل العلمي يبرز دور الفهم، أما إزاء العمل الفني فيعمل القلب والإحساس والفهم معاً وفي ارتباط وتلاحم.

وعلى نفس المستوى كانت الترجمة مهما بلغت دقتها وجودتها مضحية لشئ ما في الصورة، أرأيت إلى القاص أو الشاعر وهو يبذل الجهد عبر لحظات طوال في اختيار كلمة واحدة، كلمة يشعر بأنها من بين مترادفات كثيرة (هي) المعبرة - وحدها - عما يريد إخراجها لنفسه

كل تلك السمات في كلمة واحدة: الصورة، أو النظم بتعبير عبد القاهر الجرجاني.

لكننا دائماً وفي كل العصور - وبصفة خاصة في عصرنا لغلبة الدافعية للريح والشهرة - نجد أعمالاً موزونة ومقفاة ويسمي أصحاب هذه الكتابات ما يكتبون شعراً، ويقبل الناس عليها حيناً من الزمن ثم ينسونها تماماً بل لا يريدون لأحد أن يذكرهم بها.

غير أن فاجعة النثر الجميل في هذا المجال أكبر ذلك لأن الظاهر للناس أن مدخله أسهل، فالوزن والقافية أمران عسيران ولا يحسنهما الجميع، يكتب الرجل حدثاً إلى جوار حدث ويسمي ما كتب قصه، يوضع تشبيهاً إلى جوار تشبيه وجملة مسجوعة إلى جوار أخرى مثلها ويسمي ذلك مقالاً أدبياً... كذا يحاكي مستخدم الألوان الوردية والشجرية والسوق في القرية والفلاحة على شاطئ النيل، والمسافرين عند باب القطار محاكاة دقيقة يستخدم ألوان هذه الأشياء نفسها، وكما هي في الطبيعة، ويسمي ذلك تصويراً.

ويشتري شخص اللوحة من هذه اللوحات ويعلقها على الجدار، وينظر إليها اللحظة أو اللحظتين، ثم يفخل عنها ثم لا يعاقب طفله على عبث بها أو تمزيق لها.

ذلك أننا نشعر جميعاً أن هذه الأعمال ليست هي ما نريد، خاصة إذا كنا قد شاهدنا أعمالاً من الفن الجميل بحق شعراً وتصويراً، أو موسيقى... وبغير وجود معايير واضحة محددة عند غالب الناس نجدهم يزهدون فيما نسميه صنائع أو موضوعات مهارة ويقبلون على ما نسميه بحق فناً جميلاً.

ومن حق القارئ أن يتسأل عما يميز الصنعة مهما حاولت خداعنا عن الفن بحق؟ لكننا نقدم سؤالاً آخر هو: ما الفرق بين العلم والفن؟

احتواء الصورة في العمل الفني واشتمالها على المضمون:

أول ما يتسم به الفن الجميل هو احتواء الصورة للمضمون وانتشار المضمون وتخلله في كل نسيج الصورة وإتيانه للقارئ أو

*** * * الفن يحدث**

فردني وقسورة

خاصة يبتكها

صاحب الخوفاة

فسيقة

** القلب

والاحساس

والفهم

أدوات تلقى

الفن والجمال

** الشكل

والمضمون

توأمين في

خارطة

الابداع.

** فني

العمل الفني

الألفاظ

تمتزج

بالفكرة

** العمل

الفني قراءة

وإبداع لها

انطبع في

المخيلة

وغيره من فكرة أو أفكار... فكيف بالكلمة لم يكتبها هو وجاءت بلغة أخرى غير التي كتب بها؟
... إنها أبداً أن تكون ما أراد ولا كذلك الجملة والعبارة.

ومعيار العمل الفني - وما فيه من قوة وعظمة - أن الترجمة والتلخيص والتحليل لا يغنون عنه، والعمل الفني الدعي: هو الذي لا تجد فارقاً بينه وبين ترجمته أو بينه وبين تلخيصه.

في العمل الطمي تكون الألفاظ «مشيرة» إلى شيء خارجها هو الفكرة أو الأفكار... إنها محض مشيرات أو مؤشرات إنها لا تمتزج بالفكرة، وإنما تبقى خارجها دالة عليها؛ ولذا فإن تحويل الألفاظ في العلم إلى ألفاظ لغة أخرى أو تحويلها إلى رموز لن يضيع شيئاً من المقصود، أما في العمل الفني فالألفاظ (تمتزج) بالفكرة امتزاجاً، وتحيط بها إحاطة، وتلف حولها التفافاً، فإذا أتت مع الفكرة من هذه الألفاظ بعينها ومن نظمها على هذا النحو وليس من ألفاظ غيرها ولا على نحو من النظم (والوشي) غير ما نظمت به.

إن الألفاظ في العمل الفني ليست مجرد إشارات، وإنما هي (متمزجة) بالفكرة، وأنت غير قادر على فصلهما وأخذهما متباعدين، كذا أنت على يقين من أن القصيدة لو حوت نثرًا لما عانت هي ولو ترجمت لفقدت شيئاً بل أشياء.

أما الأعمال التي ترتدي زي الفن ليقال عنها إنها شعر أو تصوير أو قصة، فإن الكلمات والألوان فيها ليست إلا إشارات لمعان تقع خارجها، ليست إلا مشخصات؛ ولذا فإنك تستغني عن الشجرة التي في لوحة من هذا النوع، وتتجه إلى الأصل: الشجرة الواقفة هناك على حافة التربة، تهمل نظماً قال عنه صاحبه: إنه شعر في وصف الربيع مثلاً لتكتفي بالربيع نفسه.

هنا نضع أيدينا على سمة أساسية أخرى من سمات العمل الفني الجميل الأصيل، وهي أن الفنان في عمله يضيف شيئاً من ذاته، فالشجرة في القصيدة الجيدة لم تعد الشجرة الخارجية، لا يتعلق الأمر بكونها في الخارج تهتز، وتتمايل فروعها، فحتى الرسام الحرفي يستطيع أن يقدمها لك على الورق وهي تهتز، وذلك بحيل وتقنيات يعرفها الصانع، وإنما يضيف الفنان الأصيل شيئاً آخر، شيئاً تلقاه فتدركه مباشرة ثم تعجز عن نقله لغيرك، ويقف كلاكما أمام اللوحة فتبتسمان ابتسامة واحدة وينظر كل منكما لصاحبه بعين ملؤها الرضا... وتعجز الكلمات!!

ثمة ثلاثة مستويات للتعبير:

أ - التعبير العادي العملي أو الفرضي المباشر وهو ما تؤديه لنا اللغة أو الألوان أو الأصوات في حياتنا اليومية.

ب - التعبير العلمي: وهنا النظرية أو الفرضية غير المباشرة، ويشارك هذان التعبيران العلمي والعلمي في أن المضمون هو الأساس عندهما.

ج - التعبير الجمالي: وهنا تكون الصورة بتقريدها وتميزها في كل عمل فني هي الأساس [١].

وقد وجدنا بذور هذه التفرقة لدى نقادنا المسلمين فهذا (أبو حيان التوحيدي) يفرق بين جد الإقحام وحد البلاغة فيقول: (... ولا يكتب بالإقحام كيف كان، وعلى أي مرجع وقع، والبلاغة زائدة على الإقحام الجيد بالوزن والسجع والتقصية، والحلية الرائعة، وتخير اللفظ، وهذا

الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام»[٢].

كذلك ميز سيبويه بين لغة الشعر ولغة الكلام في أحد فصول الكتاب مستعرضاً بعض الجوازات التي تسوغ للشاعر ولا تجوز لغيره وهو ما كان يتفق مع رأى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ينسب إليه هذا القول: (الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أثنى شأواً، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، . . والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الأسن عن وصفه ولغته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد، ويعيدون القريب)[٣].

ونجد عند الفيلسوف الإنجليزي صمويل الكسندر متوفى ١٩٣٩م التفرة التي أشرنا إليها بين مستويات الكلام، ويحدد السمة الأساسية للتعبير الجميل بأنه لا يستخدم فحسب للدلالة أو الإشارة أو كما ذكر التوحيدي للإفهام، وإنما تعالج المواد في الفن لذاتها، ويقول عن الكلمات: إنها بصفة عامة إشارات ولا تصبح جمالية إلا عندما تصبح محملة بالمعنى متمتجة به، وكلته يشع منها هي نفسها، وليست هي المشيرة إليه.

هذا المعنى أو تلك الفكرة هي ما قصده (جان بول سارتر) بقوله: «إن الفنان أبعد الناس عن اعتبار الأصوات أو الألوان لغة.. لا يريد الرسام أن يخط إشارات على تماس لوحته، وإنما يريد أن يخلق شيئاً.. إن صرخة ألم هي إشارة ألم يثيرها غريق مثلاً.. لكن تشديد ألم هو في أن واحد الألم نفسه وشي آخر غير الألم»[٤].

ولنأخذ مثلاً من شعر البحري لتبين أهمية المادة . . أهمية اختيار الألفاظ ووضعها في نسق معين . . لتبين كيف أن البحري قد اكتشف الربيع في اللغة العربية، كما قيل عن شكسبير إنه قد اكتشف هاملت في اللغة الإنجليزية.

لست حيال قصيدة (البحري) عن الربيع مع علاقات لفظية تشير إلى بهجة وإنما الكيان اللفظي نفسه مبهج، لقد تحققت (الصورة) وأرست ملامح المعالجة الفنية الجميلة فامتزجت البهجة والخضرة والحسن وأنصهرت مع الألفاظ، فتصوّت بها تلك، فإذا أنت أمام

ربيع آخر، تفنّيك به القصيدة عن الربيع الخارجي . . ربيع الطبيعة، تقرؤها في برد الشتاء، فإذا أنت في الربيع، أو تقرؤها في الصيف وشدته فإذا الربيع محيط بك.

إن القارئ هنا أو المستمع أو قل المشاهد لا يقبل على الموضوع، وإنما يقبل على الصورة . . على نظم الألوان وتركيبها .

فلنطالع معاً وصف البحري الربيع، وقد عرض له في خاتمة قصيدة مدح، ولنتأمل «الصورة» بكل ما تعنيه من حسن اختيار للألفاظ، ومن تقديم وتأخير، ومن ظلال وألوان. ومن تجسيد للبهجة التي تلحق الكون، فإذا أنت تكاد تلمسها بأصابعك أو تسمع حفيفها بأذنيك، وتخيل . . تخيل ذلك الربيع الداخلي . . ربيع القصيدة نفسها، فإذا أنت أمام ربيع أكثر حضوراً في نفسك من ربيع الكون:

أتاك الربيعُ الطلُقُ يختال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يترنما
وقد ثبته النيرُوزُ في غلس الدجى
أوائلُ ورد كُنْ بالأمس نوماً
يفتقها برد الندى فككته
يبثُ حيثُما كان أمسُ مكثماً
ومن شجر ردّ الربيع لياسه
عليه كما نشرت وشياً منمنما
أهلُ فئدي المعيون بشائسة
وكان كذى المعين إذ كان محمرماً
ورق نسيم الريح حتى حسبتـه
يجيء بشفاس الأحبة نُعماً [٥]

هل من لفظ تكلفه الشاعر بسبب من الوزن أو القافية - وغيره أكثر تحقيقاً للموسيقى الداخلية والخارجية، ولتجسيد معنى البهجة منه؟
أرأيت أوائل الورد اللاتي كن بالأمس (نوماً) فلما جاء الربيع استيقظت ونشرت شذى حديث كان مخبوءاً (مكثماً)؟ هل من لفظين أقوى وقعاً ودلالة من كلمتين: (نوماً) و(مكثماً)؟ وهل من اختيار أفضل من كلمة (منمنماً) مع كلمة (وشياً) أو من كلمة (نسيم) مضافة للريح، مع كلمة (أنفاس) مضافة للأحبة.

لنذر عيوننا الآن ناحية نص للصنوبري في وصف الربيع:
ما النهر إلا الربيع المستنير إذا
جاء الربيع أتاك النور والنور
فالارض ياقوتة والجو لؤلؤة
والنبت فيروزج والماء بلور
لا تعدم الأرض كنساً من سحابه
والنبت ضريان سكران ومخمور
فيه جنى الورد منضود مودة
به الجالس والنثور منشور
هذا البنفسج هذا الياسمين وذا الن
سرين ذا سوسن باليمن مشهور

تأمل وقارن، البحرني يصف لنا الربيع فيجعله
ضاحكا وأنت تمضي بعد تعبير (يختال ضاحكا)
فتستشعر في كل تعبير ومع كل
تشبيه أن الربيع يضحك ويبتسم،
أما في مقطوعة الصنوبري فالشاعر
هو الذي يضحك .. هو صبي - أو
غلام - يطربه الربيع بمقدمه ونوره
وزهره ونوره؛ فيمضي منشداً، ويعلو
صوت الشاعر أو الغلام الطروب
بشائيات (النور والنور) ياقوتة ..
لؤلؤة (فيروزج ... بلور) (سكران
ومخمور) (منضود ومنثور)، وانظر

إلى مادة (نور) ترد ثلاث مرات، لكثك تستشعر أمام كل
لفظ شعوراً خاصاً: المستنير .. النور .. النور ..
وانظر إلى حرف السين في البيت الأخير وما اتبع
عنه من موسيقا حلوة عذبة إذ تكرر في هذه الكلمات:
البنفسج .. الياسمين .. النسرين .. سوسن ..
بالحسن ، لقد تكرر مصحوباً باسم الإشارة، فتخيلنا
الشاعر الضحك الطروب صبياً يشير بأصبعه هنا
وهناك.

الربيع الخارجي .. ربيع الكون وأحد، لكن الربيع
الذي جسده قصيدة البحرني مختلف عن الربيع لدى
الصنوبري.

وكذا في فن التصوير: لوحات الزهور والورود،
تختلف كل لوحة عن الأخرى مع أن الزهرة واحدة، وإنما
يعمل المصور بربشته ويضيف من ذاته ما يجعلك ترمي

بعيدا أي صورة (فوتوغرافية) لزهور وورود، أت بالفت
شاعر أو مصور أعظم موضوعاً واحداً وسوف يقدمون
لك أعمالاً مختلفة أو قل أعمالاً فنية متباينة.

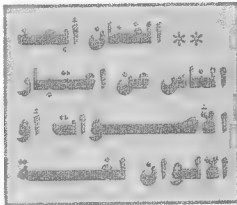
أهمية المعاني للصورة:

وعندما نقول إن الصورة هي جوهر العمل الفني،
فإننا لا نعني إقلالاً من شأن المعاني، إذ لا مقابلة أساساً
بين الصورة والمعاني، وكأننا أمام طرفين متباعدين، فليس
ثمة جهد بشري فيه قصدية وإرادة ومعاناة إلا كان
محتويها على معنى، وليس ثمة عمل فني إلا ويتضمن
معنى صغر هذا المعنى أو كبر، كان فكرة في كلمة أو
فكرة في جملة من ثلاث كلمات أو أكثر، لذلك فإننا نجد
كبار البلغاء والأدباء متفقين على أهمية الصورة للفن
الجميل دون أن يعني ذلك القول بخلو العمل من المعنى أو
الإقرار بمشروعية الغموض والظلام،
فرق بين اللامباشرة - أي لا مباشرة
المضمون - مطلباً جمالياً، والغموض
شراً شيطانياً تسعى إليه أنواع من
الخفافيش تنتحل ثوب الشعر.

وعبارة الجاحظ: (المعاني
مطروحة في الطريق، يرقها
العجمي والعربي والبيدي والقروي،
وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير
اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء،

وفي صحة الطبع، وجودة السبك [٦]، يحسن أن نفهم
على أنه تجب التفرقة بين نوعين من المعاني: معان قبل
العمل الفني، ومعان بعد العمل الفني: معان عامة
مطروحة في الطريق أي يعرفها الجميع، وترد حيناً في
كتب الأخلاق والفضيلة وحيناً آخر في كتب القانون
والجريمة، أو قد نجدها خارج الكتب متداولة على ألسنة
الناس هذه المعاني تمثل مادة للعمل الفني أو مخزوننا،
شأنها شأن الإلفاظ بالنسبة للشاعر واللوكان لدى
المصور، أما المعاني بعد العمل الفني فهي تلك التي لا
تنقلها التراكيب اللفظية أو تشير إليها - في حالة الشعر -
وإنما هي والتراكيب اللفظية شيء واحد.

إن ما يقصده علم الجمال الأوربي من استخدام
تعبير الصورة ومن اهتمام بالجانب المادي للعمل الفني،
ليظهر واضحاً في رأيي عيد القاهرة من فكرة النظم



أليس المقصود بالصورة هو تلك العلاقات الدلالية بين أجزاء الكيان المادي للعمل الفني . . الألفاظ بالنسبة للشعر مثلاً بحيث يصعد من مجموعها معنى معين، معنى ينفرد به هذا العمل عن غيره من أعمال تحمل عنوانه نفسه .

يقول عبد القاهر في شرحه لمعنى النظم عنده: (هل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة قصيدة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاحة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة مقبولة، وفي خلافه: قلقة نابية، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن من حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما؟ .

ويرى - مثلاً - أن كلمة (شيء) قد حسّنت في بيت أبي حية التميمي:

إذا ما تقاضى المراء يوم وليلة

تقاضاهما شيء لا يمل التقاضيا

لكن كلمة (شيء) نفسها تتضاعف في بيت المتنبي (من قصيدة في مدح كافور):

لو الفلك النوار أبغضت سعيه

لعمركه شيء عن اللوران

القصيدة لا تنشأ من أفكار:

لقد قال (مالارميه): إن القصيدة لا تنشأ من أفكار وإنما تنشأ من اللفاظ، وهو يعنى تخير اللفظ الملائم للفظ آخر ملائم فإذا أنت أمام (تجمع) أو صورة أو كيان مادي ملائم للمعنى الذى أراده الشاعر . . وقد تكون الفكرة بسيطة للغاية ووردت عند عشرات الشعراء من قبل، لكنها تأتي في نظم أو صورة عظيمة فتعظم بدورها:

إننا لا نفضل بيتاً على بيت، أو قل بصفة أعم لا نفضل عملاً فنياً على آخر، لمجرد المعنى، فهذا يدخل في مجال النثر العادي، ولو قيل مؤزناً مقفى فهو ليس شعراً، لأن الشعر لا يحيا بالوزن والقافية وحدهما، وإنما يتم التفضيل على أساس مقدار جودة النظم أو الصورة ومقدار تميزها على غيرها في حمل معنى نشعر أن الشاعر - أو الفنان عامة - يريد له الخروج من ثنانيا النظم أو الصورة اللفظية، لا يأتى المعنى في العمل الفني الحقيقي منفرداً عن الكيان المادي المقدم فيه، ولو ترجم

هذا العمل إلى كيان مادي آخر - في حالة الشعر أو النثر الأدبي - نحسبنا الكثير ولما بقي منه إلا القليل، وهل تترجم اللوحة من لوحات فن التصوير الراقي، وهل تترجم قطعة الموسيقى العذبة . . كذلك يجب أن نحرص على قراءة الأعمال الأدبية بلغتها الأصلية . . وقد استخدم صمويل الكسندر تعبير (معان نغمية) ليؤكد به بروز المعانى في الفن الأصل من الكيان المادي نفسه بشخصه وصورته ونظمه . .

اللغة في الشعر ليست مجرد إشارات إلى معان وإنما تمتزج المعانى بها، فلا نكون أمام صورة مستقلة عن المعانى، وهذا هو ما يقصده صمويل الكسندر بقوله:

(... فشكسبير اكتشف هاملت في اللغة الانجليزية كما يكتشف النحات الشكل الذي يبحث عنه في الصخر) ويتسائل في موضع آخر . . (لكن من الذى يكتشف هاملت في اللغة الانجليزية ومن الذى يكتشف العبيد في الصخرة؟ إنهما شكسبير ومايكل أنجلو وليس أحد غيرهما [7] وهو بذلك يريد الإشارة إلى أهمية موهبة الفنان ومدى حساسيته في اختيار الكلمات اللائمة، والكسندر يتركيزه على أن الفن اكتشاف إنما أراد تأكيد فاعلية المادة، وإبراز دور إمكاناتها التى تظهر أثناء فعل الإبداع، وأنها ليست مجرد أداة (اللغة في حالة الشعر - مثلاً) لتحقيق غرض التوصيل كما فهم كروتشه، وإنما يظهر العمل الفني أثناء التنفيذ المادي الخارجي، أي أثناء بروز الصورة، وليس قبل ذلك.

ليس السرور والإحساس بالهجة اللذان نعايشهما ونحن إزاء هذه اللوحة أو تلك سروراً باليقع اللونية في حد ذاتها: بهاؤها ونصوعها وجاذبيتها الحسية، وإنما هو سرور بتحقيق معنى أرسله المصور من خلال أسلاك الألوان، وهمسنا لأنفسنا إنه يقصد كذا، كذا السرور الذى نعايشه ونحن إزاء قصيدة ليس سروراً بجروس الألفاظ أو رقتها، بل ليس سروراً من الابتهاجة أو التشبيه ذاتيهما، وإنما هو سرور وبهجة من النظم أو الصورة أو قل طريقة السبك والصياغة.

نجد عند عبد القاهر الجرجاني أمثلة لهذا فهو يذكر قول ابن المعتز:

سألت عليه شعاب الحي حين دعا

أنصاره بوجوه كاللذائير

ويوضح أن الاستعارة في البيت على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما توحى في وضع الكلام من التقديم والتأخير. وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف فازل كلا منهما عن الموضع الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجوه كالذنانير عليه حين دما أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والصالوة. وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها.

ويعرض عبد القاهر لقول المتنبي:

وقبحت نفسي في ذاك محبة

ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

فيذكر أن الاستعارة الواردة في أصلها مبتذلة معروفة، فانت ترى العامي يقول: قيدي - فلان - بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي، حتى صارت نفسي لا تطاوعني علي الخروج من عنده، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي فيه سلك النظم والتأليف [٨].

ومن مجال الإعجاز - القرآن الكريم - يتوقف أمام قوله تعالى: واشتعل الرأس شيبا فيذكرنا بأن أصل الاشتعال إنما هو للشيب، إنما قُسم الرأس وتأخر الشيب وجيء به منصوبا، لتحقيق دلالة الشمول أي شمول الشيب للرأس كلها، فالاستعارة وحدها أو بذاتها ليست موضع قوة المعنى، وإنما هو التقديم والتأخير، أو بتعبير أعم: النظم، وهو ما يشبه قوله تعالى: [وفجرنا الأرض عينا].

الدلالة العادية

والدلالة الجمالية:

يدخل في إطار موضوع الصورة، ويكون العمل الفني أساساً صورة. تفرقة علماء الجمال ومفكره بين الدلالة الجمالية والمعنى التعريفي أو الإشاري ونحن نجد هذه التفرقة عند عبد القاهر الجرجاني، إذ يفرق بين المعنى والغرض في قوله: (لا يفرق قول الناس: قد أتى المعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه - أي معنى كلام شاعر آخر مثلاً - فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم، والمراد أنه قد أدى الغرض، فأبما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ما

هنا إلا ما عقلته هناك. - ففي غاية الإحالة ظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة. - ذلك أن ليس كلاً ما يفهم من لفظتين مفردتين نحو: قعد وجلس، ولكن يفهم من مجموع ومجموع كلام آخر، نحو أن ننظر في قوله تعالى: (ولكم في القصص حياة) وقول الناس: قتل البعض إحياء للجميع، وإن كان قد جرت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا إنهما عبارتان معبرهما واحد، فليس هذا القول قولاً يمكن الأخذ بظاهره أو يقع لعائل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر [٩].

كذلك نجد في أحد طرائق إيضاح عبد القاهر لفكرة النظم ما يذكرنا بتفرقة علماء الانجليز بين (الشكل) (والصورة)، فمجرد التجميع والاتساق لا يؤدي إلا إلى مجرد شكل، أما الصورة في الفن فتعني بروز معنى مقصود من بين أجزاء العناصر المادية للعمل الفني، معنى يوجه الفنان كل طاقاته لإبرازه حسياً، أقصد من ثانياً المعطيات المحسوسة نفسها، كذلك نجد في النص التالي لعبد القاهر ما يفيد التفرقة بين الفن والصنعة:

(من الكلام ما ليس سبيله إلا ضم بعضه إلى بعض، كمن عمد إلى لآلي، فخرطها في سلك، لا يبيغي أكثر من أن يمنعها التفرق ويكن نضد أشياء بعضها على بعض لا يبغي لنضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين وذلك إذا كان هناك معنى لا يحتاج أن تصنع فيه شيئاً، غير أن تعطف لفظاً على لفظ، مثله كقول الجاحظ: جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصنق سبباً. - أنه مجرد (شكل)، أو (النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق) [١٠].

فالكلام المجمع مجرد تجميع المنسق مجرد تنسيق: هو الكلام الخالي من الصورة، والمنقلت في الوقت نفسه من المعنى الخاص الفني الجميل.

الحكم الجمالي

ذاتي - موضوعي:

الفن الجميل يحتاج إلى تثوق جمالي، وكلمة استطبيق التي صارت دالة على علم الجمال تعني أصلاً الإحساس الدقيق الرقيق وخضعت عنه: «بالمجارتق»

للإحساس الجمالي ثم أطلقت قصارته أسبغاً لكلماتي
العمليتين: الخلق الفني والإحساس الجمالي سواء جمال
الطبيعة أو جمال الأعمال الفنية.

وليس المتنوقون سواء، فهذه القول بذاتية الحكم أو
التقدير الجمالي، أي أنه ذاتي تماماً، لكن الرأي الصحيح
هو أن الحكم الجمالي ذاتي - موضوعي، ذاتي لأنه يعتمد
على ذوق الشخص الذي يتوقف، ويتأمل، فيستشعر
ويحس - وموضوعي لأن ثمة صورة أو نظاماً يجهد الفنان
نفسه في تصميمها وإخراجها، ولولاها لما كان ثمة ذاتية
ولا تذوق.

يشير عبد القاهر إلى دقة الحكم الجمالي: إذ يرى
أننا في مجال النظم نكون (في أمور تدرك بالفكر
اللطيف، ونقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك
صواب دركاً فيما نحن فيه، حتى يشرف موضعه،
يصعب الوصول إليه).

ليس الأمر في تذوق المعنى المتبثق المتفجر الصاعد
من ثأيا صورة أمر إدراك مباشر كإدراك الصواب أو
الحق العلمي أو الرياضي وإنما هو إدراك من نوع خاص
ما دام الابتعاد عن المباشرة سمة أساسية للأنشاء
الفني.

وفي موضع آخر يشير عبد القاهر إلى دور الناقد
فيصف سمات المتنوق الأصيل، فالمعاني التي يعالجها
الأديب (أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن
تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهياً
لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق
وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شأن هذه
الوجوه والفرق أن تعرض فيها المزية على الجملة [١١].

ليس عبد القاهر وحده هو من عني بمفهوم الصورة
وبروز المعنى من خلالها في العمل الفني، وإنما نجد ذلك
لدى الجاحظ، وإن كان بصورة ضمنية غير بارزة
بالفاظنا وتعبيرنا، يذكر الجاحظ: أن الشيخ أبا عمرو
الشيباني كان يستحسن المعاني، وقد بلغ من استجانبته
لهذين البيتين:

لا تصيب الموت موت الراس
إنما الموت سؤال الرجال
كلهم ما موت ولكن ذا
أشدد من ذلك على كل حال

أنه كلف رجلاً - ونحن في المسجد الجامع - حتى

أحضره قرطاساً ورواة حتى كتبهما.

ويعلق الجاحظ بقوله (المعاني مطروحة في الطريق
يعرفها الجمعي والعربي والبديوي والقروي، وإنما الشأن
في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء،
وفي صحة الطبع وجودة السبك). المعاني المطروحة في
الطريق هي تلك المعاني العادية السابقة على (جودة
السبك) أو قل الموجودة في الخارج قبل براعة التصوير
وحسن النظم، فإذا أخذها شاعر وقدمها كما هي لم
يضاف إلا الوزن، كان جديراً بأن تحكم عليه حكم
الجاحظ على البيتين المذكورين، قال عنه: وأنا أزعج أن
صاحب البيتين لا يقول شعراً أبداً.

الهوامش:

(١) صمويل الكسندر (الجمال وأشكال أخرى للقيمة)

ص ٨ - ١٠.

(٢) أبو حيان التوحيدي: (المقاييسات) تحقيق السنوسي

ص ١١٧.

(٣) د. عز الدين إسماعيل: (قراءة جديدة لثرائنا

النقدية) ٤٣٥/١ - ٤٣٦.

(٤) جان بول سارتر (مواقف - ما هو الأديب).

(٥) ديوان الباحثري: تحقيق حسن كامل الصيرفي،

المجلد الرابع ص ٢٠٩٠، دار المعارف.

(٦) الجاحظ - الحيوان ١٣١/٣.

(٧) صمويل الكسندر: (مقالات فلسفية وأدبية) ص ٢٢٨،

٢٢٩ وكذلك الكسندر: (الجمال وأشكال أخرى للقيمة ص

٢٣٥ - ٢٣٧.

(٨) عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) ص ١٣٨ -

١٤١.

(٩) عبد القاهر - مزج سابق ص ٢٧١ - وقد عرض

مصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي الظم) الجزء

الثالث ص ٢٩٧ - ٣٠٦ للفرقة بين العبارتين وذكر نقاشاً

كثيرة يفرضها إعجاز النظم القرآني على كل ذي حس

نقيق، ولم يشر الرافعي في الموضوع المذكور إلى عبد

القاهر الجرجاني وتعرضه لنقد من يسوي بين قوله تعالى

(واكم في القصاص حياة) وقول بعض الناس (قتل

البعض إحياء للجميع) فلعله توارد خواطر.

(١٠) عبد القاهر - مرجع سابق ص ٩٨.

(١١) مرجع سابق ص ٤٩٩.



تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز

العهدين العثماني والهاشمي، ومعظم هذه الصحف لم يكتب لها البقاء طويلاً بسبب ظروفها المالية، ففي العهد العثماني صدرت في غضون ثلاثة أعوام ١٣٢٦ - ١٣٢٨هـ، في كل من مكة المكرمة ثم جدة فالمدينة المنورة ما يربو على الخمس صحف هي «هجاز» وهي أول مطبوعة تصدر في الحجاز، «شمس الحقيقة»، «الإصلاح»، «صفاء الحجاز»، «المدينة المنورة».

وفي العهد الهاشمي صدرت أربع مطبوعات في مقدمتها جريدة «القبلة» التي كان يصدرها ويشارك في تحريرها الشريف حسين بن علي، ثم مجلة «جرول الزراعية»، و«الفلاح»، و«بريد الحجاز». ولقد استمرت «القبلة» نحو تسع سنوات [٣]، وتوقفت بعد دخول الملك عبد العزيز طيب الله ثراه إلى مكة المكرمة. وهكذا، فلقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية من مكة المكرمة في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ثم مدينة جدة فالمدينة المنورة، وظلت الصحف تصدر من هذه المدن الثلاث لفترة تزيد عن الأربعين عاماً، ويعد هذه الفترة الطويلة بدأت المدن الأخرى - كما سنرى - تصدر الصحف والمجلات.

وفي يوم ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ٤ كانون الأول ديسمبر ١٩٢٤م دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة معتمراً. وبعد أن بايعه أهالي مكة ملكاً شرعياً على الحجاز أمر بإصدار أول صحيفة سعودية حكومية باسم: (أم القرى) [٤].

وصدر العدد الأول من أم القرى في يوم الجمعة ١٥



بقلم :

د. أمين ساعتي - جدة

«الصحافة السعودية منذ نشأتها كان لها دورها الفاعل المشهود في رصد حركة التنمية في المجتمع السعودي، من كل جوانبها ومعطياتها». وهذه الدراسة الوثيقة لـ (تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز) تُسجل وتُوثق لتاريخ هذه الصحافة وبورها في دفع حركة التنمية.

الصحف السعودية

في عهد الملك عبد العزيز:

إن مفهوم الصحافة Journalism يجمع بين الصحيفة (Journal) Newspaper والمجلة -Mag (Review)azine، ولذلك هناك قواسم مشتركة بين الصحيفة والمجلة، فالصحيفة والمجلة هما دوريتان أو مطبوعتان تصدران عن مؤسسة أو شركة أو أفراد يهدف الأخبار والنشر، ولكن ما يميز الصحيفة عن المجلة هو أن الصحيفة تتابع الأخبار ثم تعلق عليها، أما المجلة فإنها تهتم بالتعليق أكثر من اهتمامها بالأخبار [١].

الصحيفة (الجريدة) هي مطبوعة يومية، غالباً يومية، تتضمن مواد تدور وتعلق أساساً بالوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية... الخ، وتتضمن الصفحة الواحدة عدداً من الأعمدة [٢].

ويُعرف المعجم الوسيط الجريدة بأنها: «صحيفة يومية تنشر أخباراً ومقالات» وهي إضمامة (مجموعة) من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة، وما يتصل بذلك..

ولقد شهدت منطقة الحجاز (منطقة مكة المكرمة) قبل العهد السعودي الزاهر صدور عدد من الصحف في



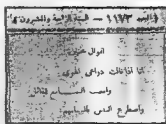
جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م وشعارها منذ صدورها حتى الآن - الآية الكريمة [وكذلك أوحينا اليك قرآنًا عربياً لتتذر أم القرى ومن حولها] - وكان المدير المسئول عن الجريدة الشيخ يوسف ياسين، وبقي اسم الشيخ يوسف ياسين مديراً للجريدة حتى ١١ صفر ١٣٤٥هـ / ٢٠ أغسطس ١٩٢٦م، ثم حل محله الأستاذ رشدي ملحس، وكان الشيخ يوسف ياسين يتولى رئاسة الشعبة السياسية التي أصبحت فيما بعد قسمًا من

أقسام وزارة الخارجية وكان قلم المطبوعات والنشر من مسئولية وزارة الخارجية قبل قيام المديرية العامة للصحافة والنشر، ثم تولى تحريرها الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود [هـ] مدير مطبعة الحكومة ومدير إدارة الجريدة، وفي عام ١٣٥٥هـ تولى رئاسة تحريرها الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير أم القرى للأستاذ عبد القنوس الأنصاري وذلك في ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ، وفي عهده صدر أمر سمو نائب جلالة الملك الأمير فيصل (الملك فيصل) بإلحاق رئاسة تحرير أم القرى بديوان سموه إدارياً وتحريرياً، ثم عين الأستاذ أحمد ملائكة مشرفاً على جريدة أم القرى ثم عهد للسيد هاشم يوسف الزواوي بالإشراف عليها، وتولى محمد خليفة شعبان تحرير أم القرى بالوكالة ثم عهد بتحريرها للأستاذ الطيب الساسي [٦].

وحينما أنشئت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر في عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٣م تولت المديرية الإشراف على أم القرى حيث كلفت الأستاذ هاشم عزوز بالإشراف على تحرير أم القرى وما زالت تحت إشراف وزارة الإعلام [٧] حتى تم تعيين

الأستاذ فائق أحمد جمال حريري لرئاسة التحرير. ولقد بدأت أم القرى حكومية متخصصة فكانت في البداية تهتم بنشر الأخبار الرسمية للدولة من خطابات ملكية وبيانات وأوامر ملكية ومراسيم ومعااهدات وإعلانات وتعيينات، وافتتاحياتها تعبر عن سياسة الدولة مع نشر بعض الأخبار العالمية والأخبار المحلية. ومنذ بداية عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م اهتمت بالنواحي الأدبية والاجتماعية والنقدية مع التوسع في نشر الأخبار الخارجية والداخلية، وفتحت صدرها للمفكرين والناقدين من الأدباء والشعراء، وكانت تنافس صوت الحجاز فيما تنشره من علم وأدب وشعر ونقد [٨]. وصدرت أم القرى في أربع صفحات على الحجم الكبير وفي ثماني صفحات على الحجم الصغير. وعندما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية وقل الورق في المملكة صدرت أم القرى في صفحتين فقط وكان ذلك بموجب البلاغ الرسمي الصادر من قلم المطبوعات في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ - ١٨ يولييه ١٩٤١م بتوقيف جميع الصحف في المملكة ما عدا أم القرى التي كانت تصدر في صفحتين فقط بنصف حجمها، ثم توقفت بغياب الورق من سوق الورق السعودي.

وحينما علم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله بذلك أمر معالي الشيخ عبد الله السليمان برحمه الله



- ٣ - تعتبر أم القرى لسان حال الحكومة - قبل الإذاعة والتلفزيون - تجاه المجتمع المحلي والمجتمع الدولي .
- ٤ - تعتبر الأساس الأول الذي بنى العلاقة بين الملك المفدى وشعبه المخلص بالبيعة الشرعية، وكذلك تعتبر أم القرى الأرضية المشتركة لبناء علاقات المجتمع السعودي الموحد تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- ٥ - شهدت مرحلة صحافة أم القرى صدور أول نظام للمطابع والمطبوعات، أي أن أم القرى شهدت أولى مراحل أنظمة الإعلام السعودي .
- ٦ - تعتبر ورشة العمل الأولى التي تم فيها تدريب الكوادر السعودية على العمل الصحفي .
- ٧ - وضعت أسس قيام النهضة الأدبية - شعراً ونثراً - في المملكة العربية السعودية [١٢] .

صوت الحجاز:

صدرت صوت الحجاز من مكة المكرمة يوم الاثنين ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ - ١٤ ابريل ١٩٣٢م، وهي أول

جريدة صدرت في ظل الامتيازات الفردية أو ما يعرف باسم صحافة الأفراد، وأصدرها الشيخ محمد صالح نصيف [١٣]، ولقد صدرت في البداية اسبوعياً في يوم الاثنين من كل أسبوع، ثم صدرت مرتين في الأسبوع يومي الأحد والأربعاء اعتباراً من ٢ ذي الحجة ١٣٥٧هـ - ٢٥ يناير ١٩٣٩م، وصدرت صوت الحجاز في ثمان صفحات من الحجم الصغير، ثم صدرت في أربع صفحات بحجم كبير .

وما جاء في افتتاحية صوت الحجاز:

لذلك كله يدفعنا الواجب الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة جهوياً، كي نحدث العالم عن حياتنا . . . وعن حياة بلادنا، ولنعرض على بساط البحث آلامنا وأملنا لنستاصل جذور الأولى وتتعدد غراس الأخرى حتى تثمر لنا ثمراً جلياً من السعادة، ولننقي أيضاً ما تلصقه بنا المزاغم، وثبت للناس أننا أمة مازالت نماؤها زكية، ونفوسها شريفة وبخصالها كريمة، وأن بلادنا كما شرفها الله بمركزها الديني كذلك شرفها طيلة الأعصر الخالية والحاضرة باستقلالها وطهارتها من

وزير المالية آنذاك بسرعة إحضار ورق للجريدة من بعض البلدان العربية المجاورة، ووصل الورق وصدرت الجريدة على ورق أبيض سميك وحجم صغير [١٤] .

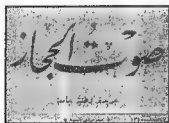
ولقد كان الإشتراك في العدد الواحد من جريدة أم القرى بنصف جنيه استرليني للسنة الكاملة، وثلاثة أرباع الجنيه في الخارج، وسعر البيع في السوق قرشاً واحداً، ثم خفض الإشتراك من العدد الثالث إلى ربع جنيه، وتحول الإشتراك من الجنيه الاسترليني إلى (الجديدي) العثماني اعتباراً من ١٥ رجب ١٣٤٤هـ، حيث أصبح الإشتراك (٢) مجيدي عثماني في الداخل و(١) مجيدي عثماني في الخارج وقرشاً واحداً ثمن البيع في السوق ثم تحول الإشتراك إلى الريال السعودي اعتباراً من عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤١م فأصبح (٢) ريالاً سعودية في الداخل، و(٧) ريالاً سعودية في الخارج [١٥] ثم زاد الإشتراك السنوي في عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م إلى (١٠٠) ريال وسعر النسخة (٢) ريال .

ولقد بدأت أم القرى طباعة (٨٠٠) نسخة أسبوعياً، ثم قفز العدد إلى (١٥٠٠) نسخة بعد عام من صدورها، ولكن تراجع الكمية المطبوعة إلى (١٢٠٠) نسخة بعد أن صدرت صوت الحجاز في عام ١٣٥٠هـ لتنافس أم القرى، ثم عاد العدد وقفز إلى (٢٠٠٠) نسخة، وتطبع أم القرى في عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م كمية تصل إلى (٥٠٠٠) نسخة يومياً [١٦] .

وواضح من دراستنا لصحيفة أم القرى أنها كانت ومازالت مصدراً يحمل في صفحاته الخطوط العريضة لتاريخ التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية ذلك لأنها كانت وعاءاً وحيداً يرصد تطورات مجتمع المملكة العربية السعودية الذي كان في ظل حكومة الملك عبد العزيز يرحم الله يعاد تشكيله باتجاه الوحدة والتقدم والبناء .

ويمكننا - في ضوء ما سبق - أن نجمل دور صحافة أم القرى في المحاور التالية:

- ١ - تعتبر صحيفة أم القرى الجريدة الرسمية للحكومة، ونشرت بها جميع الأوامر والمراسيم الملكية، وكذلك الأنظمة التي تصدر عن الحكومة .
- ٢ - تعتبر إحدى المراجع الهامة في دراسة تاريخ المملكة العربية السعودية السياسي والثقافي والاقتصادي .



كانت صوت الحجاز تهتم بالأدب والشعر أكثر من اهتمامها بالخبر المحلي، والخبر الخارجي، على أن الخبر المحلي على قلته كان يطغى على الخبر الخارجي. ويرجع قلة وجود الخبر الخارجي في صوت الحجاز إلى عدة عوامل منها صعوبة الاتصالات والمواصلات، وضعف الإتصال بالعالم الخارجي بالوسائل السريعة التي تهيأت الآن ثم عدم استطاعتها الاشتراك في وكالات الأنباء، والتوسع في تعيين مراسلين لها في بقية المدن السعودية وفي العواصم العربية والعالمية، لأن ذلك يتطلب نفقات كبيرة قد لا تتحملها إكائيات الجريدة. كما كانت تهتم بالشؤون الرياضية ولعبة كرة القدم فتتشر تعليقا لما يجري من مباريات رياضية ونقد الناقدين الرياضيين وتنتقل أخبار الأندية الرياضية ومبارياتها، ولم تكن هناك مسابقات رياضية منظمة كما هو اليوم وكانت تجري هذه المباريات في فترات قريبة أو بعيدة خلال السنة [١٥] وكان اهتمام صوت الحجاز بالشعر كبيرا فلا يكاد يصدر عدد من أعدادها إلا وفيه قصيدة أو اثنتين لشعراء سعوديين. غير أن الكثير من المقالات التي كانت تنشر لم تكن موقعة بالتوقيع الصريح للكاتب بل كثيرا ما كان يرمز إليها بالأحرف أو بأشياء مستعارة، فمثلا كان الأستاذ حمزة شحاته يستخدم رمز هول الليل، وكان الأستاذ محمد حسن عواد يستخدم رمز المنتج الفسيح، والأستاذ محمد عمر توفيق يستخدم رمز (زاصد) والأستاذ محمد حسن فقي (ابن جلا)، والشيخ محمود شويل (الصحفي العجوز) و(أبي الأشبال)، ومحمد سعيد عبد المقصود (الغريال).

وكان أول من تولى رئاسة تحرير «صوت الحجاز» الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم أشي [١٦] ولم تطل مدة رئاسته للتحرير بل بقي فيها حوالي ثلاثة شهور، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف صاحب امتياز الجريدة مديرية التحرير، وكان يقوم بمساعدته في التحرير الأستاذ السيد محمد حسن فقي، وفي ٨ رمضان ١٣٥٢هـ عين السيد حسن كتبي رئيساً للتحرير، ثم تولى الشيخ محمد صالح نصيف مرة ثانية رئاسة التحرير فأصبح (صاحب امتياز الجريدة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول) ثم تعاقب على رئاسة تحرير «صوت الحجاز» أحمد بن إبراهيم الغزاوي [١٧] ومحمد حسن فقي ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن عواد [١٨] وأحمد السباعي.

كل شواثب الاستعباد والاستعمار، وأن تلك الشيعة التي برزت من جبالها وصحاريها وسهولها فاضات العالم ما يزيد عن خمسة قرون متواليات لا تزال جمراتها كامنه، ولنسوق تعوده إن شاء الله أشد ما كانت ضوأة وإشعاعا [١٤].

وكان لصنوبر صوت الحجاز دور هام في تاريخ الصحافة والأدب السعودي، فقد كانت ميداناً لنشر آراء الأدباء والمفكرين والنقاد، وقد ظهرت على مسرح صوت الحجاز مواهب وكفاءات أدبية وفكرية كان لها الأثر الكبير في تطوير حركة الأدب والشعر السعودي. وتوقفت صوت الحجاز بسبب أزمة الورق أثناء الحرب العالمية الثانية، واستأنفت صدورها بعد الحرب العالمية الثانية في ١٣٦٥هـ/٤/٨.

ولقد كان الاشتراك السنوي عند صدور صوت الحجاز (٤) ريالاً في الحجاز ونجد، ونصف جنيه استرليني في سائر الأقطار ثم خفضت قيمة الاشتراك إلى (٣) ريالاً من ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ - ٢ أبريل ١٩٣٤م وتباع النسخة الواحدة في الأسواق بقرش واحد. وبعد أن أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع في عام ١٣٥٧هـ ارتفعت قيمة الاشتراك السنوي إلى (٥) ريالاً في الداخل، و(٩) ريالاً في الخارج، وارتفع بدل الاشتراك إلى (٢٠) ريالاً في الداخل و(٣٠) ريالاً في الخارج بصدورها ثلاث مرات في الأسبوع، وتباع في السوق بمبلغ (٣) قروش، وبعد أن أصبحت يومية زاد الاشتراك إلى (٤٠) ريالاً في الداخل، و(٦٠) ريالاً في الخارج، ثم ارتفع الاشتراك إلى (٨٠) ريالاً داخل المملكة وإضافة أجرة البريد للخارج وذلك في عام ١٣٧٨هـ بعد دمجها مع «عرفات» و«الأضواء»، وصدورها باسم «البلاد»، ثم خفض إلى (٤٠) ريالاً في الداخل مع إضافة أجرة البريد للخارج. وبعد صدورها عن مؤسسة البلاد للصحافة في عام ١٣٨٣هـ أصبح الاشتراك بـ (٦٠) ريالاً في الداخل مع إضافة أجرة البريد في الخارج وقيمة العدد (٤) قروش في الأسواق. وفي عام ١٣٨٨هـ زادت قيمة الاشتراك فأصبح (٩٠) ريالاً في الداخل وفي الخارج تتضاف أجرة البريد وقيمة العدد (٦) قروش، أما في عام ١٤١٩ - ١٩٩٨م وصل الاشتراك إلى (٦٠٠) ريال سنوياً و(٨٠) ريالاً للخارج وسعر بيع النسخة في السوق السعودي (٢) ريال سعودي.

واعتباراً من ٢٧ شوال ١٣٥٢هـ - ١٣ فبراير ١٩٣٤م عيّن الأستاذ محمد علي رضا رئيساً للتحريير، ثم حل محله الأستاذ فؤاد شاكر، ثم أسندت رئاسة تحرير «صوت الحجاز» إلى الأستاذ أحمد قنديل، وتولى كذلك رئاسة تحرير صوت الحجاز الأستاذ محمد علي مغربي، وبقي الأستاذ المغربي في رئاسة التحرير إلى أن توقفت الجريدة عن الصدور في عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م، بأسباب الحرب العالمية الثانية - كما سبق أن أوضحنا - وهكذا بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٠هـ انتهت الفترة الأولى من تاريخ «صوت الحجاز» التي دامت حوالي عشر سنوات.

وبالنسبة للصحافة الرياضية السعودية، فقد بدأت تاريخها من أم القرى، وكانت أم القرى تنشر أخباراً رياضية خافضة للأندية والمباريات التي كانت تنظمها الفرق الرياضية. ولكن أم القرى ظلت تنشر أخباراً رياضية في السنوات الأولى من تاريخها ولم تهتم بنشر تعليق رياضي على المباريات، بل تركت هذه المهمة لصحيفة صوت الحجاز التي أعطت مباريات كرة القدم اهتماماً واسعاً، وأخذت تتابع أخبارها وتكتب عن منافساتها وتنشر تعليقات على مبارياتها.

ولقد كانت «صوت الحجاز» ميداناً للكثير من المعارك الأدبية والفكرية وكانت أرضاً خصبة للمساجلات بين مواهب الأدباء والشعراء. ولعل من أشهر المعارك الأدبية والشعرية في تاريخ صوت الحجاز... هي المعركة التي نشبت شعراً بين الشاعر المفكر محمد حسن عواد والشاعر الفيلسوف حمزة شحاته، واستطاع هذان الشعاران المبدعان أن يتباريا بالقصائد ذات النفس الطويل، التي كانت كل واحدة تغطي صفحة كاملة، وكانت تلك القصائد تقدم - وربما لأول مرة - مستوى الشعر السعودي الذي ثبت من خلال العواد وشحاته أنه يضاهي الشعر في أي بلد عربي آخر.

ولقد اتسع حجم المعركة وتطايير الشرر إلى البعض الآخر من مؤيدي العواد ومن مناصري حمزة شحاته، فانضم إلى العواد الشعاران محمود عارف وعبد الحميد مشخص، كما انضم إلى شحاته أحمد قنديل ومحمد علي مغربي. وكانت بالفعل معركة شعرية رأينا من خلالها عيون الشعر السعودي تتبارى لتقديم نفسها إلى العالم العربي كقمة شعرية وأعدة، لا تقل عن قصائد أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وبنوي الجبل، وإيليا أبو ماضي.

التي تنشر في المجلات الأدبية في مصر وفي سوريا ولبنان والمهجر، ولكن المعركة لم تستمر فوق صفحات «صوت الحجاز» إذ ما لبث أن لوقفت «صوت الحجاز» نشر هذه الحمم التي انخرقت فيما بعد لتطال العورات والمحامر.

ولقد كانت الكمية المطبوعة عند صدور «صوت الحجاز» في عام ١٣٥٠هـ لا تتعدى الألف نسخة، ولكن مع التوسع في نشر المعارك الأدبية والتعليق على المباريات الرياضية زبدت الكمية المطبوعة إلى (٣٠٠٠) نسخة، ثم قفز العدد بعد تغيير اسم «صوت الحجاز» إلى اسم «البلاد السعودية» إلى (٥٠٠٠) نسخة، وتطبع البلاد في عام ١٤١٩هـ نحو (٢٥٠٠٠) نسخة يومياً.

البلاد السعودية:

بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية، وبعد أن توقفت «صوت الحجاز» لمدة خمس سنوات، استأنفت صدورها باسم



«البلاد السعودية» في ١ ربيع الآخر ١٣٦٥هـ / ٤ مارس ١٩٤٦م، بالعدد (٥٩٣) ويأتي هذا الاسم تعبيراً عن تغيير اسم البلاد إلى المملكة العربية السعودية بدلاً من المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها [٢٠].

وتولى رئاسة تحرير البلاد السعودية في فترتها الثانية الأستاذ عبد الله عريف [٢١]، وقد تطورت البلاد السعودية في عهد الأستاذ عريف، وصدرت «البلاد السعودية» يومياً في ١ ربيع الآخر ١٣٧٣هـ - ٢٧ ديسمبر ١٩٥٢م مرتين في الأسبوع (الأحد والأربعاء) ثم ثلاث مرات (الأحد والثلاثاء والخميس) وقد بقي الأستاذ عريف في رئاسة تحرير «البلاد السعودية» حوالي عشر سنوات، واعتباراً من ٥ ربيع الآخر ١٣٧٥هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٥م، صدرت «البلاد السعودية» نون أن يذكر بها اسم رئيس التحرير، وكان يدير تحريرها الأستاذ محمد صالح جمال، وكان مشرفاً على التحرير والإدارة.

ومن غرة محرم ١٣٧٦هـ تولى رئاسة التحرير الأستاذ فؤاد شاكر، وفي عهده تم دمج «البلاد السعودية» وعرفت، والأصواء» في جريدة واحدة تحت اسم (البلاد) وتولى رئاسة تحرير «البلاد» كل من الأستاذ فؤاد شاكر

العدد الأول متوجهاً بصورة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه [٢٢].

ولقد كان السيد أمين مدني أول رئيس لتحرير جريدة المدينة، وكانت تشرف على التحرير هيئة مكونة من الأساتذة أمين مدني، ضياء الدين رجب، محمد حسين زيدان، علي حافظ، وكانت هذه الهيئة تجتمع كلما دعت الظروف لدراسة المواد الصحفية وتقرير ما ينشر وما يحفظ. وقد استمر السيد أمين مدني في رئاسة التحرير حتى ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ - ٨ يولييه ١٩٣٧م، ثم حل محله الأستاذ عثمان حافظ كرئيس للتحرير وبذلك أصبح صاحب الجريدة ومحررها المسؤول.

واعتباراً من ٢٧ رجب ١٣٨٢هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ ومديرية الإدارة لخالد حافظ، وبوذلك صدرت «المدينة» يومية ونقلت طباعتها لطابع شركة الطباعة والصحافة بجدة، ثم أسندت رئاسة التحرير لهشام بن علي حافظ ومديرية التحرير لمحمد بن علي حافظ اعتباراً من ٤ صفر ١٣٨٣هـ - ٢٥ يوتيه ١٩٦٢م، وفي ١٠ شوال ١٣٨٣هـ - ٢٤ فبراير ١٩٦٤م أسندت رئاسة التحرير لمحمد بن علي حافظ مرة أخرى [٢٣].

وفي ظل مرحلة المؤسسات الصحفية انتخبت الجمعية العمومية محمد بن علي حافظ لتولي رئاسة التحرير، ثم أسندت رئاسة التحرير للأستاذ عبد الحميد عنبر في ٢٨ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ، وبعد شهرين تخلى الأستاذ عنبر وعيّن الأستاذ عزيز ضياء مسئولاً عن التحرير، ولم يمكث عزيز ضياء سوى أربعين يوماً. وفي محرم ١٣٨٥هـ أسندت رئاسة التحرير للأستاذ محمد عبد القادر علاقي، وفي جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ أسندت رئاسة التحرير للمؤسس عثمان حافظ ثم تعاقب على رئاسة التحرير الأستاذ أحمد محمود، غالب حمزة أبو الفرج، عبد الله الحصين، جمال خاشقجي (بالإنابة)، أسامة السباعي، د. مازن عبد الرزاق بليلة.

ولقد بدأ سعر الاشتراك في جريدة المدينة بـ (٣) ريالاً في الداخل ونصف جنيه استرليني في الخارج، وبعد أن عادت الصحف السعودية إلى الصور بعد الحرب الكونية الثانية أصبح الاشتراك بـ (٦) ريالاً داخل المملكة وجنيهاً إسترلينياً خارج المملكة. وبعد صدورها مرتين في الأسبوع في عام ١٣٧٩هـ ارتفع

عن الشركة العربية للطبع والنشر والأستاذ حسن عبد الحي قران صاحب «عرقات».

وفي عام ١٣٨١هـ عين الأستاذ حسن قران رئيساً للتحرير والأستاذ عبد الغني قسبي مديراً للتحرير، والأستاذ حامد مطاوع مديراً للإدارة وبقي هذا الوضع إلى ٢٩ شوال ١٣٨٣هـ - ١٣ مارس ١٩٦٤م، حيث انتقل امتياز جريدة «البلاد» إلى مؤسسة البلاد الصحفية.

وبعد انتقال امتياز البلاد للمؤسسة انتخبت الجمعية العمومية للمؤسسة الأستاذ عبد المجيد شبكشي رئيساً لتحريرها كما اختير الأستاذ عبد الغني قسبي مديراً للتحرير وفي غرة ذي القعدة ١٣٨٣هـ - ١٤ مارس ١٩٦٤م، صدرت جريدة «البلاد» جريدة يومية في ٨ صفحات عن مؤسسة البلاد للصحافة.

جريدة المدينة المنورة:



لقد بدأ تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية - كما أوضحنا - من مكة المكرمة، ففي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م

صدرت في مكة المكرمة في العهد العثماني جريدة «حجاز» ثم عرفت المدينة المنورة الصحافة في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، عندما صدرت جريدة «الحجاز» في آخر العهد العثماني.

ولقد صدرت جريدة «المدينة المنورة» في ٢٥ محرم ١٣٥٦هـ ٨ أبريل ١٩٣٧م، أسبوعياً وكان لصورها صدى عميقاً في الأوساط الأدبية والصحفية في المدينة المنورة، ثم صدرت مرتين في الأسبوع (الأثنين، والخميس) اعتباراً من غرة جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ثم صدرت يومياً عداً يوم السبت اعتباراً من ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ، وذلك حينما نقلت طباعتها إلى مدينة جدة.

ولقد أصدر جريدة المدينة المنورة الأدبان الشقيقان علي وعثمان حافظ، بعد أن هياكلها مطبعة مجهزة بالمستلزمات الطباعة اللازمة.

وجريدة «المدينة المنورة» أول صحيفة سعودية تدخل الصورة الفوتوغرافية في الصحافة السعودية فقد صدر

الداخل مع إضافة أجرة البريد في الخارج. وفي عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بلغ الاشتراك السنوي (٤٥٠) ريالاً عدى أجرة البريد كما أن سعر بيع الصحيفة في الأسواق وصل إلى ريالين.

وكانت جريدة المدينة تطبع (٨٠٠) نسخة عند بداية صدورها في عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ولكن بعد انتهاء الحرب الكونية وعودة الصحف إلى الصدور ارتفعت الأعداد المطبوعة إلى (١٠٠٠) نسخة لكل عدد، ثم قفز المطبوع بعد صدورها يومية من جدة إلى (٧٠٠٠) نسخة يومياً، وفي إحصائيات عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م تطبع المدينة (٢٧٠٠٠) نسخة يومياً.

(للدراصة صلة)

سعر الاشتراك إلى (٢٠) ريالاً في الداخل و(٤٠) ريالاً في الخارج، وحينما أصبحت الجريدة تصدر يومياً صار الاشتراك فيها بـ (٤٠) ريالاً داخل المملكة وفي الخارج تضاف أجرة البريد. واستمر بدل الاشتراك (٤٠) ريالاً وقيمة النسخة (٢) قروش حتى صدور جريدة المدينة عن مؤسسة المدينة للصحافة.

وفي اجتماع عقده المديرين العامون للمؤسسات الصحفية بجدة في ١٤ رجب ١٣٨٥هـ، قرروا رفع قيمة الاشتراك السنوي من أربعين ريالاً إلى ستين ريالاً، وزيادة قيمة العدد / النسخة (٣) قروش إلى (٤) قروش. كما قرر المديرين العامون في اجتماعهم في عام ١٣٨٨هـ رفع قيمة الاشتراك إلى (٩٠) ريالاً سنوياً في

الصحف

م	اسم الصحيفة	مكان الاصدار	التساريخ	
			الهجري	الميلادي
١	أم القسري	مكة المكرمة	١٣٤٣	١٩٢٤
٢	صوت الحجاز	مكة المكرمة	١٣٥٠	١٩٣٢
٣	المدينة المنورة	المدينة المنورة	١٣٥٦	١٩٣٧

المجلات

م	اسم المجلة	مكان الاصدار	التساريخ	
			الهجري	الميلادي
١	الاصلاح	مكة المكرمة	١٣٤٧	١٩٢٨
٢	المنهل	المدينة المنورة	١٣٥٥	١٩٣٧
٣	النداء الإسلامي	مكة المكرمة	١٣٥٦	١٩٣٧
٤	التضامن الإسلامي «الحج»	مكة المكرمة	١٣٦٦	١٩٤٧
٥	التجارة، الفرقة التجارية والصناعية،	جدة	١٣٦٧	١٩٤٨
٦	اليمامة	الرياض	١٣٧٢	١٩٤٨
٧	قافلة الزيت	الظهران	١٣٧٣	١٩٥٣
٨	الرياض	جدة	١٣٧٣	١٩٥٣

الهوامش:

- (١) د. أنيب خفسور، مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة، دمشق: المكتبة الإعلامية، ١٩٩١م، ص ١١.
- (٢) د. هاشم عبيد هاشم، الاتجاهات العنيدية والتنوعية للوريات السعودية، جدة: تهامة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ١٩ - ٢١.
- (٣) د. أمين ساعاتي، السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: المركز السعودي للدراسات ١٩٩٢م، ص ٧٣.
- (٤) د. أمين ساعاتي، الثوري في المملكة العربية السعودية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٦٣.
- (٥) ولد الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود بمكة المكرمة وتعلم بها، وألف مع الوزير عبد الله بلخير كتاب وهي الصحراء، وكان يوقع بعض مقالاته باسم «الريال».
- (٦) برأجعتنا الكثير من أعداد أم القرى لاحظنا أن هناك بعض الاختلاف مع ما نكره الأستاذ عثمان حافظ في كتابه (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، وقد تمنا بالتصحيحات اللازمة.
- (٧) د. بكرى شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بيروت: دار صادر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ١١٠ - ١١١.
- (٨) عثمان حافظ، تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، بدون تاريخ ص ١١٥.
- (٩) عثمان حافظ المرجع السابق، ص ١٢٠ - ١٢١.
- (١٠) عثمان حافظ، المرجع السابق ص ١٢٢.
- (١١) اخذت هذه المعلومات باتصال هاتفني مع إدارة الجريدة في ضحى يوم ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ - ١١ أكتوبر ١٩٩٨م.
- (١٢) د. منصور إبراهيم الصازمي، معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية (صحيفة أم القرى)، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٧ - ٢٠.
- (١٣) كان عميداً ليبت نصيف أحد البيوتات العريقة في مدينة جدة، وكان رئيساً للبلدية، ثم مديراً للأوقاف، وكانت له اهتمامات صحفية واسعة.
- (١٤) صوت الحجاز، العدد (١)، ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ - ١٤ أبريل ١٩٣٢م.
- (١٥) د. أمين ساعاتي، الإعلام الرياضي في المملكة العربية السعودية، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٢.
- (١٦) ولد الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم أشي بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ودرس بمدارس الفلاح، وكان من أبناء الرعي الأول وعمل في آخر حياته موظفاً بالبنك الأهلي التجاري بجدة.
- (١٧) ولد الأستاذ أحمد بن إبراهيم الغزالي بمكة المكرمة في عام ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م، ودرس بمدارسها واشتغل في عدة وظائف رفيعة حتى أصبح نائباً لرئيس مجلس الشورى، ونال لقب شاعر الملك (حسان جلالة الملك)، وله عدة مؤلفات شعرية، ورأس تحرير «أم القرى»، والأصلاح، وصوت الحجاز، وله إنتاج ثري وشعري غزير نشره في مجلة المنهل.
- (١٨) ولد الأستاذ محمد حسن عواد بمدينة جدة، وهو من أدياء الرعي الأول البارزين شعراً ونثراً وله الكثير من المؤلفات منها خواطر مصرحة ونحو كيان جديد وأمان وأطلس، وكان المواد أول من رأس نادي جدة الأدبي، واشتهر المواد بمعارك الأدبية الواسعة التي كانت إحدى المنازلات الفكرية الهامة في تاريخ الأدب السعودي، ومن معارك الأدبية معركة مع الشاعر الكبير حمزة شحاته التي قفزت بتوزيع «صوت الحجاز» ومعركته مع محمد حسين زيدان، وبعد الله بن إدريس، وبعد العزيز الريع حول أمارة الشاعر الكبير أحمد شوقي.
- (١٩) أم القرى، العدد (٦٥٥)، ١٦ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ - ٢٥ يونيو ١٩٣٧م.
- (٢٠) صدر الأمر الملكي الكريم رقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ - ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م، بتوحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية، واعتبار اليوم الأول من میزان يوماً لإعلان توحيد المملكة (اليوم الوطني).
- (٢١) ولد الأستاذ عبد الله عريف بمكة المكرمة وكان من أدياء الشباب الذين يمثلون مرحلة جديدة في تاريخ «صوت الحجاز»، وكان عموده اليومي وجهة نظر من المواد الصحفية التي شتد انتباه قراء «البلاد السعودية»، وقد تولى أمانة العاصمة بمكة المكرمة، كما رأس نادي الوحدة بمكة المكرمة.
- (٢٢) قابلت الأستاذ عثمان حافظ مرات عديدة في مكتب جريدة المدينة بجدة بعد أن نقلت الصحيفة إلى جدة لتصدر يومياً، ولقد قص علي قصة تأسيس جريدة المدينة بما لا يخالف كل ما نكره في كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية».
- (٢٣) عثمان حافظ، مرجع سابق، ص ١٦٤ - ١٦٦.

المجموعة الكاملة
في ٧٢ مجلدا فاخرا

الأمة



المنهل

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للطباعة والنشر المحدودة

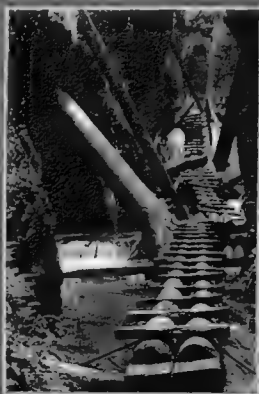
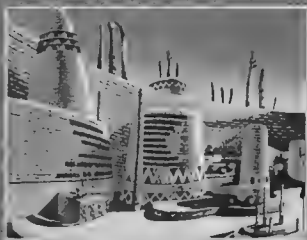
المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢١٤٦٥ ت : ٩٤٣٢١٢٤ فاكس : ٩٤٣٨٨٥٢



محتاجك لعالم الفكر والمعرفة

مجلة السائح العدد (١١٣)

في البحار والبرار ..
في التلال والأودية
في التلال وبرد التلال
التي تشرق
المنوار يرمي التلال



التلال
والبحار
في ملوكها

السائح





واحدة من اسواق الرياض الحديثه



سوق الخميس بالاحساء

سوق في الرياض وابست لوحة خيالية

في وسط أوروبا بجوار النمسا والجمهورية التشيكية وبولونيا وأوكرانيا والمجر تمتد بلاد تسمى بسلوفاكيا، وعلى مساحة ٤٤ ألف كلم^٢ يعيش حوالي ٥ ملايين من السكان من قوميات مختلفة، ف بجانب السلوفاك (٨٦ في المائة) نجد أقليات عرقية من المجرين والألمان والأوكرانيين والروثنيين والبولنديين والتشيك والفجر.



- فرقة موسيقية شعبية.

نحلة تار يخية:

بعد تفكك المجرين لمورافيا الكبرى وانضمام سلوفاكيا الى الامبراطورية المجرية في القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين اتخذ كل من التشيك والسلوفاك مسارين تاريخيين منفصلين، وشهد القرن الرابع عشر ازدهارا كبيرا للتعبدين والفن الحرفي عززه تدفق العديد من المستوطنين الألمان الذين وجهوا مسار الحياة في براتيسلافا العاصمة وأسهموا في تطور فن البناء القوطي بها، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر ابتليت البلاد بقلقل اجتماعية عنيفة زاد من شراستها ظهور المذهب اللوثرى لينضاف الصراع الديني الى أشكال الصراع الأخرى، وبعد سقوط مدينة موهاكس امتدت سيطرة آل هابسبورغ من المجر الى سلوفاكيا ولم يمنع ذلك المذهب البروتستانتي من



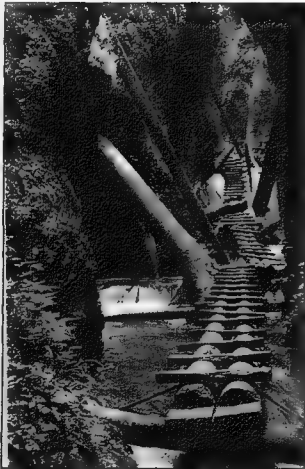
- التزلج على الجليد في جبال سلوفاكيا.

التنوع والجمال في سلوفاكيا

الحسان الرزافي
- المغرب -



- الريف السلوفاكي وجمال الطبيعة.



- جسر خشبي على أحد الأنهار.

الانتشار في المنطقة، أما القرن السابع عشر فهو قرن عودة الكاثوليكية انطلاقاً من الجامعتين اليسوعيتين في ترنافا (١٦٣٦) وكوشيسي (١٦٥٧)، وكذلك الوقوف في وجه الأتراك والمجريين، وفي القرن الثامن عشر شهدت سلوفاكيا انتعاشاً اقتصادياً تزامناً مع استتباب السلام مما نتج عنه بروز الشعور القومي لدى السلوفاك، فقد أنشئت سنة ١٧٩٣ جمعية العلوم السلوفاكية التي أعلنت من شأن الماضي السلافي للبلاد رغم المعارضة القوية للمجر، وأمام رفض الثورة المجرية لسنة ١٨٤٨ للمطالب السلوفاكية تحولت المشاعر الشعبية ضد المجريين، وحتى عام ١٨٦٠ خضعت البلاد للحكم المركزي النمساوي وانتعشت الآمال بالحصول على درجة ما من الحكم الذاتي لكن اتفاقية ١٨٦٧ أوقعت السلوفاك تحت نير بودابست، وكنتيجة لهذه الوضعية اتجهت الآمال صوب القوميين التشيك، وفي

الجليدية الناصعة كما
تشتهر البلاد ايضا بعيونها
المعدنية وينابيعها التي
تقصد للتمتع بجمالها أو
للاستشفاء.

أما محبو الرياضة
فيمكنهم ممارسة رياضة
التزلج على الجليد في جبال
التاترا والفاترا وكذا في
جبال كريمينيكي قرشي
وروهاشي المكسوة بالثلوج

على غرار عشرات الالوف من الرياضيين الذين
يؤمنونها كل سنة، كما تمكن الانهار الدائمة الجريان
والبحيرات الهواة من ممارسة رياضات عديدة
ومتنوعة كالسباحة وسباق القوارب والتزلج على
الماء.

وينعكس غنى الطبيعة على الفلكلور السلوفاكي
الذي يعتبر بمثابة سيفيساء لفرط غناه وتنوعه،
فالآزياء التقليدية شديدة التنوع الى حد لا يصدق،
وقس على ذلك المصنوعات الحرفية والقطع الفنية
التي لا يخلو منها بيت من البيوت، وتعتبر الفنون
الشعبية من موسيقى ورقص وتمثيل عامل جذب
سياحي إضافي على قدر كبير من الاهمية،
فسلوفاكيا من الدول التي تعيش في انسجام تام مع
تراثها الشعبي بشكل بيّن، فتتأغم المبدع الشعبي مع
الطبيعة في سعيه الدائب الى الجمال والكمال يدفعه
إلى تحويل الطين والخشب والنسيج والقطن



- من كهوف سلوفاكيا.

سنة ١٩١٨ شكلت كل من بوهيميا وسلوفاكيا اتحادا
بينهما فنشأت بذلك دولة: تشيكوسلوفاكيا، وبمساعدة
من المانيا النازية حصل جوزيف تيتو سنة ١٩٢٨
على حكم ذاتي لسلوفاكيا تميز بطابعه الفاشي
فتحولت البلاد في السنة الموالية الى محمية ألمانية،
ولم تتوحد سلوفاكيا مع التشيك مجددا إلا سنة
١٩٦٩ وهذه المرة تحت النظام الشيوعي، لكن انهيار
حلف وارسو والكتلة الشرقية سمح للسلوفاك
بالانفصال وتكوين دولتهم المستقلة سنة ١٩٩٣
سلميا ودون إراقة دماء.

تنوع وجمال:

نتيجة لتنوع التضاريس في سلوفاكيا، توفر
الطبيعة مجالا خصبا للسائح لاختيار مكانه المفضل
حيث يمكنه تسلق الجبال الشاهقة أو التنزه في
الغابات الدائمة الخضرة أو ارتياد الكهوف التي
ترتيزها الصواعد والهوابط الكلسية أو الصخور



والصوف الى آيات من الفن الرفيع، وبهذا تتميز الفنون الشعبية في هذه المنطقة من العالم بالبساطة والتنوع اللامحدود المستوحين من الطبيعة المحلية ذاتها: فالجبال تتقابل مع الوديان والتلال تتجاور مع الغابات في تشكيل فني بديع، وتعتبر كل منطقة - بل كل قرية -

علما قائما بذاته هنا، فلكل - الزهور الغناء والسماء الزرقاء

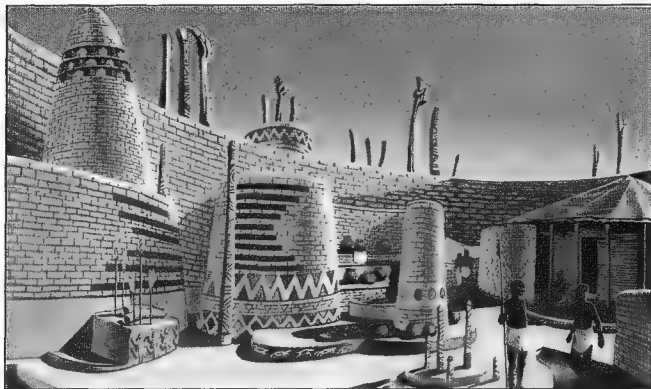
شهدت رحابها تتويج الملوك المجريين الذين حكموا المنطقة لمدة طويلة.

وبجانب الكنائس الاخرى المتعددة ككنيسة الثالث المقدس والكنيسة الاليزابيثية المبنيتين على طراز الباروك والمزيتتين بالفريسكو، تعتبر بوابة ميكائيل البوابة الوحيدة التي مازالت على حالها من أصل أربع بوابات تستخدم كمداخل إلى المدينة عندما كانت التحصينات تحيط بكل أرجاء براتيسلافا.

أما مبنى البلدية القديم الذي يشرف على الساحة الرئيسية للمركز التاريخي للمدينة فهو من أقدم المباني الحجرية في براتيسلافا، وبشكل برج هذا المبنى الذي شيد أصلاً لأغراض دفاعية جزءاً من مبنى البلدية، ويشتمل هذا الموقع التاريخي اليوم على متحف يعرض مراحل من التاريخ للتيد للمدينة.

جهة أزيائها وهندستها المعمارية وأغانيها وعاداتها التي تميزها عن غيرها.

ويساهم كل هذا التنوع والغني في ازدهار الثقافة السلوفاكية فالعاصمة براتيسلافا كمثال - زاخرة بالمعالم الثقافية والتاريخية العريقة وأهمها على الاطلاق قلعة براتيسلافا التي شهدت أحداثاً تاريخية مهمة، فقد تم توسيعها وإعادة بنائها في القرن الخامس عشر وعبر العصور تم تخريبها وإعادة ترميمها مرات عديدة، وفي سنة ١٨١١، اشتعلت النيران في القلعة فأحرقتها بالكامل وبقيت أطلالا خربة لما يزيد عن قرن ونصف قرن، وبعد ترميم كلف ميزانية ضخمة سنة ١٩٦٨ استعادت هذه المعلمة التاريخية رونقها وجمالها الاصيل لتصبح متحفا ورمزا لسلطة الدولة السلوفاكية، ولا تقل كاتدرائية سان مارتن شهرة عن قلعة براتيسلافا، فهي شاهد حي على عبق الماضي حيث



هذه القلعة كانت مستودعاً للبضائع.

عندما وصلت أخبار الاكتشاف المدهش في الجنوب
الإفريقي إلى أذان الغربيين في سبعينيات القرن
التاسع عشر، انتشر طوفان من التقارير عن أطلال
قلعة ذات جدران هائلة وأبراج حجرية وقصور وتمائيل
ومقابر، ولحق ذلك كميات غير محدودة من الذهب، وكل
هذا في أرض كان الغربيون يعتقدون أن الحضارة فيها
لم تتجاوز أكواخ الطين. وعلى هذا استمرت هذه
المنطقة مركزاً لصورة مصفرة لحمى البحث عن الذهب
التي حدثت في أمريكا، ومرّت عقود قبل أن يدرك
الآثريون أنهم عثروا على حقيقة إفريقية ذات مغزى
أكبر من مجرد الذهب، إنها المدينة القديمة لزيمبابوي
الكبرى.

زيمبابوي

القديمة - قلب

إفريقيا الذهبي

مصطفى غنيم

- مصر -



والمرات لا تؤدي إلى شيء، وباختصار: إنها لقر كبير لعلماء الآثار. وأول ما افترضه الأوروبيون الذين شاهدوا هذه المدينة أنه لم يكن في مقدور شعب إفريقي أن يشيد هذه المدينة؛ فالمباني الحجرية لم يسمع بها الأفارقة الذين قابلهم هؤلاء الأوروبيون، كما أن سكان المنطقة أنصاف بدو لا يقضون في مكان واحد أكثر من سنوات قليلة يستهلكون فيها المراعى ثم يتحركون إلى مكان آخر، وبالتالي فالمنشآت الدائمة عديمة القيمة بالنسبة لهم.

ولكن الدارسين الأوائل لأطلال هذه المدينة صادفوا قليلاً من المباني الإفريقية التي بنيت بالحجارة وذلك لسبب وجيه وهو وجود حجارة مناسبة للبناء، فزمبابوي الكبرى كانت مغطاة بيروقات حجرية عبارة عن طبقات يتراوح سمكها بين ثمانية إلى ثمانية عشر سنتيمتراً، وبالتالي كان من الطبيعي للسكان أن يستخدموا هذه المادة المتاحة.

وهناك افتراض خاطئ آخر وهو أن زعمي الماشية كان دائماً هو النشاط الإقتصادي الرئيسي لزمبابوي، ففي الواقع كانت هذه المنطقة مركزاً تجارياً في وقت كانت فيه أوروبا لا تزال على وشك الخروج من العصور

إن آثار هذه المدينة فريدة من نوعها، كما أن أصلها والغرض المحدد من إنشائها ظل لغزاً لأمد طويل؛ إنها سلسلة من الجدران الحجرية بنيت من كتل جرانيتية مستطيلة تغطي مساحة ١٧٨٠ فدناً، وتتنوع ألوان هذه الجدران بين الفاتح والداكن بانماط عشوائية وحليات معمارية وممرات متعرجة وأبراج من الصخور الصلبة ذات أشكال قمعية ملفزة. والمدينة قلعة على ربوة تقع تحتها منطقة مسيجة بيضاوية الشكل ومجموعة من أطلال المساكن، ولكن هذه المدينة ليس بها أي أثر للأشكال الهندسية، فهي تتعرج فوق الأرض فلا يوجد هناك مربع ولا دائرة، وعنصر عدم التماثل في البناء هذا هو ما يعطي هذه المدينة خصوصيتها المعمارية. وجدران القلعة تحتوى على فتحات علوية يمكن منها مراقبة الوادى الذى تطل عليه، ولكن هذه القلعة غير محمية من الجانب الآخر، وهناك كهف يشكل مكبر صوت طبيعي يوجه الصوت إلى أطلال الوادى وخاصة المنطقة المسيجة.

وهناك أبراج من الجرانيت الصلب يصل ارتفاع الواحد منها إلى عشرة أمتار، ولا يرى أي أثر لمدخل في قمتها، وليس هناك دليل على أنها كانت ذات أسطح، الجدران هناك تبدأ وتنتهي بلا سبب معروف

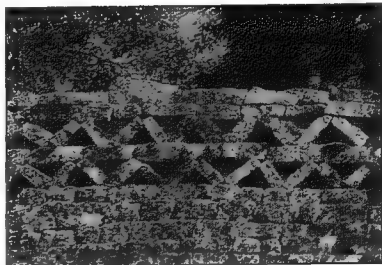


- جدران من الحجارة وأكوام من الطين.

قبل الميلاد عندما تعامل تجار الهند مع نظرائهم في بلاد الرافدين أيام السومريين، ولكن هذه الحركة التجارية وجدت دعماً قوياً في القرن السابع الميلادي عندما ظهر الإسلام، وهو دين حضارى نشط في ظله حركة التجارة ووصل التجار المسلمون إلى سواحل إفريقيا الشرقية، وفي البداية لم يصلوا إلى أبعد من شمال مدغشقر ولكن في القرن العاشر الميلادي غامروا بالإبحار إلى كل مكان مجهول.



وكانت الأخبار التي أتى بها التجار المسلمون مشجعة، تتحدث عن أرض بعيدة يجد فيها الإنسان كل ما يريد، وسرعان ما أبحرت سفن عديدة إلى هذه الأماكن، ومن ثم ولدت زمبابوي الكبرى رغم أنها لم تكن مكاناً يسهل الوصول إليه، فهي تقع على ارتفاع يتراوح بين ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، والطريق إليها كان باستعمال الأنهار فقط وهذه الأنهار لا تمتلئ بالمياه إلا في مواسم المطر علاوة على أنها محاطة بمناطق تكثر فيها ذبابة التسي تسي التي تسبب مرض النوم، والبعوض الذي يسبب الملاريا، ولكن رغم ذلك كانت الرحلة إليها تستحق المغامرة، ففيها مساحات شاسعة



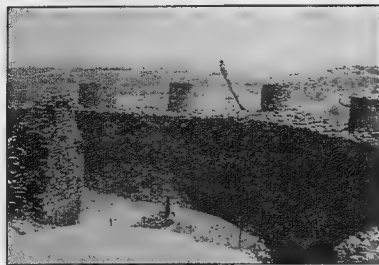
ترعى فيها الماشية وصيد وأفر من المعادن مثل الحديد والنحاس والزنك علاوة على الذهب وبكميات كبيرة. وبدأ سكان هذه المنطقة الذين كانوا يبدأوا في سبى يشاهدون مزايا الاستقرار، ولذلك بدأت منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي الجدران الحجرية في الظهور، هذه الجدران لم تكن جزءاً من المنازل التي كانت لا تزال تبني من الطين ولكنها كانت تحيط بالمنشآت الحيوية مثل حظائر الماشية وصفوف المنازل وأماكن إقامة الشعائر الدينية، ففي منطقة انيانجا الجبلية مثلاً نشأت مجموعة مدهشة من صفوف المنازل

.. ممر ضيق يفصل بين جدران القلعة.

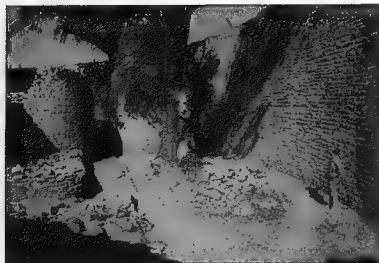
.. حليات معمارية قديمة.

المظلمة. ومثل هذا المجتمع التجارى كان في حاجة لمنشآت دائمة، وقبل وصول أول رجل أبيض إلى سواحل إفريقيا الشرقية كان التجار من الشرق الأوسط والهند واندونيسيا والصين في زيارات دائمة لها لمقايسة البضائع المصنعة بالمواد الخام؛ فقد كان الأفارقة يأخذون الأقمشة والخز الملون في مقابل المعادن والعاج والرقيق.

ومن المعروف أن الطرق البحرية عبر المحيطات كان قد بدأ استعمالها لقرون خلت ربما منذ عام ٢٠٠٠



• أنظمة قديمة لحماية القطعة.



• جدار ضخيم لحماية المنشآت الملكية.

المنطقة وربما الجفاف أو المرض أو حرائق الغابات المجاورة. وفي عام ١٨١٨م تحرك شعب الزولو بأعداد هائلة إلى زمبابوي فدمروا قلعتها القديمة، وعندما وصل الأوروبيون كانت زمبابوي الكبرى تاريخاً لا يذكره سوى القليلون.

واليوم أصبحت حضارة زمبابوي الكبرى أكبر من مجرد لغز أثري، إنها تجلب لزمبابوي المعاصرة أعداداً هائلة من السياح لزيارة هذه الآثار المدهشة.

والقنوات والقلاع تغطي مساحة تزيد عن ٢٩٠ كيلومتراً مربعاً، استطاع مشيئوها أن يعيدوا ترتيب حوالي ٢٦٠ مليون طن من الأحجار بأيديهم. وقد اندمض كلفورد أوارد وهو مهندس مناجم زار هذا الموقع عام ١٨٩٨م حيث لاحظ أن مستوى البناء قد تم بدقة تعادل الدقة التي تنجز بها المباني التي تستخدم فيها أفضل الأدوات الحسابية.

ولقد اكتشفت آثار حجرية في زمبابوي وموزمبيق ومناطق واسعة من جنوب أفريقيا، ورغم أن ما تمت معرفته عن سكان هذه المناطق شيء قليل، فقد تركوا سجلات تبين الشعوب التي تاجروا معها، فالرسوم الموجودة داخل كهف في جبال سوتيانسبرج تبين أربعة تجار من بلاد فارس بلحاهم المميزة وسراويلهم الواسعة وأغطية الرأس المدببة.

وحتى هذه الأيام هناك أشجار النخيل تنتشر على خط الساحل، هذه الأشجار نبتت من النوى الذي ألقى به التجار المسلمون منذ قرون وهم يكلون التمر على هذا الساحل.

وكانت القلعة هي التي تتحكم في كل أنواع النشاط الإنتاجي في المدينة، ومن المحتمل أن زمبابوي الكبرى كانت مقراً ملكياً ومستودعاً للمنتجات حتى تأتي فترة المطر

حيث تمتلئ الأنهار ويأتي التجار عن طريقها. ولكن من كان يحكم هذه المدينة الكبرى؟ لا أحد يعرف، ولكن هؤلاء الحكام كانوا يعيشون في رفاهية كبيرة حيث كانوا يستعملون الأواني المصنعة في الصين والمجوهرات القادمة من اندونيسيا والهند، والزجاج الملون من حلب، بل كانت لديهم معرفة بطريقة الحصول على الزنك النقي الذي لم يعرف سر تصنيعه في أوروبا حتى القرن الثامن عشر.

وفجأة توقف كل هذا، ربما بسبب غزو دمر هذه الحضارة وربما زاد عدد السكان فاتهم مصادر

الاستخارة الشرعية

الكتابة في هذا الموضوع مستبعدة برأيي سبحانه وتعالى.

تعريف الاستخارة:

الاستخارة: طلب الخير في الشيء، وهي استفعال منه، والخير ضد الشر. وخار الله لك: أي أعطاك ما هو خير لك، والخيرة: يسكون الياء، الاسم من ذلك، ومنه دعاء الاستخارة: «اللهم خيري واخترلي».

واستخار الله: طلب منه الخير، وخار لك في ذلك: جعل لك فيه الخير، والاختيار: الاصطفاء، ويقال: استخّر الله يخر لك، والله يخير للعبد إذا استخاره [٢].

وقال النووي: [٢] «الخير ضد الشر. تقول منه: خرت يا رجل فانت خائر... والاستخارة طلب الخير، وخيرته بين الشيئين: أي فوضت إليه الخيار، وفلانة خير الناس، ولا تقل خيرة الناس، وفلان خير الناس، ولا تقل أخير، لا يثنى ولا يجمع لأنه في معنى «أفعل» وقال الحافظ ابن حجر: [٤] «واستخار الله: طلب منه الخير، والمراد: طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما».

وفي المرقاة: [هـ] الاستخارة: طلب تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك.
والاستخارة شرعا: هي صلاة ركعتين من غير

الإنسان في هذه الدنيا ضعيف محتاج، معرض للخطأ والمخاوف، لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضرر، ولا يعرف أين يوجد الخير له، فهو بحاجة - دائما - إلى الله سبحانه في أموره كلها، ليعينه ويوفقه ويسدده ويهله ما فيه الخير له.

والاستخارة مظهر من مظاهر الرجوع إلى الله تعالى وطلب التوفيق منه والاستعانة به والاعتماد عليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره.

إن الاستخارة تعلم المسلم كيف يرتبط بالله في كل أحواله ويعيش في دائرة العبودية الحقبة بتحقيق ما يحب الله ورسوله من قول اللسان وعمل القلب والجوارح. وهل هناك عبادة ألد وأطيب من أن يختلي الإنسان بربه ويناجيه بقلب خاشع متذلل ويطلب منه في أدب جم وتقويض صادق أن يختار له ما يعرف أنه الأصلح له في الدنيا والآخرة.

وأيضاً «لما كانت الدلائل والبيانات تتعارض في بعض الأمور والتراجع بينها يتعذر في بعض الأحيان، فيريد الإنسان الشيء فلا يستبين له، الإقدام عليه خير أم تركه؟ فيقع في حيرة، جعلت له السنة مخرجاً من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته» [١].

ونظراً لأن الناس قد أهملوا سنة الاستخارة في هذا الزمن، وقلّ من يعمل بها أو يعرفها بل ابتدع بعض الناس عمل الاستخارة بأنواع شتى لم يرد شيء منها في الكتاب والسنة ولم يقل به أحد من علماء السلف والخلف مثل ضرب الحظ والاستقسام بالسبحة وقراءة الكف والفنجان والعبث بعلبة الكبريت وقصد النجمين والعرافين والسحرة... نظراً لهذا كله اخترت

بقلم: د. محمد طاهر حكيم
فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
- موريتانيا -



فريضة مع دعاء مخصوص فيه سؤال واستعانة بالله تعالى بطلب خير الأمور من الفعل أو الترك مما يريد الإقدام عليه.

هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في الاستشارة:

كان هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في الاستشارة أوضح الهدى وأكمله وأتمه فكان (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه الاستشارة ويحضرهم عليها

ليربطهم بالله تعالى في جميع أحوالهم، ومن أشهر الأحاديث الواردة عنه في ذلك حديث جابر

رضي الله عنه قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلمنا الاستشارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: «اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدر بقدرتك وأسألك بفضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - عاجل أمري وآجله فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» قال: ويسمى حاجته [٦].

وقد روي عن حديث جابر هذا من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي أيوب وإبن عباس وإبن عمر وغيرهم - رضي الله عنهم - [٧]

تجاذب من

ال التزام العلماء

والصالحين بالاستشارة:

• استشارة زينب بنت جحش رضي الله عنها:

عن انس رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لزيد - لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها «اذكرها علي» قال زيد - رضي الله عنه - فانطلقت فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني إليك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكرك فقالت: «ما أنا بصانعة شيئاً حتى استأمر ربي».

فقامت الى مسجدتها ونزل القرآن الكريم، الحديث [٨].

قال النووي «ولعلها استخارت لخوفها من تقصير في حقه (صلى الله عليه وسلم)» [٩].

• استشارة عمر رضي الله عنه:

عن عروة أن عمر رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير

الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن وإنني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فتأكلوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً» [١٠].

آداب الاستخارة:

- ١ - الطهارة الظاهرة والباطنة.
- ٢ - أن ينوي أداء الاستخارة لأنها عبادة، ولا تقبل العبادة بدون نية، قال (صلى الله عليه وسلم) «إنما الأعمال بالنيات» [١٦].
- ٣ - أن يفرغ قلبه من الشواغل الدنيوية والهواجس النفسانية بعد التوبة إلى الله تعالى [١٧].
- ٤ - اليقين المحكم والاعتماد الكامل على أحقية الاستخارة ثم التسليم التام بما يختاره الله له مع الايمان أن ما قدره الله له هو الخير في الدنيا والآخرة.

حكمة الاستخارة:

- ١ - تكريم الانسان عن التذلل لمن هو مثله أو أقل منه كالاصنام والأزلام والكهان والعرافين، فأي هوان أكبر من أن يصبح الانسان ألعوبة بين أيدي المخرفين المشعوذين.
- ٢ - إفراد الله تعالى بالعبودية التي يستحقها بالخلق والعلم والهداية والقدرة.
- ٣ - ترسيخ التعامل الايماني والعلمي مع القضايا داخل أغوار النفس إذ العقل العلمي المعقول برياط الايمان يعرف يقيناً أن غير الله تعالى لا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يلهم شيئاً [١٨].

- ٤ - قال الامام ابن تيمية: «وما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وتثبت في أمره فقد قال تعالى (وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتسركل على الله) [١٩]»، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هنوا لأرشد أمرهم» [٢٠].

** استخارة الامام البخاري - رضي الله عنه -

قال البخاري «صنفت كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته» [١١].

قال الحافظ ابن حجر: المراد من قوله «في المسجد الحرام» أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها لأنه لم يجاوز بمكة هذه المدة كلها [١٢].

** استخارة الامام ابن خزيمة - رضي الله عنه -

نقل الذهبي [١٣] عن الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة قوله: «كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيراً حتى يقع لي فيها ثم ابتدئ».

** استخارة الإمام أبي زكريا النووي - رحمه الله

ذكر في مقدمة «الأربعين» من صنف في «الأربعينات» ثم قال: «وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأئمة الاعلام وحفاظ الاسلام» [١٤].

** الامام ابن تيمية - رضي الله - يومى

بالاستخارة:

قال في وصيته الجامعة [١٥] التي كتبها جواباً لستوص منه في صلاح دينه وبنياه... وأن يبين له أرجح المكاسب: «قاماً تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بنابة أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس، ولا أعلم في ذلك شيئاً عاماً، لكن إذا عَنَّ للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها

فوائد الاستخارة:

١- أنها مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى ودليل على عجز العبد وخلوه من أي حول ولا قوة، لأن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك الا ما قدر الله له ولهذا قال: «أستقدرك» أي، اطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة [٢١]، والله سبحانه له القدرة الكاملة وعلمه محيط بكل شيء. كما قال: «فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب».

٢- أنها سبب لجمع الخاطر ورفع التردد والاضطراب والحيرة مع الشعور بالاطمئنان الایمانی الذي يصاحب التذلل والتضرع أمام الله سبحانه وتعالى.

٣- أنها هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والخاوف التي تعتريه من جهة نفسه أو من الخارج إلى سعة فضاء الثقة بالله تعالى وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء

٤- الاستخارة دليل على أن تصديق النجاح والفلاح والأمال لا يمكن باختيار الأسباب والتدابير الظاهرة وحدها، بل هناك رب قادر فوق الأسباب لا يد

٥- الاستخارة دليل على التوكل على الله وتبويض الأمور اليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المقبور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضى بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية [٢٤].

٦- ومن فوائدها ما قاله بعض الحكماء: «من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب» [٢٥].

٧- ومن أعظم فوائدها أنها سبب سعادة الإنسان كما في حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم تسخطه بما قضى الله عز وجل» [٢٦].

قال ابن القيم «فهذا الدعاء - دعاء الاستخارة - هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى لا طالع أهل

١- أنها مظهر من مظاهر الرجوع الى الله تعالى ودليل على عجز العبد وخلوه من أي حول ولا قوة، لأن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك الا ما قدر الله له ولهذا قال: «أستقدرك» أي، اطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة [٢١]، والله سبحانه له القدرة الكاملة وعلمه محيط بكل شيء. كما قال: «فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب».

٢- أنها سبب لجمع الخاطر ورفع التردد والاضطراب والحيرة مع الشعور بالاطمئنان الایمانی الذي يصاحب التذلل والتضرع أمام الله سبحانه وتعالى.

٣- أنها هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والغموم والأحزان والخاوف التي تعتريه من جهة نفسه أو من الخارج إلى سعة فضاء الثقة بالله تعالى وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء

٤- الاستخارة دليل على أن تصديق النجاح والفلاح والأمال لا يمكن باختيار الأسباب والتدابير الظاهرة وحدها، بل هناك رب قادر فوق الأسباب لا يد

٥- الاستخارة دليل على التوكل على الله وتبويض الأمور اليه والثقة به والرضى بحكمه وقدره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المقبور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضى بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضى بالمقضى له بعد الفعل فقد قام بالعبودية [٢٤].

٦- ومن فوائدها ما قاله بعض الحكماء: «من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب» [٢٥].

٧- ومن أعظم فوائدها أنها سبب سعادة الإنسان كما في حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم تسخطه بما قضى الله عز وجل» [٢٦].



الشرك والخذلان الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فيببف يعلمون» [٢٧].

الأمر الذي يستفار فيها:

لا شك أن الاستفارة مرغبة فيها في العظيم من الأمور والحقير، فرب أمر حقير يترتب عليه الأمر العظيم، فلا ينبغي للمرء أن يحتقر أمراً لصغره ويترك الاستفارة فيه لكن ما هي الأمور التي يستفار فيها؟ وما هي التي لا يستفار فيها؟

ذهب عامة أهل العلم إلى أن قول الراوي: «كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يعلمنا الاستفارة في الأمور كلها» عام أريد به الخصوص، لأن هناك أموراً لا يستفار فيها، فالواجبات مطلوبة فمن أداها فله أجره ومن تركها عوقب على ذلك. وكما أن المحرمات ممنوعة فعلها والعذاب معلق على فعلها فلذا لا يستفار في فعل واجب أو ترك محرم إلا إذا كان الواجب موسعاً وقته فالاستفارة تكون في تعيين وقته - لا في أصل فعله - وذلك إذا لم يكن وقته متعيناً من الله ورسوله [صلى الله عليه وسلم].

وتكون الاستفارة في المباح مثل أن يريد شخص أن يعمل أحد مباحين ولا يعرف أيهما خير له. أو منويات لا يعرف أيها خير له، وأما نوع المكروه فيكره أن يستفار فيه. ولا استفارة فيما هو معروف خيره كالأعمال التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى وكذلك الأمور العادية كالأكل والشرب والنوم والغسل ونحوها لا استفارة فيها [٢٨].

طريقة الاستفارة:

إذا هم العبد يأمر كالسفر والزواج والوظيفة ونحوها استحب له طلب الخير من الله تعالى «بالاستفارة» فليصل ركعتين من غير فريضة، ويعد الفراغ من الصلاة يقرأ دعاء الاستفارة «اللهم إني

أستخيرك بعلمك... الخ» وينوي ما لأجله استفار أو يسميه عند قوله: «هذا الأمر» ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة على رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، قاله النووي [٢٩].

- هل تحصل صلاة الاستفارة بركعتين من الرواتب وتحية المسجد ونحوها من النوافل؟

قال الامام النووي [٣٠] تحصل بذلك، ولكن الحافظ ابن حجر عقب عليه قائلا: «وفي نظر، ويظهر أن يقال: إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستفارة معا أجزاء بخلاف ما إذا لم ينو، ويفارق صلاة تحية المسجد لأن المراد بها شغل البقعة بالدعاء، والمراد بصلاة الاستفارة أن يقع الدعاء عقبها أو فيها ويعد الأجزاء لمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة، لأن ظاهر الخبر أن تقع الصلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر» [٣١].

ماذا يقرأ في الركعتين؟

قال بعض أهل العلم كالنوي والغزالي [٣٢]: الأفضل أن يقرأ بعد الفاتحة في الأولى بـ «قل يا أيها الكافرون» وفي الثانية بـ «قل هو الله أحد» لمناسبتها بالحال لما فيهما من الاخلاص والتوحيد والمستخير محتاج لذلك.

وقال آخرون: من المناسب أن يقرأ فيهما مثل قوله تعالى (وريك يخلق ما يشاء ويختار) الآية [٣٣] وقوله: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الآية [٣٤].

قال الحافظ العراقي: «لم أجد في شيء من طرق حديث الاستفارة تعيين ما يقرأ فيهما» [٣٥] وهو كما قال، فليقرأ ما ييسره الله له دون التزام بشيء معين.

الحكمة من تقديم الصلاة على الدعاء:

قال الحافظ ابن حجر: «الحكمة من تقديم الصلاة

وسلم) كان إذا دعا ثلاثاً» [٤٠] وبما تقدم من عمر - رضي الله عنه - انه ظل يستخير شهراً -

ماذا يفعل المستخير بعد الاستخارة؟

الأصل في الاستخارة طلب الخير من الله تعالى ورفع التردد، ولهذا إذا وجد المستخير بعد الاستخارة ميلاً وارتيحاً إلى جانب الفعل أو الترك وانشرح له صدره عمل به، وإن لم يجد شيئاً من ذلك فليكرر الاستخارة حتى يحصل له ذلك، كما قال الامام النووي - رحمه الله - [٤١].

ولكن يرى بعض العلماء أن الاستخارة مجرد دعاء لطلب الخير، ولهذا ليس على المستخير أن ينتظر الانشراح والميل إلى شيء بعد الاستخارة، لأن الحديث ليس فيه شيء من ذلك، مع أن هذا ممكن وقد يحدث، ولكن إن لم يحدث شيء من ذلك فإن العبد يفعل بعد الاستخارة ما يراه من الفعل أو الترك وفيه الخير له، وممن نقل عنه ذلك القاضي ابن الزمكاني قال: «إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له سواء انشرح نفسه له أم لا، فإن فيه الخير - وإن لم تنشرح له نفسه - وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس» [٤٢].

ويشترط لانشراح الصدر عند من قال به - أن يكون قلبه فارغاً من جميع الأهواء والخواطر قبل الاستخارة بحيث لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور - قال القرطبي: «قال العلماء: وينبغي له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور فعند ذلك ما يسبق إلى قلبه يعمل به فإن الخير فيه إن شاء الله» [٤٣].

كيف يعرف المستخير قراره من الاستخارة؟

اشتهر عند العوام أنه من الضروري أن يرى

على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شيء لذلك أنجح ولا أنجح من الصلاة لما فيهما من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه ملاً وحالاً» [٣٦].

هل لصلاة الاستخارة وقت مخصوص؟

لم يأت في الحديث تعيين وقت خاص لصلاة الاستخارة لهذا ذهب جماعة من أهل العلم إلى جوازها في جميع الأوقات، والأكثرون على أنها لا تصلى في أوقات الكراهة [٣٧].

قلت: لكن صلاة الاستخارة من نوات الأسباب كتحية المسجد فتصلى على قول جماعة من أهل العلم حتى في أوقات الكراهة، ولو اختار المستخير وقتاً غير وقت الكراهة فهو أولى، والله أعلم.

الاستخارة المستعجلة:

إذا أراد من به عذر كالحائض والنفساء الاستخارة لأمر عاجل فإنه يمكنه ذلك بغير صلاة، فيقرأ الدعاء المأثور ويكتفيه ذلك.

قال النووي: [٣٨] «ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء».

حكم تكرار الاستخارة:

إذا استخار المرء في أمر ولم يظهر له وجه الضوابط من الفعل أو الترك ولم ينشرح صدره لشيء فهل يستحب له تكرار الاستخارة والدعاء أم لا؟ نعم يستحب له ذلك عند جماعة من أهل العلم لحديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه» [٣٩] ولكن هذا الحديث ضعيف.

نعم قد يستدل للتكرار بأن النبي (صلى الله عليه

استخارني في أمر، فإذا قضيته له سقط
قضائي» [٤٧].

الاستخارة غير الشرعية:

ذكرنا الاستخارة الشرعية التي علمها الشارع
(صلى الله عليه وسلم) وحض عليها وأهميتها وفصلها
وما فيها من فوائد عظيمة وحكم جلية.

وقد ابتدع الناس عمل الاستخارة بطرق وأعمال
أخرى لم يرد منها شيء في كتاب الله ولا سنة رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يقل به أحد من علماء
السلف والخلف وإنما هي بدع وضلالات سمرت
وانتشرت بين بعض الناس بسبب الجهل والبعد عن
الدين بعد أن ضعف الإيمان في النفوس منها ما
يسمى: الاستخارة بالسبحة والاستخارة بقصص
الزرد (الطاولة) والاستخارة بالمصحف وبورق اللعب
وكذا العبث بعلبة الكبريت وبالعلة المالية المضروبة
وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، كما أن بعض الناس
مازالوا يلجئون - كالجاهليين - إلى الاستقسام بالانلام
والكهانة والعرافة والعيانة والتطير والتنجيم وغيرها من
الوسائل التي أبطلها الاسلام وقضى عليها بتشريع
الاستخارة الشرعية، قال (صلى الله عليه وسلم) «من
عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [٤٨] وبالله
التوفيق... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الهوامش:

- (١) تفسير المنار ١٥٢/٦.
- (٢) انظر تاج العروس ٣٦٥/٦ ولسان العرب ٢٦٧/٤.
- (٣) النهاية في غريب الحديث ٩٢/٢.
- (٤) تهذيب الاسماء واللقاب ١٠٠/٣.
- (٥) فتح الباري ١٨٣/١١.
- (٦) ٤٠١/٣ وانظر فيض القدير للمناوي ٤٥٠/٨.
- (٧) رواه البخاري (مع الفتحة) ٤٨/٣ و ١٨٣/١١ و ٣٧٥/١٢ وأبو داود ٦٨/٨ والترمذي ٥٠٦/٢.

المستخير مناماً أو يكلمه مكلم حول ما يجب عليه عمله
بعد الاستخارة، وليس هذا لازماً ولا مشروطاً ولكن إذا
شرح الله صدره إلى فعل شيء أو وجد جنوباً وميلاً
إلى أمر أو حصل له فتور وفتور عن هذا الأمر الذي
استخار الله لأجله أو أشار عليه أخ أو صديق إلى عمل
شيء معين فإنه يكون كافياً لاتخاذ القرار المناسب.

قال الشيخ محمد بدر عالم «واعلم أنه قد نبه
العلماء قديماً وحديثاً على أنه لا يشترط في الاستخارة
أن يرى المستخير رؤياً أو يكلمه مكلم... ولكن الله
تعالى يحدث في قلبه جنوباً وميلاً إلى جانب ينشر
بعده صدره ويستقر عليه رأيه فيختار الجانب الذي إليه
عطفه وميله» [٤٤].

وقال الشيخ محمد انور شاه الكشميري [٤٥] «لا
أنه يرى رؤياً أو يكلمه مكلم، وإن أمكن ذلك أيضاً».

وجوب الرضا بحكم الله وقضائه بعد الاستخارة:
ينبغي للعبد أن يرضى بما شرح الله سبحانه
صدره بعد الاستخارة ويتوقع فيه الخير والصلاح له
ويقدم عليه منشرح الصدر مطمئن القلب راضياً به.

قال الامام ابن أبي حمزة الأندلسي [٤٦] «ذكر
بعضهم أن من استخار في شيء فقصى له فيه قضاء
ولم يرض فإنه عندهم من الكبائر التي يجب منها التوبة
والإقلاع، لأنه من سوء الادب، وقالوا: لأنه لما رجع هذا
العبد المسكين إلى هذا المولى الجليل ورغب منه أن
ينظر له بنظره فكيف لا يرضى؟ فهذه صفة تشبه
النفاق، بل هو النفاق نفسه لأنه أظهر الفقر والافتقار
والتسليم ثم أبطن (غير) ذلك، فأتى هذا الحال من
قوله: «استخبرك بعلمك».

وفي الأثر أن موسى عليه السلام قال: يا رب: أي
خلقك أحب إليك؟ فقال: من إذا أخذت منه محبوبه
سألني، قال: فأي خلقك أنت عليه ساجد؟ قال: من

- (٢٥) إحياء علوم الدين للفرزاني ١٨١/٢ .
- (٢٦) رواه الامام احمد ١٦٨/١ والحاكم في المستدرک
٥١٨/١ .
- (٢٧) زاد المعاد ٣٨٢/٢ .
- (٢٨) انظر فتح الباري ١٨٤/١١ وبهجة النفوس
٨٧/٢ ومراقبة المغاتيب ٤٠١/٣ .
- (٢٩) الانكار من ١١٠ وراجع رد المختار ٥٠٧/١ .
- (٣٠) الانكار من ١١٠ .
- (٣١) فتح الباري ١٨٥/١١ وانظر عمدة القاري
٢٢٣/٧ .
- (٣٢) احياء علوم الدين ٨١/٢ والانكار من ١١٠ .
- (٣٣) الآية ٦٨ من القصص .
- (٣٤) الآية ٣٦ من الاحزاب .
- (٣٥) عمدة القاري ٢٢٥/٧ .
- (٣٦) فتح الباري ١٨٦/١١ .
- (٣٧) انظر بذل المجهود في حل أبي داود ٣٩٦/٧ .
- (٣٨) الانكار من ١١٠ .
- (٣٩) رواه ابن سني في عمل اليوم والليلة وفيه ابراهيم
بن البراد بن النضر بن انس بن مالك ضعفه العقيلي
وابن عدي وآخرون - قال الحافظ ابن حجر: سنده واه
جدا - انظر: فتح الباري ١٨٧/١١ والكمال ٢٥٥/١
وسان الميزان ١٣٣/١ .
- (٤٠) رواه مسلم ١٢٠/١٢ .
- (٤١) الانكار من ١١٠ .
- (٤٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢٠٦/- .
- (٤٣) الجامع لاحكام القرآن ٣٠٧/١٣ .
- (٤٤) البدر الساري الي فيض الباري ٢٤٧/٢ - ٢٤٨ .
- (٤٥) فيض الباري ٤٢٨/٢ .
- (٤٦) بهجة النفوس ٩٠/٢ .
- (٤٧) مدارج السالكين ٢٢٢/٢ .
- (٤٨) رواه البخاري ٣٥٥/٤ ٣١٧/١٣ ومسلم
١٤/١٢ الامام احمد ١٤٦/٦ ، ١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ .
- ٢٧٠ .
- والنسائي ٨٠/١ وابن ماجه ٤٤٠/١ واحمد ٣٤٤/٣
والبغوي في شرح السنة ١٥٣/٤ والبيهقي في السنن
الكبرى ٥٣/٣ .
- (٧) حديث ابن مسعود عند الطبراني في الكبير
١١١/١٠ وحديث أبي سعيد عند ابن حبان (٦٨٦)
موارد الظمان وكذلك حديث أبي هريرة (٦٨٧) وأما
حديث أبي أيوب فهو عند احمد ٤٢٣/٥ والحاكم
٣١٤/١ و ١٦٥/٢ وابن خزيمة ٢٢٦/٢ وابن حبان
(٦٨٥) والبيهقي في السنن ١٤٧/٧ ، ١٤٨ وحديث ابن
عباس وابن عمر عند الطبراني في الكبير ١٩٦/١١ .
- (٨) رواه مسلم ٢٢٨/٩ (مع شرح النووي) والنسائي
٦٥/١ واللفظ له والامام احمد في مسنده ١٩٥/٣
وانظر سير اعلام النبلاء ٢١٧/٢ .
- (٩) شرح مسلم ٢٢٨/٩ .
- (١٠) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله
٦٤/١ .
- (١١) هدى الساري من ٤٨٩ .
- (١٢) المصدر السابق .
- (١٣) تذكرة الحفاظ ٧٣١/٢ .
- (١٤) مقدمة الاربعين النووية .
- (١٥) الوصية الجامعة لخير الدنيا والاخرة من ٢٤ -
٢٥ .
- (١٦) رواه البخاري ٩/١ ، ١٣٥ ، ومسلم ٤٦/١٣ وأبو
داود ٢٣٥/٢ وآخرون .
- (١٧) انظر فيض القدير للمنาวى ٤٥٠/١ .
- (١٨) انظر مقالة د/ابو بدر بعنوان: «الاستخارة تعبير
ايماني من ٤ .
- (١٩) آل عمران ١٥٩ .
- (٢٠) الكلم الطيب من ٧١ .
- (٢١) فتح الباري ١٨٦/١١ .
- (٢٢) الطلاق، الآية ٣ .
- (٢٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٧٠/١ -
٤٧١ .
- (٢٤) نقله ابن القيم في مدارج السالكين ١٢٢/٢ .

إن المعلم للنبي خليفة

لو جربَ التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غُمة وكُفّة
مرّضى التفاتر بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلحت
وجد العمى نحو العميون سبيلا [٢]

أما الأديب الشيخ أحمد فرح عقيلان:
فإنه يذهب إلى أن المعلم هو مهندس البناء، وقائد
المسيرة لحياة سعيدة؛ ليس لفئة من المجتمع فحسب
وإنما للأمة كلها، إنه يقول في قصيدة له بعنوان:
«المجاهد المجهول»:

حي المعلم شامخاً بجهاده
يعرى ويكسو الكون من أمجاده
ظمان تورده الحياة سرابها
والجيل كل الجيل من ورائه
تلقاه طول العمر يفرس جوهراً
ومرارة الحرمان كل حصانه
ومنها:

متواضع في غرفة مغمورة
ومواكب العظماء من أولاده
تمب يوزع راحة وسعادة
فيعيش كل الناس في إسعاده
ويصون ماء الوجه رغم رواجه
ويبيع نور العلم رغم كساده

قالوا عن التعليم حرفة مفلس
قعدت به النكسات عن أئداده

بقلم: عبدالعزيز بن صالح العسكر
الدلم - السعودية

ما أجمل مهنة التدريس؛ فهي ميدان رحب لكسب
الخبرات والتجارب، وسوق رابحة لتبادل غرر القول
وأبداع الفكر والعقل. وساحة عمل وجد لفرسان
الدعوة والإصلاح.

ولقد أفاض الأدياء، والشعراء منهم بخاصة في
وصف هذه المهنة ومعاناة صاحبها، وكان وصفهم
لواقع التعليم دقيقاً؛ حيث عمل بعضهم معلماً ونحن
نختار هنا ثلاثة من شعراء العربية لننقل شيئاً مما
قالوه في وصف المعلم والتعليم.

لقد كان أمير الشعراء (أحمد شوقي) من أبرز من
أشاد بمهنة التعليم وبين فضل المعلم ومكانته، وذلك في
قصيدته التي عنوانها: العلم، والتعليم، وواجب المعلم -
وفيها يقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرفه أو أجل من الذي
يبنى، وينشيء أنفساً وعقولا؟!

ومنها:

أعظمي الوادي، وساسة نشئه
والطابعين شهابه المثلولا
ربوا علي الإنصاف فتیان الحمى
تجنّبهم كهف العقوق كهولا [١]

ولم يتردد الشاعر إبراهيم طوقان أن يجيبه بنفي
كلامه والد عليه، إذ يقول - بالوزن والقافية - نفسيهما:
(البحر الكامل) والرؤي باللام، حيث القافية مطلقة:

(شوقي) يقول - وما درى بمصيبيتي
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
اقعد، فديتك، هل يكون مبيلا
من كان للنشر، السفار خيلا؟!
ويكاد (يقلقني) بقوله:
«كاد المعلم أن يكون رسولا»



قالوا بئك في الحياة مجاهد
«تيني وتشيء أنفساً وعقولا»
هل أنصفوك بما يصوغ بيانهم
أو عوضوك عن الطموح بديلا
ماذا جنيت سوى العقوق من الذي
أسقيته نخب العلوم طويلا
وجلوت عن عينيه كل غشاوة
وهبته زهر الشباب دليلا
حتى استقامت بالعلم قناته
ومشى على الدرب الطويل قليلا
إنورٌ عنك تنكراً وتجاهلا
ورنا إليك ترفعاً وقضولا

يا موقد القنديل نبض فؤاده
احذر فؤادك واحذر القنديلا
فالكون بي زاحرٌ يُعسى به
من شاد صرحاً أو أثار سبيلا
فارفع بفكرك للشباب مثارة
واريا به أن يطلب التبججلا [هـ]

هذه الأبيات لمعلم لم يمكث في هذه المهنة إلا ثلاث سنوات حينما نظم قصيدته: فلماذا التذمر والملل؟ إن القناعة بشرف المهنة شيء لا يشك فيه أحد من المعلمين أو من غيرهم؛ ولكن المشكلة تكمن في القيود التي فرضت على المعلم في تعامله مع طلابه، ثم في طلاب

ونسوا بأن الله علم أنما
جل الإله معلماً لعباده
والأنبياء معلمون تراثهم
علم شفى الإنسان من إصابه
إن المعلم للنبي خليفة
مهما افترى الجهلاء من حساده [٢]

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «ميراث النبوة» يقول أحمد فرح عقيلان:

إن المعلم رائد الجيل الذي
ركزه في أفق المعالي سلما
يرقى عليه الناس نحو حظوظهم
فلذا رقصوا تركوه كي يتحطما
لوايس من يهب الكرامة والعلا
للنشأ أجدر أن يُعز ويكرما [٤]
بلى وذب الكعبة، فهل نحن فاعلون؟!

ولقد قرأت مؤخراً عدداً من القصائد قبلت جواباً أو معارضة لقصيدتي شوقي وطوقان، نشرت تلك القصائد مجلة (للعرفة) التي تصدرها وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. ومن أبرزها قصيدة: (صوت من الصف الأخير) التي كتبها محمد الثبيتي ومعتها قوله:

هل كنت يوماً في الحياة رسولا
أم عاملاً في ظلها مجهولا

العلم الذين ليسوا كما كان أسلافهم طلاب علم مقدرين للعلم ولحملته متأدبين بأداب الإسلام مع أساتذتهم وتلميذهم. يقول الشاعر أحمد الرحيلي:

أدب التلامذة الأئام قبله عفى
والآن لا أدب يسود الجيل
قد كنت أعهد في الشباب دماثة
حين الخطاب وطيبة وقبول
فإذا نظرت إليه حركه جفته
وقضى زماناً مطرقاً وخجولا
وأتى الشباب اليوم وجهاً كالحأ
فإذا المهين مُعلم التنزيلا

ويمضي الرحيلي في وصف حال معلم اليوم وتلميذه... إلى أن يقول:

أوما شكا (طوقان) قبل مصيبة
قلب العلوم فليت عاش قليلا
ولو ان (شوقي) عاش فينا لحظة
لفدا يثلف في القصصيد طويلا
ولقال في وصف الزمان مقالة
تشفي العليل وتروي فيه غليلا
كتب اليراع على الزمان بخطه
قم للمعلم وقم التنكيلا [٦]

وإذا ما تركنا حديث الشعر والشعراء لأنه في الغالب حديث خيال ومبالغة، فإننا نجد الواقع بطوئه ومره يؤكد ما قاله الشعراء، وتمثل حقايقه ناطقة بأن المعلم: صاحب رسالة في الحياة... بقدر ما يعمل ويخلص في عمله يجد من التعب والمعاناة ما لا تحتمله نفوس العاجزين والكسالى ممن عشتت نفوسهم الانانية، وأعمت بصائرهم الأثرة وحب الذات... فتعال معي - أيها القارئ الكريم - في رحلة نرى فيها صورا من الواقع، وسيلة النقل فيها ذاكرة تطوف في ما يقارب عشرين سنة قضيتها في مهنة «التدريس» لعل فيما أنقله هنا ما يخفف ألماً، ويقوي أملاً، ويدفع إلى عمل أفضل، وإلى تقدير أكبر لمعلم الأجيال.

لقد تعلمت من الحياة أن المعلم سيرى أمامه نماذج للأبناء البررة الذين بهم ينسى أبناءه من صلبه، فهم يحبونه، ويحترمونه، ويدعون له، ويتقانون في

خدمته، ومنهم من يصاحبه بهذه الروح ما بقيا على قيد الحياة، ولو فرق بينهما السن والمناصب وكثرة المال والولد ومشغل الحياة... فترى الطالب يزور معلمه، ويدعوه لزيارته، ويهدي له، ويسأل عنه إذا غاب. وإذا كان المثل العربي يقول: «رُبَّ أخ لك لم تلده أمك» فإنني أقول: أقول لكل معلم: «رُبَّ ابن لك لم تلده زوجتك». وتالله لقد وجدت من هذا الصنف إخواناً غمروتي بمعرفهم على مر الأيام، ووجدت عندهم من الصدق والوفاء والإخلاص ما إنساني عدداً من الأقارب الذين شغلتهم شؤون حياتهم وأصبحت فرص اللقاء بهم - فضلا عن التعاون والبر - أصبحت تلك الفرص أندر من الكبريت الأحمر كما يقول العرب.

بل إن من أطرف المشاهد والمواقف التي مرت بي: أنني قابلت شاباً كان أحد طلابي منذ سنين. فلما مثل أمامي سلم والدموع تقطر من عينيه؛ فعجبت منه وحيرني، هل هو مريض أو مذنّب تذكر ذنبه، أو أن مصيبة حلت به فهو يلتصم من يفرج عنه! إن شيئا من ذلك لم يكن، حيث قطع علي تفكيره بقوله: «إنني لا أتذكر من سني الدراسة وعيشي معكم إلا أنني كنت مصدر فوضى، وزعيم مشاغبة في الفصل فهل تغفرون ذلك لي وقد أدركت الآن أنكم قدّمتم لنا أضعاف ما قدمه الأهل من تربية وأدب ومعروف». هذا موجز ما قاله هذا الرجل، وقد كان جوابي له: (إننا أيها الأخ الكريم ننسى المواقف السيئة في يومها ولا أعرف إلا أنك من أفضل من درستهم). هذا صنف من الطلاب. وفي المقابل يجد المعلم نماذج من طلابه هم غاية في العفوق والقطيعة، إنهم لا ينسون الجميل، ولا يتركون التحية والتقدير لمعلمهم فحسب، بل إن أحدهم يجعل معلمه ملهية يتسلى بمشاهدته والتندر بحركاته وعباراته، وتراه يدمن الحركة السانجة التي بها يغضه ويغضب. هذا ما يفعله في قاعة الدرس، أما حين يفارقه ولو سيرا فإنه يجعل معلمه «مشجعا» يعلق عليه كل الطرائف والنكت، ويلصق به أنفس الحكايات والألقاب. وما أشقى معلماً يتنلى بمثل هؤلاء ثم لا تكون بجانبه إدارة حازمة مهابة الجانب تجمع بين القوة والحكمة.

ذاك صنفان من الطلاب، ولعل من يصدق عليه

وصلت إلى ما وصلت إليه في فترة قصيرة - يميزانه هو - وكلا الصفتين متلازمتين: الجسدية والاحترار. وإذا كان ذلك الموظف هو المدير في المؤسسة التعليمية فإن وطأة الألم على نفس المعلم أشد وأنكى.

وتمر بالمعلم لحظات سعادة حينما يستريح في إجازة الصيف أو إجازة الربيع، وسرعان ما تنتفخ تلك السعادة بمطارق «الروتين» الطويل الرتيب الذي يجمع من الواجبات والأعمال على المدرس ما تقو به العصبية أولى القوة، فيعمل خلال العام الدراسي في اليوم عشر ساعات أو أكثر، بعضها نواف في المدرسة، وبعضها نواف في المنزل وعيش مع الكراسات والأوراق والسجلات والبطاقات القصصية وغيرها. فتقضي هذه الأعمال على كل لذة وسعادة وراحة. . . ويبقى فارس الميدان كادحاً لا يرى موقفه إلا نفر قليل من أولى البصائر النافذة القوية، ويبقى قنطرة توصل الشباب لكل ما يريدون من علم وأدب وشهادة ومكانة في المجتمع. . . ويتبقى تلك القنطرة تقاوم الأمواج والهزات حتى يائس الله - بحكمته وفضله - بأن تنتقل عن هذا العمل إلى عمل آخر أو المنزل أو غيرهما.

أما جمهور الناس قريبهم وبعيدهم فيجب أن يعلموا أن ذلك الجاهد - بتوفيق الله وغونه - ماض في سبيله، مرتقب لأجر أغلى وأكبر مما يرويه بأعينهم، ويهون عليه ما يلاقيه في سبيل ذلك لأنه: وآثر الأنبياء.

الهوامش:

(١) الشوقيات ج ١ ص ٨٠ - ٨٢.

(٢) ديوان إبراهيم طوقان ط ١ سن ١٤٠٤ هـ ص ١٤٨.

(٣) ديوان جرح الإباء ص ٤٢ - ٤٤.

(٤) ديوان جرح الإباء ص ٩٠ والشعراء الثلاثة قد غادروا الدنيا: فشرقي توفي سنة ١٣٥١ هـ، وطوقان توفي سنة ١٣٦٠ هـ، وأحمد فرح عقيلان توفي سنة ١٤١٧ هـ - رحمهم الله جميعاً -.

(٥) مجلة المعرفة العدد ١٩ شوال ١٤١٧ هـ ص ١١٥.

(٦) مجلة المعرفة العدد ١٨ رمضان ١٤١٧ هـ ص ٩٨.

ذلك الوصف قليل العدد بين أبنائنا في هذه الأيام، أما الكثير فإنه بين الصنفين يعميل إلى هذا تارة وإلى ذلك تارة أخرى.

ومهمة التدريس تشبه راحة تنقل الناس من حال إلى حال ومن موقع إلى موقع، وهي تمر بأهم من خلق الله تباينت أحوالهم واختلفت صفاتهم وأخلاقهم.

فهذا طالب ذكي نظيف الخلق والأدوات محافظ على وقته، مرفه الحس، لبق يفهم بلغة الإشارة قبل العبارة. وقريب من مقعده زميل له لا ترى منه إلا رأساً وجسداً تحت الرأس، له عنيان يحرق بهما بصره ويصوبه إلى كل ما حوله، وأذنان تتابعان كل صوت حتى صفير الريح من خلال ثقب نافذة الفصل. ولكنك حينما تفتح هذا «الصندوق» أو تقرب منه لا تجد غير الشكل فقط، فلا تكاد تجد للعقل موقعاً أو قيمة عنده؛ فالذكاء صفر، والنباهة والفهم تحت الصفر، فلا يلتفت إليك إلا بعد النداء الخامس، ولا يفهم سؤالك إلا بعد المرة العاشرة، وإذا فهم السؤال فلا جواب لديه. وتبارك الله أحسن الخالقين.

إن سوق العلم عند ذلك الصنف من أبنائنا سوق كساد؛ فالانتباه للمدرس، وأداء الواجب، والحرص على الحفظ والمراجعة في آخر قائمة اهتمامات أحدهم. وقد لا يجد من ينكر عليه ذلك من أهل أو صديق أو غيرهما. . . خصوصاً إذا كان النجاح في نهاية العام مضموناً!!

أما معاناة المدرس وشجونه فلا تقف عند هذا الحد. . . بل إنه يجد من الموظفين معه من يشاطره آلامه وآماله ومنهم من يقف منه موقف المتفرج أو أنكى. . . فهو يرى الموظف ذا الخلق الحسن، دائم البسمة، خفيف الظل والروح، عفيف النفس واللسان، لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يدعوا المدرس إلا لأخأ له، أو ألبأ حسب فارق السن. ثم إنه نعم المؤانس والمسلبي عند الضيق والالام.

وفي المقابل يرى موظفاً آخر دائم العيوس بالوجه، تراه في كل وقت وكل مكان فيرمك بنظرات كالبسهم، يحصي عليك حركاتك وسكناتك، ويحفظ السبلة والخطأ ويثبس الحسنة والصواب. . . وهو إما حاسد لك على ما تتمتع به من ميزة ليست له، أو محبقر لك إذ كيف

الفروق في اللغة

على منهاج، لأن الشريعة أول الشيء والمحتاج لمعظمه ومتسعه، واستشهد على ذلك بقوله: شرع فلان بكذا إذا ابتدأه وأنهج البلى في الثوب إذا اتسع فيه، قال: ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف الآخر فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر فهو خطأ لا تقول جاعني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله ولكن مثل قوله:

أمرتك الخير لكن ما اتعمرت به

فقد تركتك ذا مال وذا نسب

وذلك أن المال إذا لم يقيد، فإنما يعني به الصامت - كذا قال، والنسب ما ينسب ويثبت من العقارات وكذلك قول الخطبة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند

وهند أتى من نونها النائي والبعد

وذلك أن النائي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ وأدنى ذلك يقال له نائي والبعد تحقيق الرواح والذهاب إلى الموضع السحيق، والتقدير أتى من نونها النائي الذي يكون أول البعد، والبعد الذي يكاد يبلغ الغاية.

قال أبو هلال - رحمه الله - والذي قاله ههنا في العطف يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من العقل واللب والمعرفة والعلم، والكسب



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

إن الكثير من الناس يأتي بالكلام المملوء حكماً ونصماً وطرافة وظرفاً ولكن ينسى أو يجهل الكثير من معاني الأسماء والصفات أو معاني الأفعال والصروف ولذلك يقع في الخطأ من لا يعرف الفرق بين اسم واسم أو صفة وصفة، أو حين يذكر فعلاً مكان فعل أو يجعل حرفاً مكان حرف، ولا شك أن هذا يعتبر خلافاً في التعبير، وعيباً في الكتابة وخطأ في الخطابة.

وقد ألف العلماء كتباً في الفروق اللغوية ومن أحسن من ألف في ذلك الإمام الأديب اللغوي أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري - فقد ألف سنة ٣٩٥هـ كتاباً في ذلك سماه (الفروق اللغوية) ذكر فيه أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع الكلمة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني في كل لغة فقال: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء وإليه أشار المبرد في تفسير قوله تعالى: [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً] قال: فعطف شرعة

والجرح، والعمل والفعل معطوفاً أحدهما على الآخر فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما في الفرق في المعنى ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو.

قال أبو هلال - رحمه الله - ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح عطف ما عطف به عليه إلا إذا علم أن الثاني ذكر تقخيماً وأفرد عما قبله تعظيماً نحو عطف جبريل وميكال على الملائكة في قوله تعالى: {من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}.

وقال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما فإن لم يكن فيه كذلك علامة أشكل وأبس على المخاطب وأبس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علة.

وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيراً للغة بلا فائدة.

وانظر إلى أوزان المبالغة - مفعول وفعل وفَعَال ومفعَـال: فمن لا يعرف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط. وأبس الأمر كذلك بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد معاني أخرى، قال المحققون من أهل اللغة إذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه مفعول مثل مرحم ومُحَرَّب إن جعل عدة للرحمة أو للحرب، وإذا كان قوياً على الفعل مطيقاً له قيل فعلون مثل صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل فَعَال، مثل حمَّال وجَمَّال، وإذا كان ذلك عادة له قيل مفعَـال. مثل معوان ومعطاء ومهداء ومهذَّار.

وانظر - إنه إذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني فاختلفت الألفاظ أنفسها أولى أن يكون كذلك، ولهذا المعنى أيضاً قال المحققون من

أهل العربية: إن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها والقول بخلاف ما يوجب العقل والقياس.

قال أبو هلال - رحمه الله - وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووضع كل واحد منها بمعنى آخر فوجب ذلك أن يكونا لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني.

واليكم مثلاً لتعرف فيه الفرق بين كلمتين مستعملتين كثيراً عندنا هي الحمد والشكر فالفرق بين الحمد والشكر، أن الشكر: هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنع، ولا يصح الشكر إلا على النعمة، والحمد: الذكر بالجميل على جهة التعظيم للمحمود، ويصح على النعمة وغير النعمة، قال تعالى: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ} (الأحقاف)، فبين أن هذا الشكر مقابل النعمة التي أنعمها الله تعالى عليه وعلى والديه وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون} (البقرة)، وقال تعالى: {فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون} (النحل)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه} (النحل)، فبين تعالى - أن شكر إبراهيم كان عن نعم أنعم الله تعالى بها عليه وقال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين} (الأنعام). فبين أنهم أقسموا أنه إن أنجاهم الله تعالى من ظلمات البر والبحر يكونون من الشاكرين ومثل ذلك قوله تعالى: {لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين} (الأعراف). وقد يكون الشكر مقابل

العفو عن جريمة كما عفى الله تعالى عن بني إسرائيل بعدما عبدوا العجل فقال تعالى : (وَإِذْ وَاَعْنَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ - ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة) والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث التي تبين أن الشكر يكون في مقابلة النعمة قوله (صلى الله عليه وسلم) (عجبت من أمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر كان ذلك خيراً) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند فجعل عليه الصلاة والسلام الشكر في مقابلة ما يسر الإنسان ورواه الإمام مسلم - وكذا قوله (صلى الله عليه وسلم) (الطاعم الشاكر كالصائم الصابر) رواه البخاري في الأطعمة - فجعل (صلى الله عليه وسلم) الشكر مقابل الإطعام، وقوله عليه الصلاة والسلام: (وإن تنعم بنعمة على شاكر) متفق عليه.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام (واجعلنا شاكرين لنعمتك) رواه أبو داود - والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة - فعرفنا من هذه الآيات والأحاديث أن الشكر يكون في مقابلة النعمة ويكون تعظيماً للمشكور واعتراضاً بنعمته.

أما الحمد فإنه الذكر بالجميل للمحمود على جهة التعظيم ويصح أن يكون على نعمة وعلى غير نعمة فمن الحمد مقابل النعمة قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْفٍ لِنَفْسٍ إِلَّا وَسْعَهَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ - وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ - وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنُتْهِدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ) (الأعراف) - فجعل الله نعمة الحمد في مقابل هذه النعم الجليلة، وقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) وقال تعالى مخاطباً سيدنا نوحاً عليه السلام : (فإذا استويت

أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) المؤمنون - وقال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَانْخَلُوهَا خَالِدِينَ - وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر) - وقد يكون الحمد بنون مقابل نعمة كقوله تعالى : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً - ولم يكن له شريك في الملك) الإسراء - وقال تعالى : (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (التحل) - وقال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) (غافر) فهم يسبحون الله ويمجدونه على جهة التعظيم دون ذكر للنعمة.

وفرق آخر بين الحمد والشكر أن الإنسان قد يحمد نفسه في أمور جميلة طيبة يأتيها فيذكر ما عمله من كرم أو علم أو شجاعة، ولكن لا يجوز أن يشكر الإنسان نفسه، لأن الشكر يكون في مقابلة نعمة من إنسان على آخر فهو بمثابة الدين ولا يجوز أن يكون للإنسان دين على نفسه.

فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر، فالشكر إظهار حق النعمة لقضاء حق المنعم كما أن الكفر تغطية النعمة لإبطال حق المنعم.

ونقول أيضاً ويمكن أن تضيف شيئاً آخر وهو أن الحمد يكون باللسان فقط فتقول الحمد لله والشكر يكون باللسان وبالقلب والجوارح قال الشاعر:

أفانتكم النعماء مني ثلاثة

يدي وإساني والضمير المحجبا

أم اللغات

شعر: ابراهيم الصعبي
- فلسطين -

أنا صبّ بحبّ الضماد هاماً
فعدواً إن قسا شعري ولما
إذا ما كان للضاد انتسابي
ألقى بون ما تلقى لثاماً
إن ما كنت منها صوت حق
ولا كنت الذي حفظ النماماً
لنا لغـة الإله، أبّ .. وأمّ
وحق أن نزيدهما احتراماً
بها أوحى الإله لنا كتاباً
به سُنننا .. وجرّنا الأثاماً
وأبقى كل ما فيه جيداً
لنمضي دائماً .. أبداً .. أماماً
فيها أم اللغات سلمت أمّا
تهيبُ بنا أن اطّرحوا الضماماً
ويا أم اللغات سلمت أمّا
بها نزداد عزاً واعتصاماً
ورثنا من فصاحتها كنوزاً
بها رُفعت لنا في الدهر هاماً
أما مَنَحَتْ علوم الأرض روحاً
وزابتها ثراء .. وانسجاماً
ولولاها لما اتحدت قلوبُ
على التقوى .. ولا زبنا التهاماً
شمس الحق نحن إذا اتحدنا
فلن تلقَ الظلوم ولا الظلاماً

أبعاد العرب على اللغة العربية

وسبب إصلاح المعاش والمعاد .

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالنيبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلالها وديقانتها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمرة» [٣].

فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتا مسموعة فحسب، لكنها - إلى جانب ذلك - طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه. والعالم ببوله وشعويه لن يفهم العرب حق الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بواسطة اللغة العربية ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين» [٤].

وجوب تعلم اللغة العربية:

والعربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى؛ بل هي فريدة من نوعها؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعاً لتكون وعاءاً لكتابه الخالد: (القرآن الكريم) كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها، حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله

وضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقذارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكن الخلق بواسطتها من تنظيم فكره وتطويره.

واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقها إلى يوم الدين» [١].

«وقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعني بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها» [٢].

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٢٥٠ - ٤٢٩هـ)، إذ يقول: «من أحب الله - تعالى - أحب رسوله محمداً (صلى الله عليه وسلم)، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همة إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين،

بقلم : د. محمد السيد علي بلاسي

- عضو اتحاد كتاب مصر -



الكتاب في سطور

- عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- عضو اتحاد كتاب مصر
- خبير في منظمة الإيسيسكو
- شارك في العديد من المؤتمرات العربية
- له جمهرة من المؤلفات
- له مجموعة من المقالات والقصص في المجلات والصحف العربية

باللغة، ويتصاريف القول فيها: إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة، فالمنعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي. وقد يستدل عليه بغير اللفظ ولكن يظل اللفظ دالا على

المعنى التابع لقصد التكلم. فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صفة الفكر أو خطئه: إذ اللغة ترجمة لما يجري في الفكر: من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحى علميا، أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم، تنجى إلى الاصطلاح وتخطب العقل. والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتوليها اعتمد منطق اللغة العربية. وقد أورد السيوطي (١١١هـ) قول حرمة بن يحيى «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طالس». ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوره والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح» (١٠).

وهكذا يتضح أن المنهج في استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية، وأبن خلنون وهو يدرج العلوم في الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربي على علوم العربية، وجعلها أركاناً أربعة: اللغة والنحو البيان والأدب. وقرر أن «معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من

ويقتل به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك» (٥). وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - الخلط في الدين - عند أهل البدع - إلى قلة فهم اللغة العربية، فيقول: «لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه. ومعرفة العربية التي خطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يصدق أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك» (٦).

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥هـ) إذ يقول: «للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم... فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك» (٧).

من هنا، أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة، فقال: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» (٨).

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) إلى أفراد باب في كتابه (الصاحبي) تحت عنوان: «باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، يقول فيه: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله - جل وعز - وما في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا» (٩).

وغاية القول: أن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية، والفهم موكب إلى المعرفة الحقيقية

**العلم بلغة
العرب
واجب
على كل
مسلم
عمل
المستعمر
جاهداً
لابمهاد
العربية،
وتمكن
لفته
صنائع
الاستعمار
في الشرق
العربي
كانوا
أكثر
خطورة
على
أمتهم
من
المستعمر
نفسه**

الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة» [١١].

الحلة على اللغة حلة على الدين:

بداهة شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية؛ للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفاً من المكائيد للوصول إلى مآربهم الضخيسة ومراميهم الدنيئة، وهي عديدة ومتنوعة؛ ويحدد الأستاذ محمد

قطب بعض الخطوات التي اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة، فيقول [١٢]: حينما تولى (المستر دنلوب) القسيس الثرى عينه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف - جاء دنلوب ليضرب الأزر على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول؛ ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية، ولا تعلم الدين إلا تعليمًا هامشياً - أما من ناحية اللغة العربية: لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقداً عليه، فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء

عليها! فقد كان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا «أثنى عشر جنيهاً» إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى «أربعة جنيهاً» وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع.

ففي المدرسة: لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم بل أصبح في ذيل القافلة يتقدمه المدرسون جميعاً حتى نوا المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه - في الراتب - فراش المدرسة - أحياناً - إذا كان ذا أقدمية!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو مستشار في شؤونها ولا هو يشارك في شيء من إدارتها؛ ولم يعد له حتى عند التلاميذ أي احترام ولا أي حساب.

أما في المجتمع: فهو أشد ضياعاً منه في المدرسة؛ فالناس جميعاً يعلمون وضعه المالي ويعلمون أنه في ذيل القائمة وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب والاحترام!

وهكذا يتحدد وضع مدرس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعي الفكري، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية؛ وحين أصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام؛ فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة نفسها، وهذا هو الهدف المقصود!

وبالفعل انتقل هذا الوضع المهين المزري من المدرس إلى المادة؛ وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور؛ فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلغا ونصوص وأدب.

وهكذا صويت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرناً من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها، والانتقاد عليها؛ لكي يصبح من المثقفين!! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة، وكان هذا هو الهدف

وايت ساعة مندم ووقتها لا ينغم
الندم!

الأخير المطلوب من ذلك التخطيط
الخيبي!

**** بدهاء شديد
ومكر خبيث اتخذ
أعداء الإسلام اللفة
العربية بوابة خلفية،
للنيل من المسلمين
وإبصادهم عن
عقيدتهم »**

الهوامش:

(١) العلم باللفة
العربية... ضرورة
عقيدية: للدكتور عباس
أرحيله، ص ٨٢ -
بتصرف يسير - (مقال
منشور بمجلة منار
الإسلام: عدد محرم
١٤١٥هـ).

(٢) مقالات وأراء في اللفة
العربية: للدكتور حمد بن ناصر
الذخيل، ص ٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى -
دار الشيل بالرياض، سنة ١٤١٥هـ.

(٣) فقه اللفة العربية وسر العربية: للشافعي، (المقدمة)
بتحقيق السقا وآخرين، ط. الطلي سنة ١٣٩٢هـ.

(٤) مقالات وأراء في اللفة العربية: ص ٥٨ - بتصرف
يسير.

(٥) الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٦) الإيمان: لابن تيمية، ص ١١١.

(٧) الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد
السلام محمد هارون ١٥٤/١، الطبعة الثانية - مصطفى
الطلي، د. د.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص ٢٠٧.

(٩) الصحابي: لأحمد بن فارس، تحقيق أحمد صقر، ص
٥٠، الطبعة الأولى - عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٧م.

(١٠) العلم باللفة العربية... ضرورة عقلية: ص ٨٧، وانظر
صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق
الدكتور سامي النشار، ص ٤٥، الطبعة الأولى - السعادة
سنة ١٩٤٧م.

(١١) المرجع السابق: ص ٨٧، وراجع مقدمة ابن خلدون،
تحقيق د. علي عبد الواحد وإفي ١٢٢٤/٣، ط. ٣ - دار
نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٧٧م.

(١٢) واقعة الحاضر: محمد قطب ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٣) وحي القلم: الزاوي ٢/٢٢٣.

فالكتاب باللغة العربية
هو ذات الأمر كله، وهو
القرآن الكريم والمطلوب
هو: صرف الأمة عن
تراثها كله وعلى رأسه
القرآن. وانصرف
الناس بالفعل عن
قراَنهم وتراثهم
بالتدريج؛ فلم يُعَد
يشعرون أنه هو الزاد إنما
الزاد هو المكتوب بلغة
السادة الغالبين!

وقد تم بالفعل صرف المسلمين
في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتغيير
الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية
على يد كمال أتاتورك وتصفية اللغة التركية من معظم
الكلمات العربية التي تتضمنها؛ لتتشأ أجيال تعجز
عجزاً كاملاً عن الاتصال بتراثها الإسلامي؛ فتقطع
عنه وتتشأ بلا دين وقد قامت في مصر محاولات
مشابهة على يد عبد العزيز فهمي وغيره ولكنها ولدت
ميتة ولم يُقدَّر لها النجاح.

ويعد: فلنفسح المجال لأبيي العربية الكبير
مصطفى صادق الرافعي؛ لنجد معه صرخته
التحذيرية التي تفضح النتائج المنشودة من وراء الحملة
المسعورة على لغة القرآن الكريم، إذ يقول: [١٣] «ما
ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في
ذهاب وإبهار. ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغة
فرضاً على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها
ويشهرهم عظمت فيها، ويحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في
عمل واحد: فالأول: تحبس لغتهم في لغته سجنًا
مؤبدًا. والثاني: الحكم على ماضيهم بالقتل محوًا
ونسيانًا. والثالث: تغيير مستقبلهم بالأغلال التي
يضعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع.»
أفيقوا! أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة.

المرأة العربية

تأليف: عبدالله عفيفي

من حق هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة أن يطبع هذه الأيام، لأن الظروف التي حتمت تأليفه منذ أكثر من نصف قرن، قد توجب إعادة طبعه الآن، فقد كثرت المجالات الداعية إلى التحلل، المغررة بالمرأة المسلمة كي تخالف نهج الله، كما كثرت الأفلام الداعرة المترجمة عن أوروبا وأمريكا، وفيها ما يظهر المرأة عارية غير كاسية، وما يجعل كل رسالتها في الحياة اللهو واللعب والتمسادي في الإباحية حتى كاد يقع في أذهان الناظرين والقارئ، أن التقدم الحضاري للمرأة أن يكون إلا بمظاهر النُزق الطائش وأن الاحتشام والتصون مدعاة تأخر وجمود! هذا ما كان بالأمس القريب، وهو اليوم أشد ضراوة، وأعظم فتكا، يقول الأستاذ عبد الله عفيفي، وهو من كبار الكتاب في عصره، وأحد الذين كان يشار إليهم بالبنان عند الصيال الفكرى في مسائل الأدب والتاريخ والاجتماع، يقول المؤلف في مقدمة كتابه [١]:

«لينهض النساء ما شئن أن ينهضن، ففي نهوضهن نهوضنا، وبلوغ غايتنا، ولكن ليجز الأخزون بيدها، والداعون إلى نهوضها التواء القصد، والتباس الطريق فينالها الزلل وتلج بها العثرات حتى يقول قوم لقد كان ما كانت فيه خيرا وأبقى، ألا وإن من التواء القصد، وضلال الطريق أن ندع نساءنا يتخذن من المرأة الأوربية مثلا يحتذينه، ويمعن في التشبيه به».

وكما حذر المؤلف من التبرج الأوربي السافر، والتهتك الغربي الماجن، أراد أن يتخذ المثل للمرأة المعاصرة من سالف عهودها الزاهرة حين كانت تعتز بكرامتها، وعفافها، وقيادتها لمنزلها مدبرة ومنقذة ومقتصدة ولذلك ألف كتابه الرائع في أجزائه الثلاثة متحدثا عن المرأة في الجاهلية والإسلام وفي عصر

الحضارة الزاهرة ببغداد والأندلس فجاء حديثه شافيا وافيا، مليئا بالمثل الصالحات!

والكتاب إلى خطته التوجيهية ورسالته التربوية كتاب أدب حافل، وتاريخ زاهر. فما أكثر ما عرض من أدب المرأة شعراً ونثراً على مختلف العصور، وما أكثر ما عرض من مواقف البطولة والشرف والمروءة للمرأة العربية من أصدق المصادر وأوثقها رواية، وفي هذا الكتاب الرائع من الشعر الخاص بالمرأة ما لم يوجد شبيهه في كتاب آخر، لأن مصادر المخطوطة قد جاءت للقراء بما كان بعيدا عن تناولهم، أما لغة الأستاذ في تدوين كتابه، فلفة المدرسة البائية في الأدب العربي التي رفرت بأسلوبها النقي في أوائل هذا القرن، لغة المنطوطي والرافعي والزيات وصديق والبشري، وهى لغة ينكرها اليوم من يحسبون كتابة الأدب لا تخرج عن أحاديث المجالس، والأستاذ المؤلف كان خطيباً رائعا يرسل خطبه الدينية في المواسم المشهودة لأنه كان إمام جلاله الملك الرسمي، وله مركزه الدينى جوار مركزه الأدبي، وجرائد الأهرام والبلاغ وكوكب الشرق تنطق بآثاره، هذا غير مؤلفاته الأخرى ذات القدر المشهود.

وقد ابتدأ المؤلف بحديثه عن المرأة الجاهلية، فأنظر مكان العزة في تاريخها، ومكان الضعف لدى من ظلموها بغير حق، وقد أسعفه تاريخ الجاهلية بمواقف رائعة منها شجاعة المرأة في أيام العرب الحربية، وكرامتها عند قومها مستشهداً بشموخ عمرو بن كلثوم ومصرع ابن هند على يديه لتجاوزه طوره في إهانة المرأة، ويسبب حرب البسوس التي انتشرت أربعين عاما، حفظاً لكرامة لاجئة استعانت بعربي، وهذا مع ما كان من أمر الشهيرات في عرب الجاهلية من أمثال زينب ملكة تدمر، وبلقيس ملكة سبأ، والزباء غريمة جذيمة الأبرش أما سمو

أدبها ونفاذ لبها فشواهد كثيرة فيما أثر عن عزتها



د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية - المنصورة

المرأة العربية

في حياتها وأبنائها

أحمد محمد
عبد الرحمن

الجزء الأول

[طرق تلخيص مختصرة]

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
توزيعها : مصرية

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
طبعة ١٩٩٩

غلاف الكتاب

الفصل الواحد منها أن يكون كتاباً برأسه، وقد تجنب الأستاذ عبد الله عفيفي فضول القول الذي نلمسه عند من يريدون أن يظهرُوا براعاتهم من المؤلفين، حيث يتأتون بالموقف الواحد فيخوضون فيما حوله وما بعده من أمور لا تتعلق به، ويطلقون في تخيلات عقلية هي في رأيهم مما يدل على سعة النظر، وعمق التحليل، والحق أن الشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده، ووقت القارئ أهم من أن يضعف في استطرادات لا تخدم الموضوع قدر ما يريد بها المؤلف أن يعلن سهولة القلم في يده، وسيره حيث يريد، وفي الفصل الأول حديث عن زهو المرأة العربية في عز الإسلام، وأثر الدين في تربية الرجل والمرأة معاً وذلك من خلال أحداث مشهودة روتها كتب السيرة وصحائف التاريخ، ومن أهمها حديث الواد الذي حرّمه الإسلام وما كان من قيس بن عاصم وموقفه من فئاته الضحية المسكينة، وحديث السباء في الجاهلية وما كان من نظرة الإسلام له، وميراث البنات، والحكمة في مشروعيته على الوجه المقرر.

أما حقوق المرأة في الإسلام ففصلٌ مستوعبٌ دقيق، يجمع إلى الأقوال الشرعية الأحداث التاريخية، وقد تضمن شئونها تحدثت عن كرامة المرأة في

وحريتها وحياتها الزوجية وكرامتها على بعلها وسعة حيلتها في مواقف الضنك مع الألام بطرائف رائعة عن الشهيرات من أمثال الخنساء وهند بن عتبة وزوجة الحارث بن عوف وسفانة بنت حاتم الطائي ومارية زوجة حاتم. ولم يسق كل هذا سوقاً نون ترتيب بل جاء محكم الرد، متتابع المواقف، بارع التحليل، حتى أصبحت الحادثة على يراع المؤلف أكثر ضوفاً منها في أصلها المقتبس منه لأنها لدى المؤلف ذات تمهيد وتحليل واستنتاج مع بيان عربي شفاف.

وقد أفاض المؤلف الكبير في حديثه الشامل عن المرأة في عامة حياتها، إذ كتب فصلاً شائقة عن الحجاب والسفور، والثياب والطي وأنوات الزينة، وملابس الحرب حين تنهض المرأة لمداداة الجرحى وأسعاف المعطشى، بل حين تمتشق السيف لتحارب مع الرجل في ساحة الهول، أما مظاهر العرس والمأتم فقد أبدع المؤلف في كل ما ذكره عن يوم الإسلاك ويوم البناء ويوم الحداد، والحق ذلك بحديث عن صفات الجمال عند العرب جمعه من مصادر شتى عسيرة المنال.

ومن أحسن ما طرئت له في هذا الكتاب ما جاء خاصة بفصاحة المرأة، إذ استشهد المؤلف بروائع زاهية من الأدب العربي هتفت بها المرأة في حومة البيان، وفيهن من وصفن الرجال فأجدن الوصف، أما ما ذكره المؤلف تحت عنوان «عيون من الشعر» فكله مختار جيد ويصح أن يحفظ في الصور لأن ما أثر عن المرأة من لواعج الحنين إلى الوطن والبكاء على الراحلين من أبناء وآباء وأزواج وأخوة مما يلغ بالوعة الكاوية، والشجن المذيب، حتى ليجوز لنا أن نقول: إن الكتاب على هدفه التربوي، ونهجه الاصلاحي، مختارات أدبية للشعر النسوي البليغ، وقد قرأت بعد صدوره كتباً خاصة بشعر المرأة مثل كتاب «شاعرات العرب» وغيره، فوجدتها كلها قد نقلت كل ما جاء به الأستاذ عبد الله عفيفي لم تترك منه بيتاً واحداً. وهو إجماع يشهد بحسن التبع، وسلامة النوق في الانتقاء والاختيار.

وهذا كله عن الجزء الأول الخاص بالمرأة الجاهلية، أما المرأة في صدر الإسلام فقد ابتدأ المؤلف حديثها بالجزء الثاني فجاء في عدة فصول ضافية يصلح

التعدد في بعض الأحيان المألوفة، لم يخص شرقاً بالحديث، بل خص الناس جميعاً، وهو ما يجب مراعاته دون التباس.

ومن أجل ما تحدث به الأستاذ عفيفي في هذا الجزء حديثه عن تأثير المرأة العربية في نهضة الإسلام، وهو حديث يفخه من يصممون على أن المرأة المسلمة قعيدة المنزل، وسجينة الحجاب، إذ كان للمرأة في الإسلام مواقفها البارزة في الحرب والسياسة؛ وحروب الجمل والخوارج فضلاً عن غزوات الرسول في صدر الإسلام تقدم نماذج رائعة من جهاد المرأة، وما اصطلح معاوية بجمرة الغضب على حلمه المجهود - إلا لما سمع من خطاب نصيرات علي ودفاعهن عن موقفه بحجج لا ترد وفي هذا الفصل إلمامة بمواقف أسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وفاطمة البتول، وهند بنت زيد، وصفية بنت عبد المطلب وأم سلمة ونائلة وعمره... وقد انتهى المؤلف من حديث الحرب والسياسة ليتكلم عن أثر المرأة في العلم والأدب، فرجع إلى ما ذكره الحافظ ابن حجر في تاريخه عن النساء العالمات في عصره، وإلى ما قاله الحافظ ابن كثير من أنه تلقى الحديث على بضع وثمانين امرأة كلهن محدثات، أما رواية الشعر لديهن فمما فاضت به كتب الأدب ونقل المؤلف شذوذاً منها تتصل بعائشة بنت طلحة، وعمره الجمحية، وسكينة بنت الحسين، وعاتكة بنت زيد مستشهداً بأقوال للفيلسوف الفرنسي جوستاف لويون وغيره من المنصفين، وكما ختم حديث المرأة الجاهلية بنصوص شعرية ونثرية مما قالت المرأة، ختم حديث المرأة الإسلامية بأمثال هذه النصوص، وبالموازنة بين المهدين نجد النصوص الإسلامية أغزر مادة، وأوفى حجاً، وأعظم ثروة على البغاة والمغتصبين، أما شعر الحنين المروي على لسان المرأة في هذا الجزء فمما يجب أن يحفظ، ولا أزال أترنم ببعض ما جاء به كقول فتاة أعرابية احتملها زوجها إلى مكان قصي مفارقة نوى قرباها:

ألا أيها الركبُ اليمانون عرجوا

علينا فقد أضحى هواناً يمانياً

نساءكم هل سال نعمان بعدنا

وحبُّ إلينا بطن نعمان وادياً

الإسلام، وقذف المرأة المسلمة وما أعده الله بسببه من عقاب مع الرد على من ذهب من كتاب الفرنجة إلى أن المرأة في الإسلام سجين البيت ورهينته وأنه لا نصيب لها من الحرية والتصرف المالي واحترام رأيها فيمن تريد من الأزواج؛ والغريب أن هذه المفتريات مع بطلانها السافر وكثرة ما تنوّل حولها من الرد القامع تجد من يرددها الآن، أما تعدد الزوجات فما أكثر ما انتقصه الذين يهرفون بما لا يعرفون، وكان المؤلف حصيفاً حين نقل عن كتاب الفرنجة أنفسهم ما يؤيد التعدد المباح إذا دعت إليه الضرورة، وكثيراً ما تدعو وهذا التعدد أفضل بكثير من نظام المخالعة الذي شاع في أوروبا بحيث أصبح للرجل زوجة واحدة وعدة خليلات تراهن الزوجة رأي العين ولا تستطيع أن تنكر بل ربما جرهما ذلك إلى خيانة الزوج فتكون خليفة لشخص آخر من وراء ستار! وقد نقل المؤلف عن الأستاذ جوستاف لويون قوله في كتابه «حضارة العرب» (ليس بالهين اليسير أن تترك أسلوبياً من الحياة أمة من الأمم حتى تقترض كونك في هذه الأمة بحيط بك ما يحيط بها ويحكم بذات نفسك ما يحتكم بنوات نفوسها - فإما أن تحكم وانت متأثر بطبائع قومك وعاداتهم، وما يحيط بك من وسط ومن بيئة وجو على نظام قوم لا يشاكلونك في شيء مما أنت فيه فذلك ليس من الرأي في شيء).

وهذا القول قاله جوستاف لويون في مقدمة حديثه عن تعدد الزوجات في الإسلام، وقد اختاره المؤلف وأيده، ولكني أرى أن مسألة تعدد الزوجات انسانية عامة قبل أن تكون خاصة بالشرق والشرقيين ونظام الأسرة في جوهره لا يختلف باختلاف البلدان والأزمنة، فالرجل شرقياً كان أو غربياً، قد يحتاج إلى التعدد لضرورات كتبها علماء الاجتماع وبسطوا حديثها الشافي في عدة صفحات! وقد كانت الحرب العالمية الثانية وما تركت من الأرامل الكثيرات في أوروبا جميعها سبباً في المناداة بنظام التعدد، وهنا يكون التعدد أمراً عاماً لا يخص إقليمياً أو دينياً بعينه، على أن الإسلام دين عالمي لا ينحصر في مكان واحد، وكل من يعتنقه في الشرق والغرب ملزم باتباع شريعته، وما جاء في كتاب المرأة العربية عن ضرورة



فلان به غلا ظليلاً وموردا به نفع القلب الذي كان صلياً

في قصور الخلفاء ومن تتبعهم من الوزراء والقواد
والحكام فانهقدت مجالس اللهو، واستبيحت الخمر،
وكثرت الجوارى كثيرة هانت بجوارها مكانة المرأة
العربية في كثير من المنازل والبيوت، يقول المؤلف:

«وأراد الفرس أن يخذلوا آخر جنوة من الحمية

العربية فأنجلبوا عليهم بكل ما يوهن النفوس ويصبي
القلوب من سماع وشراب وكواعب أتراب وأغرقوهم في
بحر طام من السرف والترف والزهو واللهو، والمحارم
والمآثم ولم يعض غير قليل حتى راح العرب يخطرون
في مطارف الفرس ويلعبون في ملاعب الفرس
ويتخلقون بأخلاق الفرس، والمرأة والرجل كقوتَي
الكهرياء إذا تأثر أحدهما تأثر الآخر وكذلك بدأت
المرأة العربية تتأثر».

وتمثيلاً لما تقدم من مظاهر التغير المنحرف عند
المؤلف كتب قصولاً طويلة عن الجوارى وأثرهن في
المجتمع العباسي وعن الديارات وما أحدثت من الفتنة
بين المسلمين، إذ كانت مؤوى الخلفاء والمتبطلين، وبها
تشرب الخمر ويسمع الفناء ويكثر القلمان والجوارى
والراهبات، هذا إلى أنواع البغاء والصانعات وإماكن
الرجس، والصورة بهذا الوضع قائمة حقاً ولكن المؤلف
قصر حديثه على الجوارى والديارات والمواخير ليصور
هذا المجتمع، وعززه أنه يتحدث عن المرأة ولو كان
الحديث عاماً لنظر إلى الناحية الثانية في فقدان ناحية
الزهاد والفقهاء والمتكلمين وهم عصبية خير تلوذ
بالفضائل وتتأذى عن الشهوات؛ فيكونون الكفة المقابلة
للکفة التي تحدث عنها المؤلف؛ وشيبه بما تحدث به عن
العراق جاء حديثه عن الحياة في الأندلس وأثر المرأة
في هذه الحياة ومن نبغ من الأندلسيات في الشعر
والأدب والغناء ثم انتقل إلى تسرب الوهن في المجتمع
الأندلسي. ونسباق الأسر الأندلسية في مناسق
الفرجة مما تمخضت عنه النكبة الحاققة بالأندلس
فكانت عثرة لا تقال.

ألا يرى معي القارئ أن الكتاب موسوعة نافذة
وأنة جدير بالتبوع ليؤدبي رسالة حاضرة أداها من قبل
في زمن قريب؛ وجاء موعد أدائها الآن بعد أن اختلطت
الأوراق واشتبهت الأمور؟!.

وقد ختم الجزء الثاني بفصل رائع تحت عنوان
«آخر صفحة من كتاب العظائم» تحدث فيه المؤلف عن
السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد، فاقاض في
مآثرها النفسية وسماتها الخلقية، وتحدث عن إنشاء
(عين زبيدة) بالبلد الحرام مبيتاً ملاحظته من شدة
احتياج ضيوف الرحمن إلى الماء بمكة، وما كانوا
يقاسون في حمل القرب على ظهورهم من الأمانة
البعيدة، وقد عز الماء سنة حجها حتى صارت القربة
تباع بدينار، فدعت خازن أموالها وأمرته أن ينهض
بحفر عين مائية قائمة له؛ لو كلفك ضربة الفأس
الواحدة ديناراً فلا تُحجج؛ فقام بالأمر على وجهه
وسيق بعض الماء من جبال طاو على بعد خمسة وثلاثين
كيلومتر من مكة، وكذلك سيق الماء من مجرى آخر
بوادي النعمان على بعد عشرة كيلومترات، وتلك همة لا
ينهض بها إلا أعظم الرجال!

وقد جره حديث السيدة زبيدة إلى الدفاع عن
ولدها الأمين، وما ذكره المؤلف أقوى ما قرأت في
موضوعه لأن أكثر المؤرخين قد تحيفوا المغلوب
فوصفوه بما ليس فيه. ومما قاله المؤلف: [٢]:
«استغفر الله، ما كان الأمير خليعاً ولا مانعاً ولا
مارقاً، ولا سرقاً في دينه ودنياه، بل كان شأنه كشأن
أبناء النابهات من العرب، كف ندية، وهمة قصبة،
وفطنة هاشمية، ولكن المرجفين من شيعة المأمون وقالة
السوء من شعوبية الفرس الحقوا به ما ألحقوا ظلماً
وزوراً لأنه اعتمص بالعرب وجعلهم حزبه وشيعته!
يقولون إن الأمين قد أسرف في الشراب، ولكنهم
كذبوا، لقد علموا أن الرشيد قد حدّ ابنه المأمون في
الخمر وما هو شر منها، أما الأمين فلم يكذب على أمر
المسلمين حتى ارتهن أيا نواس في سجنه وطال فيه
بلاؤه وعناؤه».

أما الجزء الثالث فحديث عن المرأة في عصر بنى
العباس ببغداد وعن المرأة في الأندلس، وقد تبدلت
الحال غير الحال لما جره الترف والتعيم من لذائذ
المتعة، ومناعم الشهوات، وقد كان للفرس التأثير الأكبر

كهفان

عمار صبيح التميمي

- صنعاء -

غَيَّبُوا (يوسفَ) الجَمِيلَ وَغَابُوا
 فَعَمِلُوا وَجْهَهُ الْآتِيقَ أَكْتَئَابُ
 أَهِي اللَّعِيبَةُ الْجَلِيدَةُ حَقًّا
 وَيَحْ مَا قَدَّ تَهَامَسَ الْأَتْرَابُ
 صَاح: (يَا إِخْوَتِي لَقَدْ مَلَّ قَلْبِي)
 فَتَنَاهُ الصَّغْدَى الْخَفِيفُ الْيَبَابُ
 وَي كُنْ الرَّدَى سَيُولَدُ فِيهَا
 (يوسفَ) الْآنَ قَدْ أَتَاكَ الْحَصَابُ
 هَمَزَ اللَّيْلُ بَيْنَ جَفَنَيْكَ حَتَّى
 تَلْمَحَ الْبَحْرَ قَدْ عَرَاهُ اصْطَخَابُ
 ثُمَّ أَهَمَّتْ سَحَابٌ مِنْ لَهَيْبِ
 أَحْصَرَقَتْ صَوْتَهُ الطَّرِي السَّحَابُ
 وَتَلَوْتُ مَرَّافِيءَ الْأَفْقِ حَيَّرَ
 إِذْ يَوَاسَسُكَ بِدُرِّهَا الْوُفَا
 فَجَاءَ جَاءَ نَبْوَةٌ مَغْبُوبُ
 نَبِيْنُ فِي الْجُبِّ أَذْ يَعْمُ الْمَصْرُ
 سَبَقُوا (يوسفَ) إِلَى الْجُبِّ هَذَا
 مَثَلَمَا يَسْبِقُ الْبُكَاءُ انْتَحَابُ
 ثُمَّ مَاذَا؟ وَكُلُّ شَيْءٍ مَخْخِيفُ
 الْعَذَابُ الَّذِي اقْتَفَاهُ الْعَذَابُ
 وَالصَّحَابُ الْأَلَى قَدْ امْتَنَهَنُوا الْفَرَّ
 بَ مَا عَادَ يَرْتَضَى الْاَغْتَرَابُ

كَيْفَ تَبْكِي؟ وَفِي دَمْعِكَ بَلَدُ
 تَسْمَعُ الْأَفْقَ بَيْنَهَا وَالْهَضَابُ

غـيـر أن المكان يمتدُّ دُرباً
مـسـوحـش الخطو يرتديه السـرابُ
إنه مـثـل ما المـدى بين ماضيك
وأرض كـالـهـمس فيـها التـرابُ
هـكـذا قـام يـوسف لـيـرأها
أرضه الحـلم والجـمـال المـذابُ
وعـدا خـلفه بـقـيـة عـنـر
أن أهـليـك لـم يـصـالـهـم عـتـابُ
إنهـا الجـنة الـتي كـنت تـبـغـي
صـيـفـها والـشـتاء شـيء عـجـابُ
عـطـرها مـن مـفـفـاتـن الخـلد لو كـان
عـلـى الخـلد مـن ضـبـبـاب ضـبـبـابُ
شـجـر وارفُ الظـلال وعُـشـبُ
ونـخـيـل وجـارـيات عـذـابُ
وحـسـسـان تطوفُ حـولـك كـالـ
سـحـر كـسـالى وما تـرى يُـسـتـجـابُ
إن هـذي هـي المـعـيـة وهـذي
هـي جـنـات عـيـشـها لا الجـبـابُ

غـيـر أن الحـنين لـازال حـيـاً
ملؤه الـدمع والـهـوى والعـتـابُ
يـتـرأى لـه بـقـيـة عـمـر
أشـمـعـت حـولـه المـدى والحـرابُ
وبـقـايا لـحـمـه قـد تـبـدى
أبـيـض اللـون يـعـتـلـيـه ارتـقـابُ
يـتـمـلـأ لـاه (يـوسف) بـنـهـول
كـسـؤال يـضـيـع مـنـه الجـوابُ

إنتاج واستهلاك، وتكاليف

مناسب لمبادئ المحاسبة على اهتمامات اقتصادية جوهرية.

أما في الدول النامية فإن هذه الاهتمامات نفسها تتنوع بشكل واسع مثلما تتنوع محاولات معالجتها، ولدى البعض تبدأ المشاكل عند رأس البشر. ولقد استعارت هذه الدول أنظمة تسعير المنتج وأنظمة الضريبة من صناعة النفط، ولكنها إن لم تستطع تعديلها لتتناسب مع الوضع الخاص للغاز فإنها سوف تصيب عملية تطويره بعجز خطير. وفي بلاد نامية أخرى تكمن المشكلة الرئيسية فيها في أسعار المستهلك، فيجب أن يكون الغاز منافساً لكافة أنواع الوقود الأخرى وفي مجالات استعمال مختلفة، وهذا الأمر عادة ما يدفع الحكومات إلى محاولة (تصريك السوق) بتطبيق عدد كبير من تعريفات معقدة للغاز ومحددة لحالات متنوعة، وإن لم تحسب هذه التعريفات بشكل دقيق، ولم تعدل في كل مرة تتغير فيها عوامل وأسعار الطاقة الأخرى فإنها سوف تمثل حافزاً ضعيفاً، والكثير من عدم التأكد لدى العملاء المحتملين الذين يفكرون في التحول إلى الغاز. وفي الكثير من الدول النامية ليست فقط أسعار الغاز بحاجة إلى توجيه بل كل أنواع المسائل المتعلقة بتطوير الغاز، وتتضمن هذه المسائل: موقع الغاز ضمن الاستعمالات التنافسية، وتتابع تطوير الحقول، وتخفيض معدلات حرق غير المستغل منه، وسرعة استنزافه، وغيرها الكثير. إن الأحكام التجريبية التقليدية المذكورة في

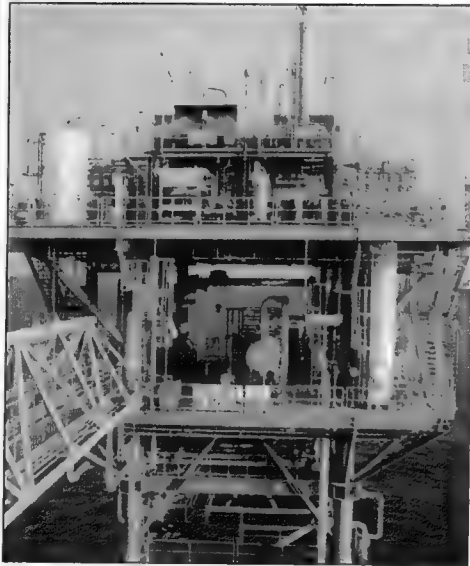
يحتل الغاز الطبيعي موقعاً مهماً في سوق الطاقة الدولي، وهو كالمخزن يمكنه أن يلبي مدى واسعاً من احتياجات الطاقة، ابتداء من استخدامه في توليد الكهرباء، وفي التدفئة السليمة بيئياً، إلى استعماله كوقود في البويلرات. ولكن تكلفة نقله - على العكس من النفط - مرتفعة، الأمر الذي يؤدي إلى استهلاك الجزء الأكبر منه في نفس الدولة التي تنتجه، وهو من هذه الناحية يشبه الكهرباء، وإلى حد ما الفحم. ولهذا السبب أيضاً لا يوجد سعر عالمي للغاز الطبيعي كما هو النفط والفحم، وسوقه تعتبر سوقاً مشقة وأنماط الاتجار به غير مرنة، مما يستدعي أن تكون كل صفقة تتعلق بالغاز مفصلة ومحددة.

وهناك أفضليات بيئية مهمة ترتبط بالغاز الطبيعي الذي يعتبر وقوداً أنظف من النفط والفحم. وعلى مخططي الطاقة وصانعي السياسة أن يضعوا تقييم المشاريع التكاليف والعوائد البيئية النسبية للغاز وأنواع الوقود البديلة الأخرى.

وتحت مثل هذه الظروف ليس غريباً أن تختلف أسعار الغاز بشكل واسع في أرجاء العالم، أو أن تكون هناك دولة ما تعتمد اعتماداً كبيراً على الغاز في توليد الكهرباء في حين تقتصر دولة جارة لها على استخدام الغاز في إنتاج الأسمدة والبتروكيماويات. وتنتج مثل هذه التفاوتات الظاهرة بسبب خليط من القوى السوقية والتقنية يجعل من اقتصاديات الغاز الطبيعي موضوعاً متنوعاً ومثيراً للاهتمام، إلا أنه لم يفهم جيداً بعد ولم يتابع بشكل واسع. وعلى الرغم من وجود أسواق غاز ناضجة ومؤسسة منذ فترة طويلة في الدول الصناعية، إلا أن تقنيات التنظيم والتسعير هي على الأغلب نتاج حوادث تاريخية مبنية على تطبيق غير

بقلم : نايف العبادي
الأردن

كيف استغلال الغاز الطبيعي



- وحدة رفع الغاز.

الكتب الهندسية لا تكفي لمعالجة مثل هذه المسائل، فالأمر يتطلب إطار عمل شامل من التحليلات التي يمكن تطبيقها بشكل معقول على الظروف الاقتصادية والتقنية الخاصة بالغاز.

وفيما يتعلق بالعرض والطلب على الغاز فإنهما يتوزعان بشكل غير عادل ما بين الدول، ففي عام ١٩٨٩ كانت أكثر من ٥٠٪ من احتياطات العالم من الغاز الطبيعي المؤكدة، والبالغة ١٦١ تريليون متر مكعب، تقع في الدول النامية ومن ضمنها دول أوبك، في نفس الوقت فقد بلغ استهلاك هذه الدول ما نسبته ١٧٪ من استهلاك العالم الكلي للغاز. ولقد بلغ المعدل العالمي للاحتياطات المؤكدة إلى الإنتاج الحالي ٥٤ عاماً تقريباً مقارنة مع

٤٥ عاماً بالنسبة للنظ، وهناك اختلاف كبير في هذا المعدل ما بين الدول ويتراوح هذا الاختلاف من حدوده الدنيا البالغة ١٢ عاماً في أمريكا الشمالية إلى مستوياته العليا البالغة ١٥٤ عاماً في نيجيريا و٥٧ عاماً في إيران و٦٣ عاماً في قطر. وتشير هذه الأرقام بأن هنالك مجالا مهماً للنمو السريع في

استهلاك الغاز في العديد من الدول خاصة في العالم النامي.

إن إمكانات النمو لإنتاج واستهلاك الغاز الطبيعي أكثر وضوحاً في الدول النامية منها في الدول الصناعية، فمن المتوقع أن ينمو الطلب العالمي على جميع أشكال الطاقة حتى العام ٢٠٠٠ بمتوسط معدل



- محطة التجميع.

النامية خلال الفترة ذاتها بما نسبته ٨٪ ووصل إلى ٣٣٢ بليون متر مكعب، أي زاد عن ضعفي مستواه في عام ١٩٧٥. وخلال تلك الفترة أيضاً قامت دول الأوك تحديدًا بالتخفيض فعلياً من إحراق الغاز بهدف التخلص منه، كما قامت بزيادة استهلاكها من الغاز الطبيعي.

وفي عام ١٩٨٨م تم إعادة حقن ما يقارب ٢٠٩ بليون متر مكعب من أجمالي إنتاج الغاز في باطن الأرض بسبب عدم القدرة على استغلاله، وكانت الجزائر، والولايات المتحدة، وكندا، وفنزويلا، وإيران، مسؤولين عن ما يقارب ٨٠٪ من إجمالي الغاز المعاد حقنه في الحقول. وهبط أيضاً مقدار الغاز المحرق بهدف التخلص منه في عام ١٩٨٨م إلى ٩٢ بليون متر مكعب من مستواه الذي وصل في عام ١٩٨٠ إلى ١٦٤ بليون متر مكعب، أي بما يقل عن ٤٪ من الإنتاج

سنوي مقداره ١٦٨٪ تقريباً مقارنة مع ٣٪ سنوياً في الدول النامية تقريباً حيث يتوقع أن يصبح الغاز الطبيعي في الأخيرة: الوقود الأسرع نمواً، باستهلاك يتزايد بنسبة ٨٪ سنوياً. وبمعدل النمو هذا فإن حصة الغاز الطبيعي في الاستهلاك الكلي للطاقة سوف تزيد من حوالي ١٠٪ في عام ١٩٨٨ إلى حوالي ١٨٪ في عام ٢٠٠٠.

إنتاج الغاز الطبيعي:

ارتفع الإنتاج الإجمالي العالمي والإنتاج المسوق للغاز الطبيعي ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨م بمعدل سنوي بلغ ٣٪ ووصل إلى ٢٣ تريليون متر مكعب، ومع ازدياد إنتاج الغاز ازدادت أيضاً نسبة إنتاج الغاز إلى إنتاج النفط، ووصلت هذه النسبة إلى ٥٩٪ في عام ١٩٨٨م. وقد نما الانتاج المسوق في الدول

الإجمالي. وكانت دول الأوك أيضاً مسؤولة عن ٤٩٪ من الإحراق الإجمالي العالمي للغاز الهادف للتخلص منه.

وقامت الدول النامية كمجموعة - ومن ضمنها دول الأوك - بتسويق ٤٠٪ من إنتاجها الكلي الإجمالي، أما الباقي فقد أحرق بهف التخلص منه أو أعيد حقنه في الحقول. أما في الدول الصناعية فإن معدل الانتاج المسوق إلى الإنتاج الإجمالي كان أعلى بكثير، ووصل إلى ٨٣٪ وفي دول أوروبا الشرقية كان هذا المعدل عالياً جداً حيث وصل إلى ما يقارب ٩٧٪.

أما في ما يتعلق بتوزيع إنتاج الغاز الطبيعي عبر الدول المختلفة فقد كان لدى الاتحاد السوفيتي السابق أعلى إنتاج للغاز، ويقدر بما نسبته ٤٠٪ تقريباً من اجمالي العالم، وتتبعه الولايات المتحدة بنسبة ٢٤٪ من الإنتاج الإجمالي، وتليهما هولندا التي تأخذ الترتيب الثالث كمصدرة للغاز وينسبة ٣٪.

استهلاك الغاز الطبيعي:

يصل استهلاك الغاز الطبيعي إلى ما نسبته ٢٠٪ من إجمالي الاستهلاك العالمي من الطاقة التجارية؛ وتراوحت هذه النسبة في دول أوروبا الغربية ما بين ١٥ إلى ٢٥٪ وبلغت في الولايات المتحدة حوالي ٢٠٪ وبقيت كذلك لعدة عقود متوالية، وتجاوز استعمال الغاز الطبيعي ما نسبته ٢٥٪ من استهلاك الطاقة التجارية في العديد من الدول النامية ومنها الباكستان والأرجنتين والمكسيك.

وقد شهد عقدا الستينيات والسبعينيات نمواً سريعاً في استهلاك الغاز، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى أن سعر الغاز كان منافساً مقارنة مع سعر النفط. ومع ارتفاع أسعار النفط والغاز معاً في نهاية السبعينيات، وتباطؤ نمو الطلب الكلي على الطاقة، فإن النمو في استهلاك الغاز تباطأ أيضاً ليصل إلى معدل سنوي مقداره ٣٪ وذلك ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨.

وقد تصدر الاتحاد السوفيتي السابق دول العالم في استهلاك الغاز بنسبة بلغت ٥٣٪ من استهلاك

العالم الإجمالي، وكان ذلك نتيجة قيام الاتحاد السوفياتي السابق خلال الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٨٥ بزيادة معدل استهلاكه ليصل إلى ٦٣٪ سنوياً، وتليه أمريكا الشمالية كثاني أكبر مستهلك للغاز الطبيعي بنسبة بلغت ٢٤٪ من استهلاك العالم. وزادت أوروبا - ثالث مستهلك رئيسي للغاز في العالم - استهلاكها من الغاز الطبيعي بنسبة ١٢٪ من الإجمالي العالمي بمعدل بلغ ٣٪ سنوياً، وكان ذلك بشكل أساسي بسبب الزيادات في كل من فرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة. أما في اليابان فقد تضاعف استهلاك الغاز بما يزيد عن أربع مرات ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٨ ويعود ذلك بشكل أساسي إلى المقادير الكبيرة المستوردة من الغاز الطبيعي المسال (LNG).

وكان النمو الأكبر في استهلاك الغاز ما بين عامي ٧٥ - ١٩٨٥م في الدول النامية حيث تضاعف الاستهلاك تقريباً ليصبح ١٤٪ من استهلاك الغاز العالمي في نهاية الفترة أعلاه. وتزايد استهلاك الغاز الطبيعي بمعدلات سنوية بلغت ١٦٪ في أفريقيا، و ١٠٪ في الشرق الأوسط، و ٥٪ في أمريكا اللاتينية. ومن المتوقع خلال ما تبقى من عقد التسعينيات أن ينمو استهلاك الغاز للدول النامية بمعدل أعلى من أي مصدر طاقة آخر ويمعدل من المتوقع أن يصل إلى ٨٪ سنوياً. ويعود هذا بشكل رئيسي إلى الطلب المتوقع من قبل مستهلكي الطاقة الحاليين الذين يمكن أن يتحولوا إلى الغاز.

وبسبب خواص الغاز كنحد المواد المدخلة في الصناعة، وكوقود نظيف يمكن بسهولة إحلاله بدل مشتقات البترول، فقد دخل الغاز بقوة في كافة القطاعات المستهلكة للطاقة، باستثناء قطاع النقل، ويعتمد معدل تغلغل استهلاك الغاز الطبيعي في مختلف القطاعات المستهلكة للطاقة على اقتصاد الدولة، وعلى وضع الطاقة والصناعة فيها، وكذلك على الأحوال المناخية والديموغرافية فيها.

وتعتبر سوق الصناعة صاحبة الطلب الأكبر على الغاز، وهي - بشكل عام - تعتبر المرحلة الأولى للتنوع

في عملية تطوير صناعة الغاز - ففي عام ١٩٨٦ كانت هذه السوق مسؤولة عن ٢٨٪ من الطلب العالمي على الغاز، ومن المتوقع أن تزيد حصتها مع استغلال الغاز كمادة خام لإنتاج الأسمدة والميثانول، كما تستهلك هذه السوق حالياً ما نسبته ٦٪ من الاستهلاك الكلي من الغاز الطبيعي.

ويوصل استهلاك سوق الطاقة الكهربائية إلى ما نسبته ٢٥٪ من الاستهلاك الكلي للغاز ومن المتوقع أن تزداد هذه الحصة مع استعمال تكنولوجيا التوربينات الغازية الجديدة. وتعتبر اليابان حالة استثنائية حيث أن ٧٥٪ من استخدام الغاز فيها كان في قطاع الطاقة الكهربائية، ويعود ذلك بشكل رئيسي لأسباب بيئية. أما حصة الطاقة الكهربائية من الغاز في الدول الصناعية الأخرى فهي أقل، فعلى سبيل المثال تقدر في الولايات المتحدة بما نسبته ١٤٪ وفي أوروبا ١٢٪. أما في العديد من الدول النامية ذات الاقتصاديات الأقل تنوعاً فإن قطاع الطاقة الكهربائية فيها يعتبر قطاعاً كبيراً متنامياً، وهو غالباً ما يكون مسؤولاً عن ٣٠٪ من الطلب على الغاز.

ويعتبر طلب القطاع التجاري والسكني على الغاز من أجل التكييف، وتسخين المياه، والتدفئة كبيراً وخاصة في الدول الصناعية، ويقدر استهلاك هذين القطاعين ما نسبته ٢٦٪ من الاستهلاك العالمي للغاز. ويعتبر المناخ، وكثافة الإسكان ومستوى الدخل، من المحددات الرئيسية لدى تغلغل الغاز في القطاعين السكني والتجاري. ويبقى سوق الغاز السكني في الكثير من الدول الصناعية السوق المتنامية الرئيسية. ويشمل السوق التجاري استخدام الغاز، في المكاتب، والفنادق، والمدارس، والمحلات التجارية. أما في الدول النامية فمع جواها الدافئ إلا أن استخدام الغاز التجاري والسكني قليل نسبياً. ومع ذلك وفي دولة كالباكستان، فإن القطاعين التجاري والسكني مسؤولين عن حوالي ١٥٪ من إجمالي الطلب على الغاز فيها.

إن نمط استخدام الغاز في الدول النامية مختلف جداً عن الدول الأخرى حيث تستعمل حصة كبيرة من

الغاز - تصل إلى ما نسبته ٩٠٪ في قطاعي الصناعة والطاقة الكهربائية. ففي الباكستان على سبيل المثال: ٢٥٪ من استهلاك الغاز هو في قطاع الطاقة الكهربائية، و٢٥٪ في الصناعة، و١٦٪ في إنتاج السماد، و١٤٪ في القطاعين التجاري والسكني.

تكاليف استغلال الغاز الطبيعي:

يمكن تقسيم نظام عرض الغاز إلى أربعة مراحل مترابطة هي: الاستكشاف، الاستغلال والإنتاج، النقل، التوزيع، وعلى عكس النفط فمن النادر أن يستخدم الغاز فوراً بعد إنتاجه. وإن استهلاك أول كمية من الغاز عادة ما تتطلب نفقات مبدئية كبيرة تُنفق على شبكة كاملة من معدات الاستكشاف، والإنتاج والنقل، والتوزيع. ثم بعد ذلك فإن استهلاك مقادير إضافية من الغاز يتطلب نفقات إضافية صغيرة حتى يتم الوصول إلى الطاقة القصوى للنظام. ويسبب هذا النمط من الاستثمار المتكثف على مراحل فإن واحداً من أكبر مصادر الصعوبات في تحليل تكاليف عرض الغاز هي أن هذه المراحل جميعها متداخلة، وأن البنية التحتية للغاز وحتى يصل إلى رأس الصاروق يجب أن يتم التخطيط لها بطريقة تكاملية، ولا تتواجد مثل هذه المشاكل في حالة النفط.

وهناك صعوبات كبيرة من الأموال في الفترة المبدئية من الإنفاق على كل من الاستكشاف، والتطوير، والنقل، والتوزيع، ومن الممكن أن يستغرق النظام الكلي الذي يغطي المراحل الأربعة هذه في أي مكان كان من خمس إلى عشرة سنوات، ويعتمد ذلك على مدى التعقيد الفني للحقل، وحجم النظام، واقتصاديات المشروع، وإدارة إمكانات المؤسسات المسؤولة عن تطبيقه.

وتهدف نشاطات المرحلة الأولى ألا وهي الاستكشاف إلى تحديد ما إذا كان الحقل النفطي أو الغازي موجوداً في منطقة ما أم لا، وإذا كان موجوداً يصبح هدف هذه النشاطات التأكد ما إذا كان الحقل كبيراً منتجاً يستحق الاستغلال أم لا، وعادة ما يبدأ

والمنتجات الثانوية الأخرى للغاز مثل الغاز النفطي المسال، والبنزين، هي عمليّة صعبة. واستخلاص الغاز المرافق غالباً ما يعتمد على إنتاج النفط، ومن الممكن أن تحدد الكفاءة الفنية في استخراج النفط مقدار الغاز المنتج. وفي بعض الحالات، يكون من الضروري إعادة حقن الغاز لزيادة النفط المستخرج، الأمر الذي يؤخر الاستفادة من الغاز، وذلك فإن التخصيص المناسب للتكاليف يعتمد على الظروف الخاصة بكل حالة.

والمرحلة الثالثة من استغلال الغاز هي نقله من الحقل، أو من مصنع المعالجة إلى المدينة حيث تتواجد أماكن الاستهلاك. إن الاستثمارات في وسائل نقل الغاز كبيرة، والتكاليف مربوطة باقتصاديات الحجم الكبير. وتعتمد هذه التكاليف بشكل أولي على قطر خط الأنابيب الذي هو دالة في أعلى مستوى للطلب، وكذلك في طول خط الأنابيب. وبشكل عام تُستعمل طريقة التكلفة المضافة في تقديرها.

والمرحلة الرابعة هي توزيع الغاز إلى المستهلكين النهائيين. وتختلف تكاليف التوزيع حسب حجم وطبيعة طلب العملاء. وفي حين أن تكلفة توصيل الغاز إلى مصنع توليد كهرباء تعتبر ضخمة، فإن التكلفة المضافة للمتر المكعب الواحد منخفضة إلى حد بعيد بسبب اقتصاديات الحجم الكبير. ومن ناحية أخرى فإن تكلفة التوزيع للقطاع السكني والتجاري مرتفعة كثيراً بسبب صغر حجم الطلب من قبل هذا القطاع نسبياً. والاستثمار في التوزيع يجب أن يبنى على أساس مستوى الطلب الأعلى في النظام، وبشكل عام، فإن تكاليف التوزيع تكون حساسة للمقادير المتوسطة والكبيرة من الطلب، ولكثافة السكان، وللخصائص الفنية للنظام (على سبيل المثال، إذا ما كان يستخدم خطوط أنابيب معدنية أم بلاستيكية). وهنا مرة أخرى يعتبر استخدام أسلوب التكلفة المضافة بشكل عام مناسباً.

الاستكشاف بدراسة المعلومات الجيولوجية المتوفرة ومن ثم تتبعها المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية، التي تحدد فيما إذا كان حفر الآبار الاستكشافية مبرراً. وتكلف البئر النموذجية القريبة من الشاطئ ما بين ١٠ - ١٥ مليون دولار، بينما من الممكن أن تتراوح تكلفة البئر البعيدة عن الشاطئ ما بين ١٥ - ٣٠ مليون دولار.

ومن التعقيدات التي تواجه عملية تقدير تكاليف الاستكشاف من أجل استغلال الغاز أنه غالباً ما يتم العثور عليه من قبل شركات النفط التي تحفر بحثاً عن النفط، وهذا يجعل تقسيم التكاليف ما بين النفط والغاز صعباً. وعندما يتم إيجاد الغاز خلال عملية البحث عن النفط فإنه من الممكن أن تعزى كافة تكاليف الاستكشاف إلى النفط، وهناك بالطبع مناطق غازية تبحث الشركات فيها وهي تعرف أنها سوف تجد الغاز فقط.

المرحلة الثانية من نظام عرض الغاز هي عملية الاستغلال والإنتاج وهذا يشمل الحفر، وتحضير الحقل، وتجميع الغاز في الحقل، وضغط الغاز، وفصل سوائل الغاز الطبيعي، ومعالجة الغاز، وهدف هذه العمليات كلها هو إنتاج غاز عالي الجودة (جودة خطوط الأنابيب) وبشكل يفي بالمقايير المتعاقد عليها، وبمتطلبات الجودة والضغط أيضاً. إن تكاليف الاستغلال والإنتاج هي دالة في كل من عدد الآبار الكافية والضرورية للمشروع في استغلال الحقل، ومواقع هذه الآبار (بُعدها عن السوق، وفيما إذا كانت بعيدة أو قريبة من الشاطئ)، ووضعية المكامن، والبنية التحتية على السطح الضرورية لأغراض التجميع، والفصل والمعالجة، وقياس الأبعاد، وتعتمد الأخيرة بشكل كبير على البعد ما بين البئر والأخرى، وعلى نوعية وجودة الغاز. وتعتبر تكاليف الاستغلال والإنتاج دالة متزايدة مع عدد الآبار وهجم الإنتاج، ولكنها دالة متناقصة مع الإنتاجية وجودة الغاز.

إن تقسيم تكاليف الاستغلال والإنتاج ما بين النفط والغاز المرافق له، وكذلك ما بين الغاز الصافي

المغنيسيوم وأثره في الصنـ

شق المغنيسيوم طريقه الى الفضاء ايضاً ٠٠ ولم يحتل مكانه في الاجهزة الفضائية بفضل خفة وزنه ومئاته فحسب بل ولكون قابليته على امتصاص الحرارة قد جعلت من سطوحه غير ساخنة جداً في الوقت الذي تحتفظ فيه هذه المادة بمئاتها وعدم هشاشتها بدرجات الحرارة الواطئة، يضاف الى ذلك ان هذا العنصر ويخالف الحديد والالنيوم يتحمل الانخفاضات الحادة في الضغط دونما تشويهات في شكله.

كانت شمة مشكلة قد نشأت مع نشوء الطيران المائي أو البحري، فقد كانت اولى هذه الطائرات في هذا المجال تعاني من ماء البحر المالح الذي ينخر حتى هياكل السفن البحرية، ولواجهة هذه الظاهرة استخدمت اساليب وقاية (كهربائية - كيميائية) لا يستعاض فيها عن المغنيسيوم، وهكذا ساعد هذا العنصر على انقاء الصدأ في المنشآت التقنية المستخدمة بالصناعة النفطية تحت سطح الماء في بحر قزوين ويسر استغلالها مدة اطول تحت سطح الماء مما وفر مبالغ كبيرة سنوياً.

ان صيانة الهياكل وحمايتها من التآكل والصدأ ضرورية ليس في البحر فحسب، بل وتحت سطح الارض اذ تسري تيارات مائية سائبة يمكن ان تلحق ضرراً فجائياً بوسائل المواصلات كما يمكنها ان تعمل على تصدية كابلات الطاقة الكهربائية الممتدة تحت سطح الارض، وتجنيب الكوارث تريب بأسلاك ووسائل الاتصال مصعدات (أنودات) مغنيسيومية يتولى فيها العنصر وظيفة استقطاب الشرار حامياً بذلك شبكات المنشآت، وتلقى خاصية المغنيسيوم في بعث تيار كهربائي في ظروف معينة بعض التطبيقات، وعلى سبيل المثال فقد صنعت نضائد (بطاريات) تبيد بالعمل حال تسرب ماء البحر اليها وهي تستخدم اليوم لافراض الانقاذ.

يترايط تاريخ عنصري المغنيسيوم والالنيوم ترابطاً وثيقاً، فقد عرفهما العلم في آن واحد تقريباً ٠٠ وتكاد خواصهما واستعمالتهما ان تكون متقاربة ومتشابهة، فما ان أصبح الالنيوم المادة البنائية الرئيسة في صناعة الطائرات حتى توجه العلماء الى مادة اخرى اكثر خفة - ونعني بها المغنيسيوم ٠٠ ويمجد ان مرت عشر سنوات على تخليق أول طائرة مصنوعة من سبائك الالنيوم حتى أخذ المغنيسيوم يزحف ببطء ولكن بثقة ليسخل عالم الصناعة وبكل تحد.

وكما اتضح فقد كانت إمكانات المغنيسيوم عظيمة للغاية، فبواسطته يمكن صنع مواد جديدة وخفيفة تستخدم في صناعة الطائرات والسيارات وسلك الحديد ووسائل النقل الاخرى السائرة فوق سطح الأرض أو تحت سطح الأرض كما في الميتر، وكذلك في صناعة الماكائن والطاقة الكهربائية، ٠٠ والحقيقة ان المغنيسيوم لا يخفف من وزن الماكائن والهياكل فحسب، بل يرفع من انتاجية واسيائية حركة الماكائن والاجهزة الآلية.

خلال سنة ١٩٣٥م تم صنع أول طائرة يتكون ثلاثة ارباعها من سبائك المغنيسيوم - وقد مرت الطائرة بجميع التجارب وعملت فترة طويلة في ظروف قطبية صعبة. وقد اتاح المغنيسيوم تخفيف وزن العديد من الاجزاء وتحقيق اقتصاد وتقليل بالكف بنسبة تتراوح ما بين (٢٠ - ٣٠٪)، كما اكتشف ان المغنيسيوم له افضليات اخرى، فسبائكته تتحمل الترددات بشكل افضل، ومن السهل صنع القواطع منها، وهي اسرع من الالنيوم مرتين وتستهلك معدات صب أقل بعض الشيء.

هذا وصنعت بالأعوام الأخيرة سبيكة من المغنيسيوم والثوريوم والنيوبيوم والأتريوم يمكن الافادة منها في درجات حرارة تصل الى (٣٧٥) درجة مئوية، وفي حالات الاحماء القصير الامد الى (٤٥٠) درجة مئوية). وغالباً ما تستخدم سبائك من المغنيسيوم والزركونيوم والثوريوم لانها تتميز بخاصية عالية لتحمل الحرارة والمتانة الآلية. كما صنعت سبيكة من المغنيسيوم والزركونيوم تتصف بامتصاص الترددات بشكل جيد.

بقلم : معمر بن زهران بن محمد العبري
- سلطنة عمان -



صناعة الحديد

والطباعة من الاستخدامات المهمة للمغنيسيوم فمن هذا المعدن تحضر رقائق طبع (كليشات) ذات نوعية عالية لا تدانيها الرقائق المصنوعة من النحاس أو الزنك، علماً أن الوقت اللازم لصناعة كليشات المغنيسيوم أقل مما تستغرقه صناعة كليشات الزنك بمقدار مرتين.

وكما هو معلوم فإن القلوس (الحيال) الحديدية ضرورية في كل حطب وصوب. لكنها كما نعرف سريعة الاستهلاك من جراء الاحتكاك والاهتراء. وقد كانت الدهون والشحوم تستخدم سابقاً لتقليل الاحتكاك، ولكن الحداثة كانت تتجمع وتختلط بالشحوم لتكون مادة ثقيلة تعيق الحركة، فتوجب لف القلوس على اسطوانات وبكرات مصنوعة من مادة خفيفة لا تسبب احتكاكاً كبيراً، وهنا جاءت سبيكة المغنيسيوم لتلبي هذا الغرض المطلوب. وقد ثبت أن القلوس العاملة على بكرات مغنيسيومية تنوم ثلاث إلى أربع مرات أطول.

نجح استخدام المغنيسيوم أيضاً بالأعمال الجيولوجية. وقد ساعدت سبائك المغنيسيوم على تخفيف وزن معدات الحفر وتنفيذ الحفريات إلى مسافات أعمق، وخفف بالتالي من نفقات نقل وصيانة المعدات.

مع كون الألمنيوم من أوسع المعادن انتشاراً في الأرض إلا أن ذلك لا يعني أن صناعة الألمنيوم لا تعاني من مشكلة الخامات. فقد أدى استخدامه الشديد إلى نضوب القسم الأكبر من النوعيات الجيدة للبوكسيت، يضاف إلى ذلك أن مكائن خامات الألمنيوم تقع في الغالب الأعم بعيداً عن أماكن تصفيتها وتصنيعها. بينما نجد أن خامات المغنيسيوم مازالت على العكس من ذلك غير ناضبة وتحت الطلب دائماً. ولكن يجدر القول أن استخراج معدن المغنيسيوم من المتاعم ما انفق يكلف غالباً، وأن سعره في السوق العالمية اليوم أعلى من سعر الألمنيوم بأضعاف مضاعفة. وهذا ما يجعل الصناعيين يحفظون إزاء العديد من مجالات استعماله. بيد أن

لدلائل هبوط كلفته باتت تلوح في الأفق بفضل تحسن تكنولوجيا استخراجه. ويتوقع خبراء مكتب المناجم الأمريكي أن سعر الباون منه سيصل (٣٠) سنتاً في حدود سنة ٢٠٠٠، فيما سيكون سعر باون الألمنيوم حوالي (٤٠) سنتاً.

ولأن المغنيسيوم أخف من (صنوه الأكبر) بحصوله الثلاث ويخفف في متانته فقد جعلت هاتان الصفتان النوعيتان منه مادة بنائية تركيبية عزيزة. ثم لكونه أخف فإن الكيلوغرام الواحد منه يساعد على صنع أجزاء أكثر مما يمكن صناعته من كيلوغرام الألمنيوم.

إن نضوب الألمنيوم وبعد مكائمه لا يعدان العاملين الوحيدين الباعثين على ازدهار صناعة المغنيسيوم، بل إن الألمنيوم نفسه يتوقف على المغنيسيوم. وكما هو معلوم فإن المغنيسيوم يعد من المكملات الواسعة للألمنيوم. وهذا يعني أنه كلما صنعنا المزيد من سبائك الألمنيوم فانتنا سنحتاج إلى المزيد من مركبات المغنيسيوم. ولهذا لا يحسن التحدث عن «تنافس» المعدنين فحسب بل وعن «ترابطهما» وتعاونهما» مما يتفق ووصفهما بالمعدنين الصنوبيين.

الخفافيش

أقدم رادار في الطبيعة

وقالوا في اللغز وهم يعنون الخفاش:

أبى شعراء الناس لا تخبروني

وقد نهبوا في الشعر في كل مذهب

بجلدة انسان وصورة طائر

واظفار يربوع وأنياب ثعلب

الخفاش .. والمعتقدات:

ونظرا لصفات الخفاش الفريدة فقد نسجت حوله الكثير من الخرافات والخزعبلات والمعتقدات. وفي مجال السحر والشعوذة نجد ان الخفاش مكان الصدارة بين الحيوانات الاخرى. فالبعض يعتقد ان روح الانسان تنطلق من جسده عند النوم وغالبا ما تكون في صورة خفاش، ويعتقد بعض اهالي جزيرة صقلية ان الانسان اذا قتل أو انتحر فإن روحه تبقى فترة من الزمن غالبا على صورة خفاش.

وأما الفنانون في العصور الوسطى في اوروبا فقد رمزوا الى الشيطان بشكل يشبه الخفاش بأذانه المديبة واجنحته الجلدية وعلى عكس ذلك يكون الخفاش حيوانا مقدسا عند بعض الشعوب مثل الصين بل وإن بعضهم يعتقدون أن من يقتل خفاشا يصاب بالعمى. أما البوذيون يتغالون بمرآه.

وقد اتخذ الناس قديما من الخفاش علاجاً كما في مخطوطة «بردى ايبرس». أما الطبيب العربي «ابن البيطار» فيذكر ان طبخ الخفاش في زيت السمسم يصبح علاجاً لحالات عرق النساء والتقرن. أما الهنود فيعتقدون أن عظمة جناح الخفاش تسهل عملية الولادة. بينما في صين مصر اتخذ البوذي الخفاش علاجاً لأمراضهم. وفي العصور الاولى كان الانسان يتغذى على اجزاء

يبيع الخفاش مجموعة متميزة من عالم الحيوان لما له من خصائص وصفات فريدة، فهو حيوان ثديي ولد ويرضع صغاره، جسمه مغطى بفرو، له القدرة على الطيران، وأذنه الخارجية كبيرة، مثل بوق السمع، وتتنوع اشكالها في الانواع المختلفة ولها القدرة على استقبال الاصوات فوق السمعية، والخفاش القدرة على استعمال صدى الصوت في تحديد اماكن فراشه وتجنب العوائق التي تصادفه عند طيرانه في الظلام، وملاحة الخفاش من الدقة لدرجة انه يكون صورة عقلية لما حوله، تكون في مثل تكامل الصور المرئية من عين الحيوانات الارضية.

والخفاش غالبا ليلى النشاط، وفي النهار يتخذ من الهياكل والمعابد القديمة والجحور في المنازل والمباني على اختلافها والخراب والاشجار والقصور القديمة المظلمة أو قد يتخذ من اعشاش الطيور المهجورة مأوى له، كذلك تسكن الطوايط (الخفافيش) المغارات وهي بذلك تمثل الجسر الذي يصل سلسلة، تغذية الكائنات الحية داخل المغارة بغيرها من الكائنات فوق سطح الارض، حيث ان الخفاش يغادر جحره المظلم مرارا وتكرارا بحثا عن الغذاء وشريك الحياة، وتحت مهاجع الطوايط تتراكم مفرزاتها وفضلاتها الحاوية على كسيات كبيرة من العناصر الغذائية تقيم أود العديد من الكائنات الأخرى، ينام إما بصورة فردية أو في جماعات صغيرة أو كبيرة متجاورة وهي معلقة رأسا على عقب في مجثمها، وتجنبتها ملوثة حولها، اما الرأس فهو يتحنى دائما على الصدر، وفي الشتاء قد يستمر الخفاش في جالة سبات على هذا الوضع لعدة شهور.

يقول «الجاحظ» عن الخفافيش:

«ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسط الفياقي، واقلب النخل وأعالى الأغصان ودغل الرياض، وصعد الصخور، وجرأش البحر. تطلب مساكن الناس وقربهم ثم اذا ضاربت إلى بيوتهم وقربهم، قصصت إلى أرفع مكان وأخصنت، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجتياز، وأعرض الحوائج».

بقلم: د. رمضان مصري هلال

كلية الزراعة - كفر الشيخ - مصر



- اختبار

الجهان الصوتي والسعي الخفاش.

معيّنة من الخفاش لغرض ان تزداد فطنتهم ويقلّتهم وحرصهم واعطائهم القدرة على الابصار في الظلام وقد كان بعض المفاسرين، يربط المرء منهم قلب خفاش الى ذراعه ليكون اكثر حذرا وانتباها من رفاقه. ويعتقد بعض الفلاحين ان تعليق الخفاش ميتا فوق الباب يمنع الحسد، ويدرك الكوارث ويجلب الحظ الوفير.

التناسل والولادة:

في فصل الخريف وقبيل فترة البيات تصدر الذكور والاناث دعوة للقاء والتناسل ويكون هناك غزلا رقيقا بين الجنسين وتطارد الذكور - التي لا يظهر بينها تنافس أو يبدو عليها علامات الفيرة - الاناث وتلاحقها وتطاردها في الجو وتمسك بها ويسقط الاثنان على الارض ويتم التزاوج، وقد تتابع عدة ذكور لتلقيح انثى واحدة. ثم تتجمع الاناث وحدها في اماكن بعيدة عن الذكور التي لا تجرؤ على الاقتراب منها.

وفترة الصل حوالي (٥ - ٦) اشهر، وتضع معظم الاناث بطنا واحدة في السنة تد فيها فردا واحدا، وفي بعض الاحيان تضع الانثى قريتين من الصغار ويبلغ طول المولود (٦ - ٧ سم)، ويولد مقفل العينين، ويرجع الصغير على بطن امه حتى يصل إلى الثدي فيعلق به وتوجد الاثداء في المنطقة الصدرية وقد توجد اخرى في المنطقة الاربية، وهذه الأخيرة لا تمت للرضاعة بصلة، ولكنها اداة يتعلق بها الصغير اثناء طيران امه، وتحتضن الأم صغارها وترعاها حتى تصبح قادرة على الاعتماد على نفسها.

وفي هذا يقول «الجاحظ»:

«وإذا قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به عرفت

- الخفاش وهو معلق في سقف مدخل أحد المناجم.



- الخفاش الذي يتغذى على الفواكه في شرق أفريقيا.



تلتقطه إذن الخفاش الحادة السمع .
ومن واقع الوقت الذي يستغرقه
الصدى عند ارتداده، يمكن للخفاش
أن يحدد تماماً بعد وسرعة تحرك
الهدف . ويعتقد أن الخفاش ليس له
القدرة على الكشف عن الأجسام
التي تبعد عنه بمسافة تزيد على
٢٠ متراً .

ولقد أدت الحقيقة الماثلة في
استطاعة الخفاش في أن يتلمس
طريقه في الغمض بمهارة
باستخدام فوق السمعية،
أدت تلك الحقيقة إلى فكرة
تمكن الأعمى أيضاً من الكشف عن

العقبات التي تعترض طريقه أثناء سيره .

الخفافيش وهي تطير حولنا قائنا لا نسمع لها أصواتاً،
وهي في الحقيقة تصدر أصواتاً عالية ولكن لا نستطيع
الاذن البشرية وكذلك بقية الحيوانات سماعها فسمعنا الله
اللطيف الخبير .

[تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من
شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أنه كان
حليماً غفوراً] (الإسراء/٤٤) .

الأهمية الاقتصادية للخفافيش وطرق المكافحة:

تهاجم الوطواط حداثق الفاكهة وتاكل لب ثمارها أو
تلتفها وتتركها فارغة معلقة بالأشجار، وتهاجم ثمار المانجو
والقشطة والشمش والخوخ والبرقوق والكشمش والبلح
وتسبب سقوط الكثير من ثمارها، كما تتغذى على العنب
والنوت والتبوق والجميز والبلح والفراولة والطماطم
والبانجان وغيرها .

- تسبب تشوه شكل الجدران وأرضية الاماكن التي
ترتادها بسبب تبرزها عليها، وينبعث من اماكن تجمعها
رائحة كريهة تعاقها النفس .

- تهاجم مخازن تخزين السكر في اماكن انتاجه
وتتغذى عليه وتلفه، أو تحوله الى كتل متماسكة نتيجة
اختلاطه باللعاب وتكسبه لونا اسمر قذراً مختلطاً بفصلات
الحيوانات، كما تلتف الزكائب والأجولة وتمزقها وتسبب لها
تلفاً كبيراً .

- في امريكا الاستوائية تعيش الخفافيش مصاصة
الدماء حيث تهاجم الطيور والثدييات وهي نائمة وتتغذى على
دمها وقد تقوم بنقل مسببات الامراض مثل مرض داء
الكلب .

- يوجد في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الكثير
من الخفافيش التي تتغذى على الرحيق وتقوم ببناء هياكل في

قرب (حدة) أسنانها، فعرفت أي نوع ينبغي أن يكون ذلك
العش، فتجعله إزماً، ولا تجعله عضاً ولاتتينا ولا مضغاً، كما
تفعل الهرة بولدها .

والخفاش يار بأبنائه الصغار وقال الشاعر:

اتخذ في حلة ما في الكراكي

لتأخذ فيك حلة الوطواط

وبالرغم من أن الخفافيش هي الثدييات المجنحة -
الوحيدة فأنها لا تستعمل منحة الطيران في الهجرة
باستثناء القليل منها مثل (الخفاش الاحمر، الخفاش ذو
الشعر القضي، الخفاش الاضيبي، الخفاش البرازيلي ذو
الذيل الحر) فإن معظمهم يقضي الشتاء في بيات شتوى .
وقد استطاعت الخفافيش الطيران بسبب وجود الجناح
الجيد التكوين (غشاء جناحي) الممتد بين العنق والاطراف
والذنب وأندمج أربعة اصابع مخيلية طويلة جداً، تبرز
الايهام من الصافات الامامية للجناحة، وتحمل مخالب
تساعد في المشي عندما لا تكون في حالة طيران .

أقدم زاده في الطبيعة:

ويعزى نجاح الخفاشيات الخارقة بالإضافة إلى قدرتها
على الطيران قدرتها على استعمال صدى الصوت في
تحديد الأماكن مما يساعد الخفاش في تجنب العوائق في
الظلام الدامس ومن أن تحدد أماكن الحشرات وتمسكها
بدقة ومن أن تجد طريقها في عمق المغارات . وذلك بأن
يرسل الخفاش أثناء الطيران، تياراً مستمراً من نبضات
صوتية ذات سرعات متباعدة، وتردد متغير أحياناً . وعندما
تصلب هذه النبضات إلى جسم صلب، يرتد منه صدى

١٢٦ - الخفاش المكسيكي

مصاص النماء.



تلقح النباتات.

- تتغذى الخفافيش على الحشرات وخاصة البعوض وذلك يلعب الخفاش دوراً هاماً من الأقلال من خطر الضفديات كما تلعب الخفافيشيات للمفترسة دوراً في الحفاظ على التوازن الطبيعي في البيئة والخفاشيات آكلة لا تشبع ولذا فإن أكلات الحشرات منها جمة النفع للإنسان لانها تقضي على الحشرات وتكفيه مؤونة حريها.

وذكر عنها الديرى

«لما كان الخفاش لا

يبصر نهاراً الشمس الوقت

الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو

قرب غروب الشمس لانه وقت هيجان البعوض، فان

البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو يماء الحيوان،

والخفاش يخرج طائبا للطعام فيقع طالب رزق على طالب

رزق فسبحان الحكيم».

- تتغذى بعض الشعوب على لحم الخفاش الكبير

(الوطواط) حيث كان من الاطعمة المفضلة عند كثير من

الشعوب، فيعتقد ان البابليين كانوا يتكون الوطواط المصرى

أكل الفاكهة، والهنود كانوا يتكون الثعلب الطائر (نوع من

الوطواط كبيرة الحجم يصل البعد بين جناحيه من ٦٢٠ -

١٥٠سم) ويؤكل الوطواط مشويا أو مطهيا.

- يعد بول ويراز الخفاش من اقوى المخصبات الزراعية

في البلاد الدافئة ففي كوبا وبعض جزر الهند الغربية توجد

بعض الكهوف داخل الاحجار الجيرية كانت تؤمها

الخفافيش منذ عصور بعيدة، وتراكت فيها اطنان من زبل

الخفاش، واختلطت بالجير المتساقط من تحلل جدران هذه

الجحور، وتكون من هذا سماد قوى يفضله المزارعون في

هذه البلاد على غيره من السماد، وباستمرار تكون هذا

السماد من زمن بعيد، لم تتضاعف خصوبة الأرض فحسب

بل ارتفع مستوى الجزر عن سطح البحر أيضا.

طرق مكافحة الخفاش:

في حالة الاهتداء الى اوكلارها:

تدخن اماكن تجمع الخفافيش بحرق زهر الكبريت

بمعدل ٢ جم منه مضافا اليه ١ جم من الشلطة السوداني

لكل متر مكعب من الفراغ مع استعمال مواقد بها فحم

نباتى أو قوالب أو خشب في هذا الغرض- وعند اجزاء هذه

العملية تسد جميع الفتحات والشبابيك والابواب، وكذلك

الشقوق الموجودة في الحوائط ولا تترك الا فتحة واحدة وهى المعتاد خروج ودخول معظم الخفافيش منها وذلك قبل اجراء العملية بيوم واحد مع ترك باب واحد يمكن للعمال القائمين بهذه العملية الدخول والخروج منه عند اجراء العملية. كما انه يمكن الاستعانة بمشععات وخيام التدخين في تنفيذ هذه العملية قبل اجرائها بيوم واحد.

وفي نهار اليوم التالى بعد تجمع الخفافيش في مكانه تسد الفتحة الاخيرة التى سبق تركها وتهيا الواقد المشتعلة وتوزع في اماكن متفرقة داخل المكان ثم يوزع زهر الكبريت المخلوط بالشلطة على العمال بحيث يلقى كل واحد منهم بما معه فوق النار مسرعا بالخروج من المكان ثم يعلق الباب محكما.

في حالة عدم الاهتداء الى اوكلارها:

تقاوم الخفافيش في هذه الحالة باستعمال الطعم السام المكون من العجوة الخالية من النوى مع مادة فوسفيد الزنك، ولتحضير هذا الطعم يزال النوى من العجوة ثم يضاف اليها فوسفيد الزنك وتمجن وتخلط جيدا خلطا متجانسا ثم يعمل منها كور بججم البرتقالة الصغيرة تعلق بالشمار بواسطة خيوط من الدويارة في اماكن ظاهرة من الاشجار بالنهار فتجذب اليها الحيوانات ليلا وتاكل منها فيقضى عليها.

بين السطور

حكايات من مارستان مصر

الحب والمال:

أن اصطنعه من وهمه الخاض ويظل يغذيه بالوساوس والهواجس حتى يسمن ويكبر ويملا حياته بالرعب وقد يؤدي الى إصابته بالجنون.

كان قسائماً مزمناً لكنه كان مستقراً يستطيع أن يمارس حياته العادية مع العلاج لكن التوبة المرضية تهاجمه بكل ضراوة في بداية الصيف كل عام مع بدء امتحان الثانوية العامة ولا تنتهي الا بانتهاء الامتحان فقد كانت عقدة طوال عمره في الثانوية العامة التي مكث فيها ست سنوات حتى عندما نجح فيها بتفوق والتحق بكلية الطب كان خوفه من الثانوية يعوقه عن دراسته حتى سبب له الجنون فلم يتم الدراسة واصبح نزول المصح.

المشكلة ان التوبة سابقاً كانت تنتهي بانتهاء الامتحان، الآن تنتظر النتيجة ثم التنسيق.

الاستاذ بافلوف:

- إن كلب الاستاذ بافلوف قام بدور في تطوير

كان يعاني من تخلف عقلي بدرجة كبيرة ولا يعرف من مفردات اللغة سوى كلمات بسيطة ينطقها بصورة معينة تحتاج لوقت لكشف غوامضها واجتلاء معانيها ومن طبيعة التخلف العقلي أن مريضه لا يعرف العدد واعتمدت على تلك الحقيقة العلمية البسيطة وأعطيته قطعة نقود صغيرة فوجئت به يلقيها على الأرض وي زمجر بكلمات ترجمتها تعني عدم الرضا مع بعض الأسباب القبيح ولم يسكت الا عندما اعطيته قطعة نقود كبيرة.

كانت فتيات كلية الآداب يدرسن علم النفس ويتدربن تدريباً عملياً في المصح العقلية ويسرن في جماعات وهن يرتدين أحدث الأزياء فوجئت به يترصد الفتيات على ناصية مبنى الادارة الرئيسى للمصح وهو يغازلهن بلفظه الخاصة وهو في قمة الشهوة ولا يتوقف عن الغزل الا إذا مرت معرضة قبيحة أو فتاة ليست في مستوى الجمال الذي يعشقه.

عفريت:

لكل انسان عفريته الخاض الذي يحشاه بعد

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

الطب النفسي أكثر من الاستاذ بافلوف
نفسه -



استطاع الاستاذ بافلوف
الحصول على لعاب الكلاب
بطريقة اقتصادية مبتكرة لا
تكلف شيئاً عن طريق
اضاعة بعض المصابيح
ودق بعض الاجراس وقد
تمكن من الحصول على
كمية كبيرة من لعاب
الكلاب بهذه الطريقة.

لكن الم يكن من الافضل
البشرية أن يحاول الاستاذ بافلوف
الحصول على اللبن البقري أو
الجاموسي بهذه الطريقة بدلا من الحصول على

لعاب كلب ليس منه اي منفعة بل إنه قد يسبب
الضرر إذا كان الكلب مصاباً بالسعار أو نوع معين
من الطفيليات والسؤال هو ما الذي كان يفعله
بافلوف بلعاب الكلاب؟

الشيء بالشيء يذكر:

من الذي يستطيع ان يقتلع الايمان من صدر
انسان؟

فريد وفرويد:

عندما ندخل على المريض في العيادة النفسية
كان يحمل معه تشخيصه فقد قال لي انه يعاني من
عقدة «فريد شوقي» فلما طلبت منه ان يزيدني
ايضاحاً أبدى دهشة كبيرة من انني لا اعرف «عقدة

الساعة الرنانة هي البديل العصري للديك فهي
التي توقظ النيام لصلابة الفجر وتخيل مصحة
للأمراض العقلية في مكان منعزل بعيد عن العمران
لا توجد فيها ديك ولا ساعات مع المرضى ولا حتى
مسجد قريب يؤذن فيه.

لرؤى تلك الاقسام وكانت جلسات الكهرباء تشبه حفلات مصارعة جماعية يختلط فيها الضجيج بالعنف بالتشنجات الرهيبة التي تحدث للمريض عقب إعطائه صعقة الكهرباء، وكان المرضى يرهبون تلك الجلسات ويكروهونها وخاصة انها تؤخذ في صورة جماعية فيشاهدنا المرضى الآخرين الذين سيأتى دورهم فيموتون من الرعب قبل أن تأتئهم الصاعقة.

تفتق ذهن المريض العقلي الذي يعانى من الفصام التفسخى ويكون فيه المريض أقرب للتخلف العقلى، عن حيلة طريقة لى ينجو من الصعقة الكهربائية بأن ذهن رأسه بمخلفات أدمية صلبة وكان منظره عجيباً ورائحة رهيبة أصر زميلنا على إعطاء المريض جلسة الكهرباء وهو بحالته تلك قائلاً للمريض «ان البراز موصل جيد للكهرباء وانه سوف يأخذ جلسة كهرباء مميزة» وقد كان لا ادرى حتى الآن من الانكى بعد أن تزوج الطبيب لخت المريض العقلي ومن منهما اصطاد الآخر، الطبيب الذى تزوج لخت المريض لم المريض الذى زوج اخته للطبيب؟!

فريد شوقى، وكاننا درسناها مع عقدة أوديب في الجزء الأول من الدراسات العليا ولما استبان جهلي تشكك في امكانية انني سوف استطيع علاجه بعد هذا الجهل المطبق لكنه تطوع ان يشرح ماذا تعنى عقدة فريد شوقى؟

فريد شوقى ممثل سينمائى كبير يظهر عادة في افلامه في صورة المجرم الشقي الذي يندم ويتوب في نهاية الفيلم ويتحسر على ما ضاع من عمره ويقول:

كل اصحابي اصبحوا اطباء ومهندسين فيما عدائ فقد أصبحت لصاً مجرمًا، أضاف المريض «إن هذا الاحساس أصبح يلزمني من مدة طويلة فقد اكتشف ان جميع اصدقائه القدامى قد تولوا مراكز مرموقة سواء فهو الفاضل الوحيد».

لم اعالجه لكنه امرضني فقد جعلني انظر لأصدقائى القدامى وقد أصبحوا من كبار اطباء الباطنة والجراحة عدائ فقد فشلت وأصبحت طبيبا نفسانيا وهكذا عرفت ماذا تعنى «عقدة فريد شوقى» بعد أن عانيت منها ومازلت اعالج.

أحلامه مر :

محكمة فرويد :

اعتقد أنه قد أن الاوان لعقد محاكمة للاستاذ فرويد غيابيا بتهمة تعاطى وترويج الافيون والكوكايين والدعاية لممارسة الرذيلة، أم أن هذه التهم تسقط بالتقادم و وفاة المجرم. اعتقد أن هذه التهم لا يجب أن تسقط بسبب بسيط أن تأثيرها مازال قائما لأن الاستاذ فرويد قد وضعها في ثوب نظرية علمية ومازال يسقط في براثنها الكثير من الناس ومازال

للمريض العقلى ذكاء من نوع خاص يدخل في دائرة الداء والطبيب النفسانى ذكاء من نوع خاص يتفق او يختلف مع ذكاء المريض العقلى وكانهما وجهان لعملة واحدة. كان زميلنا في المصححة العقلية يعتقد اعتقادا كبيرا في العلاج بالرجفات الكهربائية وكان يعطى جميع مرضى القسم منها بل انه احيانا يذهب الى الاقسام الاخرى التى يعمل بها اطباء آخرون لمجرد أن يعطى تلك الصعقات الكهربائية

الدين» وقال لآخر إنه يعاني من عقدة «الاربعة حرامي».

بعض الأطباء يعالجون المرضى بنظرياتهم أو بمعنى أصح يمرضون الأصحاء.

المختلفون في الأرض:

كان مريضاً في المصححة العقلية وفي نفس الوقت مريضاً باضطراب في الغدد الصماء والتخلف العقلي ولا أدري حتى هذه اللحظة كيف تمكن من الحصول على إجازة مدرسة التمرريض ومما يزيد الدهشة أنه رب أسرة.

كانت نوبته تبدأ في الثانية ظهراً عقب انصرافنا مما يخفف الرقابة على المصححة فيترك القسم في رعاية أحد المرضى المتحسنين ولا يحضر حتى غذاء المرضى.

وقفت قطعة من اللحم في حلق المريض العقلي ولم يفعل المريض المتحسن شيئاً حتى فاضت روحه واكتشفنا عدم وجود المريض في القسم فتتمت مجازاته بخصم شهر من راتبه ونقله خارج المدينة.

شاهدته يبكي بكاء مراً أو يضرب رأسه في الحائط ويلطم وجهه فاشفت عليه وجلست معه لكي يهدأ وطيب خاطرهم وعلنت استعدادي أنا وزملائي لتعويضه عن الخصم والتوسط لدى مدير المصححة لإلغاء النقل.

نظر إلي من خلال دموعه وقال لي وهو مندهش إنه لا يهجم الخصم ولا النقل ولو كان الأمر بيده لقتل نفسه لتسببه في وفاة المريض فلو كان موجوداً في النوبة لتمكن من تخليص المريض من قطعة اللحم أو على الأقل استدعاء الطبيب.

الفرويديون

الجدد - اسطورية -

قام اليلب النفسي الحديث على اكتاف الاستاذ فرويد وتابعه اوديب الذي التقطه فرويد من بطون الكتب اليونانية الصغرى وجعله بطلاً رغم انه ورغم انه السيدة المصونة «جوكاستا» امه بل انه اتهمها انها السبب في كل التحولات والصراعات النفسية التي تصيب الانسان السوى والمريض على حد سواء فيما يزعم انه «عقدة اوديب».

هل نستكين نحن الشرقيون ونترك الغرب يصنع لنا عقدة النفسية وامراضنا العقلية توطئة للسيطرة على عقولنا الواعية والباطنة وخصوصاً انه جعل الجنس محوراً الارتكازي الذي تدور عليه رضى الحياه كلها.

في محاولة رائدة لفتح علم نفسي شرقي أمسك استاذ الطب النفسي بكتب الف ليلة وليلة وكليلا ودمنة والسيرة الهلالية وعنترة بن شداد وكذلك التراث الفارسي والهندي واليابلي والاشوري والفينيقي واستخرج مئات العقيد النفسية الشرقية واصبح كل مريض يأخذ عقده مع نوانه المهدى أو مع جلسة الكهرياء فهذا المريض يعاني من عقدة «على الزيق» وهذا يعاني من «على بابا» وذلك من «علاء الدين» والى هنا اعتقد أن الأمر عاوى.

الغريب الذي أثار شكى وارتياحي في الاستاذ أنه قال لمريض إنه يعاني من عقدة «مصباح علاء

عامر بن الطفيل

كما يباهي بأنه فارس قيس فيقول:

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها
لهم ساحتها سهلها وحزونها
وقد نال آفاق السموات مجداً
لنا الصحون من أفاقها وقبورها

كما كان يباهي بكثرة غاراته على من حوله فيقول:
ونستلب الأقران والجرد كُلب
على الهول يمسفن الوشيح المقوم
ونحن صبيحنا حي أسماء غارة
أبال الحبالي غب وقعتا دما [٢]

ويباهي بكرمه [٤]، وبأنه ابن حرب [٥].

ومما يحفظ لعامر بن الطفيل قصته مع أعشي
قيس، ذلك لأن الأعشي قصد الأسود العتسي مباحاً،
ولكنه استتباً جائزته، فما كان من الأسود إلا أن قال:
ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضاً، فأسعاه
خمسائة مثقال دهنًا، وبخمسائة حلالا وعنبًا، فلما
مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة بن
علجة، فقال: أجرتني، فقال: قد أجرتك، قال: من الجن
والإنس قال: نعم، فقال الأعشي: ومن الموت، فقال: لا،
فكان أن تركه وأتى عامر بن الطفيل، فقال له: أجرتني،
قال: عامر: قد أجرتك، قال من الجن والإنس قال نعم،
قال: ومن الموت، قال: نعم، فقال الأعشي: وكيف
تجبرني من الموت، قال عامر: إن مت وأنت في جواربي
بعثت إلى أهلك الدية، فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
العامري، ويكنى أبو علي، وأبو عقيل في الحرب، ولقبه
الحرّ، والشاعر ليبد بن ربيعة هو ابن عمه، وصاحب
المعلقة المشهورة:

**عفت الديار محلها فمقامها
بمضى تلذ غولها فرجامها**

أما عامر فكان فارس القبيلة، وكان أعور، عقيماً
لا يولد له، ولم ينجب أولاداً، ولعل هذا كان يؤثر على
سلوكه، فقد اشتهر بالقفاظة والقسوة، والعيش بعمق
في الحياة الجاهلية، ولقد كان يتحدى حتى بما فيه من
عاهات فيقول:

**لبس الفتى إن كنت أعور عاقراً
جباناً، فما عذري لدى كل مخضّر
لعمرى، وما عمري علي بهين
لقد شان هو الوجه طعنة مسهر [٦]**

ومسهر الذي يتحدث عنه هو مسهر بن يزيد بن
عيد يغوث الحارثي، الذي غدر بعامر بن الطفيل، وكان
أن التحم معه في المعركة التي طعنه فيها مسهر بالرمح
في وجهه، فكان أن فلق وجنته، وشق عينه، وقد عاش
يُعاني من هذه العاهة، ويتحدى في الوقت نفسه الناس
من حوله بفرسه «المزئوق» الذي خاطبه مخاطبة
الصديق للصديق [٢].

**وقد علم المزئوق أنني إكبره
على جمعهم كرم النخيل المشهر
إذا أنور من وقع السلاح زجرته
وقلت له: أربيع مقبلا غير مدبر**

**بقلم: أ. د. عبده بنوي
- مصر -**



دعا الرسول عليهما، أما عامر قطعن، وأما أريد
فأصابته صاعقة [١٢].

وبهذا تنتهي قصته مع الإسلام، ومع الحياة ويقول
ابن قتيبة في الشعر والشعراء: إن من جيد شعره
قوله:

فلاني وإن كنتُ ابن فارس عامر
وسيدنا المشهور في كل موكب
فما سويتني عامر عن وراثته
أبي الله أن أسموه ولم ولا أب
ولكنني أحسي حمياها، وأتقي
أذاها، وأرمي من رماها بمنكب [١٣]

فهو يقدم في هذه الأبيات جزءاً من سيرته
الذاتية، فهو لم يأت إلى الدنيا من فراغ، ذلك لأن أباه
كان فارس القبيلة وسيدها، ولكن القبيلة لم توره
السيادة والفروسية، لأنه كان من العزم والفروسية
والشعر ما يجعله في مكان الصدارة، وما يجعله الأحق
بالسيادة، رغم العور، ورغم العقم... ولكن الحياة لم
تكن معه على وفاق، وحسبه أن النابغة الذبياني قال
لبنى نبهان بعد موقعة «حسي»، ما قلت لعامر بن
الطفيل، وما قال لكم، فلما أنشده وقال: أفحشتم على
الرجل، وهو شريف لا يقال له ذلك، ولكني سأقول:
فلين يك عامر قد قال جهلاً
فلن مطية الجهل السباب

فلما بلغ ما قال عامر قال:

جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً
وجاهلاً وتهكم بي [١٤]... وشق هذا عليه، وهو لا
ينسى موقعاً كان بينه وبين «زيد الخيل» ذلك لأنه أغار
في مرة على بني فزاره، فأخذ امرأة تدعى هذا،
واستاق نعماً لهم، فقالت فزارة لزيد: ما كنا قط إليك
أحوج منا اليوم، فما كان منه إلا أن تبع عامر بن
الطفيل، وحين أدركه زيد، نظر عامر إليه فأنكره لعظمه
وجماله، وهنا قال زيد: يا عامر خل سبيل الظعينة،
والنعم، وبخلاف حوار انتهى بقول عامر: تخلى عني
وأدعك والظعينة والنعم، قال زيد: فاستأشرك قال:

من الموت، فمدح عامراً، وهجا علقمة، فقال علقمة: لو
علمت الذي أريد كنت أعطيتك إياه [١٥].

ومن المعروف أن عامر بن الطفيل، وعلقمة بن
علائة تنافرا إلى مرم بن قطبة، وكان الحطيئة يفضل
علقمة على عامر ويمدحه، وكان الأعشى يمدح عامراً،
ويهجو علقمة، وقد سجل الحطيئة هذا الموقف في
قصيدة طويلة أولها:

يا عامر... قد كنت ذا باع ومكرمة
لو أن مسعاة من جاريتك أمم
جاريت قرما أجار الأوصمان به
طلق اليبسين، وفي عرينه شم
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه
ولا يبيت على مال له قسم [١٦]
وما أساوا فزاراً عن مطية
لا كامن يمتري فيها ولا حكم [١٧]

كما أن له منافرة مشهورة مع علقمة بن علاثة،
وكل منهما سيد من سادات قومه [١٨]، ومنافرة مع
بسطام بن قيس [١٩] وقد عاش فترة في الجاهلية،
وسلك سلوكها، فلما بدأ الإسلام في الانتشار، فراه
يعمل على مقابلة الرسول عليه الصلاة والسلام، سنة
٩هـ، ويكلمه في جفوة، ولا يقدم إسلامه، وإنما يقدم
شروطاً، فما كاد يرى الرسول حتى قال صارخاً:
تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني ولي الأمر من
بعدك وأسلم؟ فما كان من الرسول إلا أن قال «اللهم
اكفني عامراً، واهد بني عامره» وما كان من عامر إلا
أن انصرف مبغضياً وهو يقول: لم تقبل شروطي...
لأملأها عليك خيلاً جرداً، ورجلاً مرداً، ولأرطب بكل
نخلة قرساً، ثم انصرف مغضباً ولكنه في طريق العودة
يصاب بالطاعون، ويلجأ إلى بيت فقير، ويأخذ في
الصراخ والاحتجاج على الحياة: غدة كغدة البعير،
وموت في بيت سلولية، ولقد كانت هذه الكلمة شؤماً
على قبيلة سلول على حد قول أبي زياد الكلابي [٢٠].
المهم أنه حضر مع «أريد» شقيق الشاعر لبديد،
مضميرين الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام، وقد

أقبل، فأبصره زيد الخيل، وجزأ ناصيته، وأخذ رمحه، ومن عليه، ورد الإبل وهذا، وهنا قال زيد مؤرخاً لهذه الواقعة:

إننا لنكثر في قيس وقائعا
وفي تميم، وهذا الحي من أسد
وعامر بن طفيل قد تحوت له
صدر القناة بما في الحي مطرد
لما تحسب أن الورد مدركه
وصارماً أو ريبط الجاش ذا ليد
نادى إليّ بسلام بعد ما أخذت
منه المنية بالمميزوم والقد
ولو تصبر لي حتى أخالطه
أشمرت طعنة تكثن بالزبد

فانطلق عامر بن الطفيل إلى قومه مجزواً، وأخبرهم الخبر، ففضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا أيدا، ورأسوا عليهم علقمة، فبعث عامر بن الطفيل إلى زيد الخيل دسيساً ينذره، فجمع زيد قومه، ولقيهم بالمضيق فهزمهم [١٥].

وعلى كل فجمال الدين بن نباتة المصري قال: ولعامر بن الطفيل شعرٌ جيد سري متمكن، وبخاصة في رأيته التي ذكر فيها عور عينه، والتي أولها:

لقد علمت علياً هواناً أني
أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر

كما أن من جيد شعره قوله:

وكم مظهر يفضأ لنا ود أننا
إذا ما التقينا كان أخفى الذي أبدي
مطاعيم في اللؤا، مطاعين في الوغي
شمالنا ثقل، وإيماننا تندي [١٦]

وتكفيه شهادة عمرو بن معدى كرب، فقد قيل له: ما تقول في عامر قال أقول فيه ما قاله في:

إذا مات عمرو قلت للخيل: أوطىء
زييداً فقد أودى بنجنته عمرو
فلما وعمرو في زييد، فلا أرى
لكم غزوم، فارضوا بما حكم الدهر
فليت زييدا زيد فيها كضعفها
وليت أبا ثور يجيش به البحر [١٧]

وقد لخص ابن شرف القيرواني حياته وشعره في قوله عنه «كان شاعرهم في الفخار، وفي حماية الجار، وأوصفهم للكريمة، وأبعثهم لحمد شيمة» [١٨]. وقد افتخر رجلان بباب معاوية أحدهما من بني عامر، والآخر من بني شيبان، فكان في مقدمة ما فخر به الأول عامر بن الطفيل [١٩]، كما قيل إن «قيصر» كان إذا قدم عليه فارس من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل، فإن نكر نسباً عظم عنده [٢٠].

وقيل إنه لما مات عامر بن الطفيل نصب بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره، لا تنتشر فيه راعية، ولا يرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش، وفي هذه الفترة كان جبار بن سلمى بن عامر غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ فلما قالوا: نصبناها حمى على قبر عامر، قال: ضيقتم على أبي علي، إن أبا علي بأن من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل [٢١].

وقد احتج له فيما ظاهره تجنيس، وباطنه طباق الوعد والوعيد، والفرق بين الوعد والإيعاد، في قلب الهزمة ياء:

ولئى إن أومسنته أو وعسنته

لخلف إيعادي، ومنجز موعدي [٢٢]

ووصفه أبو عبيدة في باب «عقماء العرب» [٢٣]، كما أشهد له أبو العباس بيته الذي يقول:

إذا أنت لم تجعل لسرك جنة

تعرضت أن تروى عليك العجائب [٢٤]

طبرستان ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م



العمدة ٢٢٠/٢، ٢٢١ ط ٥، دار الجيل بيروت.

(١١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١، وقد ورنيت برواية

أخرى في لباب الآداب ١٨٥، العمدة ١٣٩/٢، ١٨٣ ط

٥.

(١٢) معاني الشعر، عز الدين القنوي ص ٨٨ ط

دمشق، الخزائن ٧٠/٣.

(١٣) العمدة لابن رشيق ١٣٩/٢، ١٨٣ ط ٥، الكامل

في اللغة والأدب ٩٥/١.

(١٤) في الحماسة البصرية ٧٢/١.

وإني وإن كنت ابن فارس بهمة

وفي السر منها، والصريح المذهب

فمما سودتني عامر عن كلاله

أبى الله أن أسمنو بآم ولا أب

ولكنني أرمي حماها، وأتقي

أذاها، وأرمي من رماها بمقنب

وهناك رواية أخرى في العمدة ١٧١/٢ ط ٥ وعلق

ابن رشيق أنها من المختار في الفخر.

(١٥) لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد

محمد شاكر ٢١٩، ٢٢٠ دار الجيل بيروت.

(١٦) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٦٨، ١٦٩.

(١٧) لباب الآداب ص ١٨١.

(١٨) رسائل الانتقاد ص ٢٨.

(١٩) العمدة ٢٢١/٢ ط ٥.

(٢٠) خزائن الأدب للبغدادي ٧٠/٣ ط السلفية.

(٢١) خزائن الأدب للبغدادي ٧٢/٣، وكنيته في العرب

أبو عقيل، وفي السلم أبو علي.

(٢٢) العمدة ١٤/٢ ط ٥ بيروت.

(٢٣) كتاب النيباج ص ١٢٢، والبيت في مجالس

الطماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون ص ٦٢ ط

الخانجي.

وإني وإن أوعيتته أو عسيتته

لخلف إيعادي، ومنجز مؤعدي!

(٢٤) المؤلف والمؤلف للأمدى، علق عليه. د. ف

كرنكو ص ٢٠٠.

الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٢٥٢/١.

(٢) انثرواوجية الصورة والشعر العربي. د. قصي

الحسين ٢٥٠.

(٣) الجرد: الفيل القصيرة الشعر. كلج: من الكلج

وهو ظهور الأسنان عند الغضب، يصنف من العسفة

وهو الهجوم على الأمر بلا روية، الوشيج: الزمّاح،

وأصله الشجر الذي تؤخذ منه الزمّاح كما أنه أرخ

لمركة «الفياء» التي أصيبت فيه عينه، العمدة ٢١٣/٢

ط ٥ بيروت، كما يبارك القز في قوله:

لله غارتنا، والمحل قد شجيت

منه البلاد، فصار الأفق عُرَيانا

(٤) إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا

قبل العيّنال، ونطلب الأوتارا

(٥) وأنا ابن حرب لا أزال أشبها

سعرأ، وأوقدها إذا لم توقد

(٦) شعراء النصرانية في الجاهلية: الأب لويس شيخو

٢٦٢/٣ المطبعة النسخية بالقاهرة.

(٧) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ٥٤٨،

٥٤٩.

(٨) يقول: ما أساء عامر ولا قومه حين فروا. وحاجزوه

عند المنافرة.

(٩) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وقد

سوى بينهما هرم بن قطبة: إنكما كركبتي البعير،

يقعان معا على الأرض، وكلاكما سيد كريم، قال أبو

عبيدة في كتاب النيباج: المتفانون في الجاهلية أولهم

عامر وطلحة ص ٨٨.

(١٠) كانت المنافرة في حضرة النعمان بن المنذر،

نقال:

كان التبايع في دهر لهم سلف

وإبن المزار، وأملاك على الشام

أنحى علينا بألففار قطوقنا

طوق الضمام بإتعماس وإزغام

إن يكن الله من دهر نسياء به

نتركك وحدك تدعو رهم بسلام

وقفه مع كتاب ابن مالك المخطوط

(سبك المنظوم)

تعريف بابن مالك:

ابن مالك هو: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي، أحد علماء العربية الذين عاشوا في القرن السابع الهجري، ولد بـجيان إحدى مدن الأندلس في حدود سنة (٦٠٠هـ) ودرس بعض علوم العربية والقراءات على بعض علمائها، قال المقرئ في (نفع الطبيب) [١] في حديثه عن ابن مالك: «إنه أخذ العربية عن غير واحد، وقرأ كتاب سيبويه كما درس المذهب المالكي، وهو المذهب السائد في الأندلس في ذلك الوقت»

رحل ابن مالك إلى المشرق وترك الأوطان بسبب الفتن والاضطرابات التي سادت الأندلس واستقر به المقام في بلاد الشام فتوجه إلى حلب وحماة ثم استوطن دمشق وعاش بها وأخذ عن علمائها مثل ابن الصباح وأبي الحسن السخاوي وابن يعيش وابن عمرو وغيرهم، واشتغل بتدريس العربية والقراءات وألف كتباً ورسائل، ومات بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م).

أما مؤلفاته [٢] فقد وصل إلينا أغلبها وقد طبع أكثرها وهناك مؤلفات لابن مالك ما تزال مخطوطة تنتظر الطبع لكي تتم فائدتها وتصل إلى أيدي الدارسين ومنها هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ الكريم.

اسم الكتاب:

هذا الكتاب اسمه: «سبك المنظوم وفق المختوم» [٣] وهو شرح لنظمه المعروف (المؤصل في نظم المفصل) وهو كتاب (المفصل في علم العربية) للعالم المعروف جاز الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨هـ وهو مطبوع وله أكثر من طبعة.

وسبك المنظوم هذا منه نسخة مخطوطة في معهد

الدراسات الشرقية ببرلين بألمانيا برقم (٦٦٣١) ضمن مجموعة (Landbirg 59) (انظر الصفحة الأولى من المخطوطة).

وتسبب هذا الكتاب إلى ابن مالك صحيحة فقد أوردت كتب التراجم هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، كذلك أشار إليه من المحدثين الدكتور عمر موسى في كتابه (أدب النول المتابعة) [٤]، والدكتور عبد المنعم هريدي [٥] في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح عمدة الحفاظ) والدكتور محمد كامل بركات في مقدمة تحقيقه لكتاب (تسهيل الفوائد) [٦] وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) [٧].

وصف مخطوطة الكتاب:

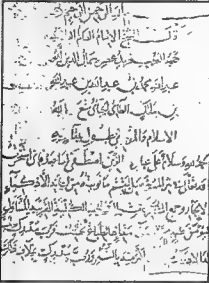
تقع مخطوطة هذا الكتاب في (١٧٣) صفحة مكتوبة بخط نسخي مشكول في كل صفحة (١١ سطراً) جاء في أولها: «قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجة العرب فريد عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي نفع الله به الإسلام وأمد في طول بقائه الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد فإنني استخضرت الله تعالى في نشر المؤصل ليطمأن نويته من إعانة الأذكياء بالإيجاز وجمع المتفرقات ... وسميته سبك المنظوم وفق المختوم. وما أناداً بأهل اللجوء في تحصيل المقصود».

وجاء في آخرها ما نصه: «تم الكتاب والحمد لله وحده .. على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه: إبراهيم بن طاهر بن عبد الله الأبلق .. وذلك في يوم الاثنين ثامن ربيع الآخر من شهر سنة ٦٨٥هـ».

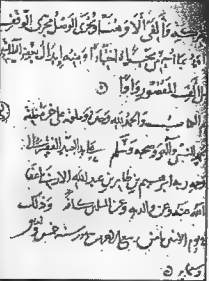
بقلم: د. غنيم غانم الينبعاوي

كلية اللغة العربية - مكة المكرمة

الصفحة الأولى من المخطوطة وفيها
يظهر رقم الكتاب وحق المكتبة الوطنية
الثقافية البروسية ببرلين - ألمانيا.



- الصفحة الثانية من المخطوطة.



- الصفحة الأخيرة من المخطوطة.

بالقاهرة سنة ١٢٨٧هـ - ١٩٦٧م ص ٢١

(٧) تاريخ الألب العربي لبروكلمان (الطبعة العربية) ط دار
المعارف بمصر (١٩٧٤ - ١٩٧٧م) ج ٢٩٤/٥.

جامعة أم القرى

سنة ١٤١٨هـ.

(٢) لدي منها

نسخة مصورة

على يد زويتني

به المكتبة

الوطنية الثقافية

البروسية ببرلين

- ألمانيا فلها

الشكر.

(٤) ألب الدول

المتابعة للدكتور

عمر موسى

باشا، ط دار

الفكر الحديث،

دمشق.

(٥) مخطوطة

تصديق شرح

عمدة الحفاظ

ومدة الالفاظ

لاين مالك

للككتور عبد

المنعم هريدي، ط

مطبعة الأمانة

بالقاهرة، ط

١٩٧٥/١م ج

٥٤/١ وما

بعضها.

(٦) مقدمة

تحقيق تسهيل

الفوائد وتحصيل

المقاصد - لاين

مالك للدكتور

محمد كامل

بركات نشر دار

الكتاب العربي

موضوعات الكتاب:

تتاول ابن مالك موضوعات تدخل ضمن موضوعات النحو (أو ما تسمى التركيب) وهي أغلب موضوعات الكتاب وهناك موضوعات تدخل في بنية الكلمة الواحدة (الصرف) مثل: اسم الفاعل وألفى التأنيث والتصغير وأحكام الهمزة وأمثلة الجمع قليلة وكثيره، والتقاء الساكنين وعالج الكتاب أيضاً موضوعات صوتية مثل: مخارج الحروف والادغام والإمالة والوقف.

وقد جعل ابن مالك كتابه في أبواب منها: شرح الكلمة - الإعراب - أعراب المفعول - المثني - الجموع - ٥٥٠ بذلك التنشئة وجمع التصحيح - المعرفة والنكرة - العلم - المضمرات - أسماء الإشارة - أسماء الموصولات - إلحاق الألف واللام - المبتدأ - الأفعال الرافعة للاسم - الأفعال المقاربة إلى آخره من الأبواب التي تعالجها كتب النحو المعروفة، وقد أحصيت عندها فبلغت اثنين وثمانين باباً.

أمثلة من نصوص الكتاب:

قال ابن مالك في باب (شرح الكلمة وما يتعلق بها من العلامات) (ورقة ٢): «الكلمة: كل لفظ دل بوضوح، وهي اسم وفعل وحرف، والكلام: اللفظ المتضمن للإنسان، المستقل...» وفي باب (الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر) أورد ابن مالك في فصل قوله: «الحق أهل الحجاز (ما) النافية بليس تأخير الخبر وبقاء تقديم المبتدأ» (ورقة ١٦)، وفي أفعال المقاربة قال ابن مالك: «عملها في الأصل كعمل (كان) لكن ألزم هنا كون الخبر فعلاً مضارعاً وربما جاء على أصله مفرداً منصوباً، أو جملة اسمية، فخير (عسى) و(جرى) و(أخلوق) مقرون بأن...» (ورقة ١٦).

وفي باب مخارج الحروف، قال (ورقة ٨٢): «لهذه الحروف فروع تستحسن، وهي الهمزة المسهلة، والغنة ومخرجها الخيشوم، وألفا الإمالة والتفخيم، والشين كالجيم، والصاد كالزاي».

الهوامش والمراجع:

(١) نفع الطيب المقرئ ج ٢، ٤٢١.

(٢) لقد تناولت مؤلفات بالتفصيل في كتابي (الدراسات اللغوية عند ابن مالك بين فقه اللغة وعلم اللغة) مطبوعات



شعار «الجديدة» - شعار مجلة الشرق الأوسط.

«الجديدة»

تستقبل عامها الرابع عشر

في مثل هذا الشهر - صفر من العام ١٤١٨هـ وتحديداً يوم ١٧ منه، الذي يوافق يوم ٢٣/٦/١٩٩٧م تحلت (الجديدة) بثوب قشيب وتحت اسمها الحالي «الجديدة».

وهذه المطبوعة صدرت ضمن عائلة مطبوعات «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق» في العام ١٩٨٦م كملحق أسبوعي لجريدة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية - لتغطية اهتمامات القارئ العربي الصحفية في الجوانب الإنسانية والعلمية والفنية وغيرها.

وقد استمر صدورها تحت اسم «مجلة الشرق الأوسط» من العام ١٩٨٦م وحتى تاريخ ١٧/٦/١٩٩٧م العدد (٥٧٣) حيث ارتأت القائمون عليها تغيير الاسم إلى «الجديدة» تمشياً مع ما أدخل عليها من تحسينات في التثبيت والطباعة والاخراج مع الإبقاء على صدورها أسبوعياً بدءاً من العدد ٥٧٤ الصادر في ٢٣/٦/١٩٩٧م.

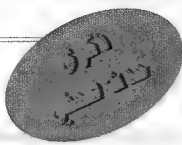


هاني النقشبندي
ناشر رئيس التحرير



عبد الرحمن الراشد
رئيس التحرير

والمنهل بكل منسوبيها تقدم التهيئة إلى الشقيقة «الجديدة» وإلى كل القارئ عليها بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاماً مع الأمنيات بدوام التقدم والرفق.



هذه الصفحات تتلى لتسجل تاريخاً مضيئاً جيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، وهي أسطر معنودة تبقى في الذاكرة خضبة معطاء أبداً. بدور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جداً لكل مجتمع، ومعذ نخول الصحافة إلى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظراً للدور البناء والمؤثر الذي تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على موازنة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلياتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تديماً لنور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهرياً الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتعبة نشاطها وتطورها.



- سلسلة أغلة قافلة
الزيت والقافلة.

القافلة

تسير

مع

عامها

الثامن

والأربعين



الأستاذ/ عبد الله خالد الفلكي
رئيس تحرير مجلة القافلة

في العام ١٣٧٢هـ وفي مثل هذا الشهر «صفر» الموافق (أكتوبر ١٩٥٣م) أصدرت شركة أرامكو السعودية في الظهران بالملكة العربية السعودية العدد الأول من مجلة «قافلة الزيت» بهدف تزويد العاملين بالشركة وبشركات النفط الأخرى بالثقافة النفطية وبالمعلومات المتخصصة المتعلقة بشؤون الطاقة وصناعاتها.. ومن هنا كان تسميتها الأولى «قافلة الزيت» حيث ظلت تحمل هذا الاسم مدة (ثلاثين عاما) وتحديداً حتى العدد الصادر في (شعبان ١٤٠٣هـ) وبعده صار اسمها «القافلة».

ومع إيلاء «القافلة» الجانب النفطي الأفضلية والأولوية في تناول موضوعاتها إلا أن القارئ يرى بوضوح أنها جمعت بين الثقافتين العلمية والأدبية - فاولت المادة الأدبية من شعر وقصة ونقد ودراسات في الأدب عناية مميزة.. إلى جانب الدراسات الإسلامية والموضوعات التراثية التي تجمع بين استعادة عطاءات الماضي العلمية والحضارية، وتبث الحياة في أجداد العرب والمسلمين الغابرة، وفي رجالاتهم العظام من جهة، وبين الموضوعات المعاصرة التي تدور حول أبرز الانجازات الحديثة التي تتناول تطورات الحاضر واحتمالات المستقبل من جهة ثانية.

فهذه «القافلة» إذن بطريقة موضوعية ورصينة تصل الماضي بالحاضر، وتمد جسورا باتجاه المستقبل، فلا نكاد نجد عددا واحدا من أعداد «القافلة» يخلو من استطلاع قيم يحوى المعالم والانجازات والمناطق الهامة، في مختلف البقاع العربية، لمساعدة المواطنين السعوديين والعرب على التزود بثقافة جغرافية عامة.

ولم تغفل «القافلة» الاهتمام بتقديم التراجم والسير والتحليلات حول الاعلام العرب والمسلمين، من مفكرين وعلماء وأدباء وشعراء وقواد عسكريين، الذين قاموا بانوار مميزة في الماضي أو في الحاضر المعاش، فتسلط الضوء على منجزاتهم مع التحليل الموضوعي المفيد لقارئ «القافلة».

وجدير بالذكر أنه:

- قد تعاقب على رئاسة تحرير هذه الاصدارة الحسيفة ستة رؤساء تحرير وهم حسب الترتيب الزمني لتولي رئاسة تحرير «القافلة» الأساتذة الأفاضل: (حافظ البارودي - شكيب الأموي - سيف الدين عاشور - منصور مدني - عبد الله حسين الغامدي، والأستاذ عبد الله خالد الفلكي الذي يضطلع حالياً بمهام رئاسة التحرير).

والمهل تقتض مناسبة هذه الذكرى السعيدة لتزف للشقيقة «القافلة» التهنية مع خالص الأمنيات لها ولنسويها جميعا بالانطلاق في «قافلة» الخير إلى أفق غد المشرق بحول الله ومشيئته.

اعداد : يعقوب السيد حسنين



سيمفونية المساء الحزينة

العربة تجرهما الخيول، تنهأى نحو البعيد، غطتها
أجساد النساء المتشحات بالسواد، والطفل القابع
بجوار أمه محموماً، تلتقط أسماءه كل الكلمات.
تحدث إحداهن عن المرض، وأخرى عن الموت، وثالثة
عن الأنثى!!

تتداخل في سمعه الأصوات لتختلط بأثنين عجلات
العربة ورتابة أقدام الخيل.

على البعد... مبنًى قديم، بقية مما تركه الاحتلال،
كل ما فيه كئيب، أثر العزلة بعيداً بعيداً عن البنّيان!
يقف برغم ألف شمس وشمس مرت عليه ولم تبّله، اللهم
إلا ما استطاعت يد الزمان أن تحيل لونه الأصفر إلى
رمادى باهت كئيب، «والقرميد» الذى غطى رأسه لم
يسلم من عواذى الدهر، ولم تبّله يد التحسين!

توقفت العربة عند السور، أطلت رؤوس متربة من
الأشجار، في ظلها جلس رجال ونساء وأطفال، مرضى
ينتظرون نورهم في الفحص، لقد لفحتهم جميعاً شمس
النهار.

عين الطفل معلقة بالباب، بين الفينة والفينة يلمح
بصره المعطف الأبيض وهو يتحرك - في الغرفة - نحو

سرير الفحص .. يفلق الباب.

«التمرجى» ينادى أصحاب الأسماء الشاحضة

ببصرها نحو الباب.

قصاب داخل جلباب،

يلطوه غطاء للرأس،

تحت الجلباب سروال،

فوق الأذن استقر قلم أزرق

في كفه جمع الأوراق،

بعيوس يتجهج الأحرف، لينادى أصحاب الأسماء

القابعة إلى الجدران.

دقات قلبه تسرع مع كل حركة من شقيقته، غليظة

هي وسوداء، لم يكن صاحب الاسم، لا شك سيأتى

نوره وتوضع حول رقبته الأغلال!

من بين ثنايا الأسنان، تبين أحرف كلمات هي كل

ما يعرفه عن نفسه.. هي اسمه من صلب أبيه.

بقلم: د. أحمد عبد المنعم عربود

- مصر -

نادى .. أن أقبل للفحص ، وازدادت دقات القلب ،
تواسى وتعزى الجسد المعلول .

بجلد ظهره العاري أحس ببرد سرير الفحص ،
ويده رفع الأسعال لتحرك يد الطبيب تسمع بطنه
جزءاً جزءاً ، ثم يستماع في أذنيه ينصت للقلب
المعلول .

مع كل لمسة من الطلقة المعدنية في «السماعة»
ينتفض الجسد المذعور خوفاً مما أخفاه القدر هناك في
عقل ذلك المعطف الأبيض المنحنى بجسده فوق الركام!
إصططكت «السماعة» وهو يتزعجها عن أذنيه ،
ويكلمات اخترقت سمعه ، متجهاً إلى مكتبه:

- لابد أن يُحْجَزَ ! !

الهلع المهدق بالأوصال ، والوجه الشاحب من
الانصباب والرجفة تتدافع مخيطة لما هو فوق طاقة
الإنسان .

الفصاة تقبض على حلقه ، والورشة تسرى في
جسده ، والهلع ينطق من شفته:

- لا إن أُحْجَزَ ولو متُّ خارج الأسوار!

- هذا ليس قرارك .. حياتك نحن نملكها ، الأمر
يخرج من بيننا ، عدوك تنتقل إلى الناس .. لابد إذن
من حجزك في تلك الدار!

من كان يصدق أن الخوف ليضع ثوان سيدوم
ليوم أو أيام

من كان يخاف من الخارج كيف به داخل
الأسوار؟

من كان يرتعد لتحديث عنها كيف سيعيش
بداخلها؟

الأمن إن يدخل في باب حوار !!
يُحْجَزُ .. كلمة ما أيسرها نطقاً .. تصنع بالقلب
الآلام

وبالصبر تكمن الحرقه ، والقلب تحرقه القصة ..
بشعور زعم الآلام .. نحو مصير محتوم ..

لنحول مبنى الإعدام !!

ساقوه إلى أرض «الحمام» كتيب كل ما فيه وهذا
المتدلى من الجدران ..

يوحي بقدم الأزمان !!

كان لابد من «دش» بارد قبل أن يختلط الحابل -
منعا للعوى - بالنابل !!

ارتعدت أطرافه ، وانكمش يبكي مذعوراً ، عريانا
وينظرات يستجدي عطف القصاب !!

بقطعة فضة من ذات الزرع «جنيه» دفعتها الأم في
يد القصاب ، ابتسم وانفجرت أساريره ، وبدون أن يبتل

بقطرة ماء .. -
ألبسه ثياب الإعدام .

سروال قصر أم طال ، جلباب من صنع الجهال ،
يفوح منه العطن ، برباط عنق يتدلى على صدره ليقبه
حر القيظان!

دهليز من زمن قات ، تحطم بلاطه من السريان ،
على جنبه سياج من خشب غيرت لونه الأزمان ، أشبه
بشهود للقرير تلفت حول الجمئان!

على البعد كانت حجرته ، بل قل عنبره ، وسط هياكل
عظمية ، على أسرة رمادية متسخة مع طول الأيام .

الصمت يطبق عليهم ، وقد صبحتهم الشمس ، وما
هى توشك أن تودعهم ! العدد يتناقص حتماً !!

كالفرفصاء جلس على حافة سرير أشار به
«ممرضه»

الأم تخلت عنه في أوج الأزمة ، وعزاؤه أنها
ستعاوده عند المساء

دارت عربة الطعام ، صيحات المرضى توقظ النيام ،
هلموا موعد الطعام ..

لم يعبأ بما أحدثه الجوع من آلام ، وإن أنسه قرع
الأطباق يخرج من ضيق قد طال . عافت نفسه الدنيا

وهم حديث عن الطعام ! كلمات التواسى تواسيه: أى
أقبل .. كل معنا فالبركة تصل مع الخلان .

العزل .. عنها كنا نسمع عليه تغلق الأبواب، كتيب كان
منظرها، كهياكل عظام تطلوها جمائحهم وركام.

أخذ الخطو بعيدا عنها يرقبها بطرف من عينيه
حيث الأسوار.

نورات مياه مربعة، تتساقط فيها القطرات، محدبة
صوتا كفسول جسد قدمات، والثلاث الأسفل من
الأبواب قد تاكلت منه الأخشاب.

بالقرب من السور وجد بقيته يأمل أن يقفز بعيدا
خارجه!

آمال ما أيسر أن تنبو تتلاشى أمام القضبان.
الشمس تدور في مغربها، في هودج أحمر قان،
تُرَقُّ ليوم النسيان

قد ظلت في الظهر تدور، والآن عادت لتنام، خيم
الصمت على المكان، إلا من حفيف الأشجار، مختلطة
بأصوات العصافير الآلية تتدافع نحو الأعشاش لتعزف
سيمفونية المساء الحزينة!

القرص القرمزي يلثم سطح الأفق ليودع النهار
بقبلة المساء.

هناك هناك خلف البنيان، أرسل الطفل أنظارا
شاخصة تتوسل ضوء نهار! يناشد - من خلف الأسوار
- شمس المساء الغاربة أن تقف هناك .. وهى تتسربل
بجلابيب المساء!

أيأ شمس المساء الغاربة .. يناشدها أن تقف
هناك

وهى في هودجها الأحمر تتسحب وراء الأفق رويدا
رويدا .. دون أن تسمع!!

يا شمس المساء الغاربة تهلى!! والموت الأسود
يجذبها نحو القبر القابع خلف البنيان .. يستعطف
قوسا منها قد أوشك أن يسقط خلف الأفق هناك!!

حتى أنت يا قوس ألا بقيت تؤنسى!! .. ما
أتعسني!! وأخيرا .. سقط القوس خلف الحجب فى
هدوء .. وهناك خلف الأسوار سقط الجسد المتهاك ..
رغم كل التوسلات!!

إيماءة حزن من رأسه، دعونى ههنا ليس طعام ..
دعونى انى في محنة .. لا أقدر أن أقصع بكلام.

فى «العنبر» عجوز قد أشبع المرض بكلمات فى
كل مكان، والظهر أحناه الألم مع الأيام، تقدم بطعام
فى يده، يخنو ويواسي المسكين! بحنان يريث على
كفحه:

- مالك لا تاكل معنا! فغداً تشفى وتعود لأهلك حراً
ومعافاً!!

كلمات تاق لرؤيتها .. تتحقق فى التو .. ياليت!!
كم يطبق الحزن على صدره .. جبلا مع الوقت
يزيد

والعبرة تترقرق فى عينيه يدفع يده .. شكرا
للشيخ المسكين!!

العين مسطرة بالنافذة، ترقب الشمس الغاربة، وهم
من حوله، يعجبون من تملله .. «كنا فى الهواء
سواء»!!

لم يلق المسكين صبراً، بخطوات متهاكة اتجه
نحو الباب من وقت قد ليس المرض الجثمان، حتى ما
كان فيه من رفق قد ضاع وسط الأحزان.

يا له من قدر يحار فيه الإنسان:
بالأمس كنت هناك ألهم مع صحبى من الجيران
واليوم صرت حبيسا خلف الجدران، أعانى المرض
والوحدة، تتقاذفني أيدى الأشباح!

أشباح .. أه القطط ذات الرؤوس الكبيرة، ليست
قططا قالوا عنها عفاريت تأتى بالليل.

وعلى البعد هى الأخرى حجرة «العزل» هناك كانت
تريض وسط الصمت .. عنها كنا نسمع: مرضى
ينتظرون الموت!

رباه هل حان الوقت؟ واقترب الأجل لتزل القدم إلى
الموت!!

هنا بعيدا عن الأمل .. فى حجرة العزل?
إيه .. حجرة العزل .. أمى قالت عنها: من كان
المرض أنهكه، أو خيف منه العدوى فهناك مكانه فى

رسالة
من الإبيوريني
.. إلى السيدة البحرية



البشر ..
هل هو
بطريق
طائر؟؟

صيد ثمين

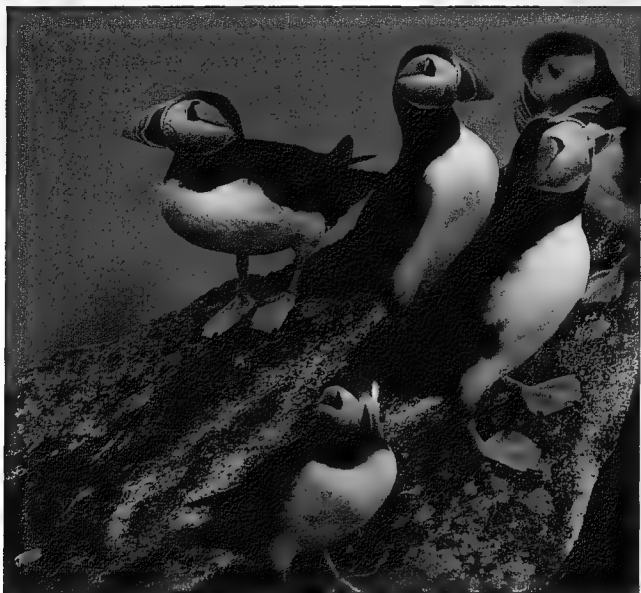
١١٦



لكن

أوراق روحية

أوراق روحية



بعض القواعد المهنية لمجتمع البفن تظهر في مثل هذه التجمعات، فعند الهبوط يتخذ كل طائر الحركة المتعارف عليها: الجناحان الى أعلى، الرأس مرفوع جزئياً، قدم واحدة الى الامام، ويميز الآخرون عن الترحيب بالرقص في مكانه.

هل هو بطريق طائر؟! البفن

إيمان البهنساوي

- مصر -

سفر ١٢٣٠ هـ - ملها / يونيو ١٩٩٩ م



والاوك (أوك صغير) كل هذه الانواع تنتشر في شمال المحيط الهادى مع أفراد عائلتها من طيور الاوك التي تبلغ العشرين، ولكننا ستركز هنا على طائر البفن الذى يعيش في المحيط الاطلسي.

يؤسس البفن مستعمراته بعيدا عن الحدود التي يعتقدها البشر مناسبة، فإذا أردت أن تشاهد البفن فما عليك إلا أن تذهب الى الحافة ثم الى حافة الحافة حيث الماء يغطي اليابسة وقد تكون محظوظاً أخيراً لتشاهد البفن. إن الجزر التي تعصف بها الرياح والقريبة من المناطق الغنية بالاسماك في سلسلة الصخور القارية قرب سطح الماء تعتبر مناطق نموذجية للبفن، فالرياح الهوجاء

يعتقد معظم الناس أن البفن ما هو الا بطريق طائر. ولكن هذا الاعتقاد الشائع لا يمت للحقيقة بصلة، فالبفن طائر بحري من طيور الاطلس الشمالي، وهو أحد أنواع طيور الاوك (طائر قصير العنق والجناحين من طيور البحار الشمالية).

والجدير بالذكر أن هناك أربعة أنواع من طيور الاوك وقد تم صيد معظمها حتى انقرضت في القرن الماضى، إن الانواع المختلفة من طيور الاوك تعيش في نصف الكرة الشمالي وباستطاعتها الطيران، بينما طائر البطريق يعيش في نصف الكرة الجنوبي ولا يستطيع الطيران. إن البفن العنقودي والبفن ذو المنقار الضخم

الاشواك في مقبلة القدم تساعد على تثبيت الحمولة مما يسمح لطائر البفن بأن يحمل في الهواء عددا كبيرا من الاسماك دفعة واحدة، ان اكبر حمولة سجلت له كان يحمل في منقاره ٦٢ سمكة صغيرة، ولكن وزن الحمولة وكمية الدهون التي تحويها أهم من عددها.



تناسب البفن الممتلئ الجسم.

هناك بعض الاوضاع الخاصة التي يشتهر بها طائر البفن والتي اصبحت قواعد عامة لاجتماع البفن. فعندما يهبط طائر البفن في مجموعة يرفع جناحيه عاليا ويضع قدما واحدة للامام، إن هذا الوضع الفريد يظهره وكأنه أحد المتفرجين على الخليج، أما خطواته التي تشبه الزحف العسكري مع رأسه التي يدسها فجأة في صدره السمين تعني أن البفن يحرس جحره أو أنه يقترب من أليفه.

وكتل الاعشاب النامية نوادي بيتية يجتمع فيها طيور البفن الكبيرة مع الطيور غير الناضجة، أن طيور البفن كبيرة السن متداخلة مع بعضها البعض أكثر من البشر مع أقاربهم، أما على الساحل فإن طيور البفن دائما ما يراقب أحدها الآخر ويتدخل فيما لا يعنيه من شئون طائر آخر من طيور البفن، فليس هناك شيء أكثر سحرا للبفن من طائر بفن آخر.

ولكن أين تذهب طيور البفن في فصل

الشتاء؟

لقد وجد عدد قليل من طيور البفن ميتة على شواطئ البحر الابيض المتوسط، وعلى ما يبدو فإن البفن من محبي التجول في المحيط الاطلسي، والجدير بالذكر أن ثلثي طيور البفن تنجو من الشتاء عند البحر ثم تعود الى مكان ولادتها بعد مرور فصلين أو ثلاثة من فصول الربيع عندما تصبح قادرة على العودة الى الساحل، أما الباقي فيستقر في مستعمرات في مكان آخر.

إن الأزواج المتناسلة تتشكل عند سن خمس سنوات ومعظم هذه الأزواج تظل معا مدى الحياة ويربي كل زوج فرخا كل عام، ويقوم الزوجين ببناء عش الزوجية معا فيحفر الزوجان حفرة في منحدر عشبي بالقرب من البحر مستخدمين منقاريهما القويين كمعول وأقدامهما ذات المخالب الحادة كمجرفة. وفي بعض الاوقات يعيش البفن تحت الصخور عند قدم أي منحدر صخري شاهق قرب الشاطئ، وإذا مات أحد الزوجين فإن الزوج الآخر يبحث عن شريك من غير المرتبطين، إن التضج المتأخر وقلة النسل والرعاية الأبوية وطول العمر.

ولكن لماذا يطير البفن معا في قطع كبير؟

إن حشود الطيران المندفعة فوق مناطق الاعشاش تعتبر نوعا فريدا من حماية النفس، فعندما يتحرك البفن من البحر الى اليابسة أو العكس فهو أولا يتور عدة مرات فوق الجزء الخاص به في المستعمرة ثم ينضم اليه حالا مجموعة أخرى من طيور البفن تطير في نفس الاتجاه لتجنب تصادم الرؤوس، إن كتلة الدوران السريعة هذه تعطي انطباعا بالانتظام والثبات والجلد.

وعندما تشاهد طيور البفن طائرا مفترسا مثل النورس الاسود فإنها تنضم جميعا الى كتلة الدوران هذه. إن انضمامها وتجمعها معا يربك النورس ويجعل من الصعب عليه أن يختار هدفه من بين طيور البفن الكثيرة، وكلما كان عدد طيور البفن التي في الهواء أكثر كلما انطلق النورس أو الطائر المفترس بعيدا عن الهدف.

أما على اليابسة فإن اجتماع طيور البفن معا في مجموعات صغيرة يأخذ وقتا، وتعتبر الصخور



خلال فترة التودد والمغازلة تصبح
الصفيحة العظمية في منقار
البفن والذي يشبه قوس
قزح أكثر لمعانا وبريقا
لتضيف إليه الفتنة
والاغراء. ويعرض
الجنسان في
ازدهاء
منقاريهما
المثلثين اللذين
يستخدمانهما
كعلم
اشاري
للاتصال عبر
المسافات. أما
خلال اللقاء
القريب فلن
تحركات العين
البسيطة تبرز علامات
حول العين لتتقل الرسائل
الشخصية.



ماهر يغوص بعمق ٢٠٠ قدم، كما أن الأشواك
التي تنحدر من القم تسمح للبفن بأن يمسك بعدد
كبير من الاسماك الصغيرة مرة واحدة. وتشير
السجلات المنشورة الى أنه يمسك ب ٦٢ سمكة في
منقاره.

ولكن الصيد غير المنظم في أواخر القرن
التاسع عشر لتوفير ريش القبعات والوسائد
والمراتب ترك المنطقة الشرقية من أمريكا الشمالية
خالية من طيور البفن الجميلة والمستعمرة الوحيدة
التي نجت في الولايات المتحدة بها حوالي
زوجاً من طيور البفن.

صفات نموذجية للطيور البحرية - تساعد طيور
البفن على النجاة في عالم هزيل يفتقر الى المواد
الغذائية.

وفي سن ستة أسابيع تغادر فراخ البفن
أبويها وتطير وحدها نحو البحر الواسع ثم يلحق
بها الكبار بعد ذلك عندما يقترب الخريف ويختفى
صفار السمك، وخلال الأسابيع الأولى من
الاستقلالية والاعتماد على النفس تحصل الفراخ
على أربع أو أكثر من وجبات الطعام كل يوم من
أبويها، ولا يعلم أحد حتى الآن كيف يحدد البفن
أماكن السمك بدقة، ولكن البفن على العموم صياد

صيد الثمين

الحظ وخانها التوفيق في الاحتفاظ بهذا الكنز الثمين: الزوج الغالي .. الرجل الأثير لدى نفسية المرأة المحبة.

هذا الزوج قد يكون هو أقوى الدوافع وأمرها التي تخلق من المرأة شخصية مضطربة غير واثقة من نفسها تلهث دائماً وراء كل ما تعتقد أنه سيضمن لها رضاه وحبّه.

وكنتيجة لهذا كله تجد الزوجة نفسها في ميدان منافسة ومعرفة من أجل البقاء .. وحفظ الكرامة

إذن: والحالة هذه فالحياة الزوجية إنما هي ساحة حرب ونقاط متعددة للصراع .. وبوابة تهديدات لا تنتهي، فكل ما سبق يدل على واقع خاطيء وفرضية غير صحيحة مؤداها ان المرأة عبارة عن تمثال للجمال ورمز للنضارة وهدف للاستمتاع ليس أكثر، ومتى خسر هذا التمثال الجميل مزاياءه .. فلا مهرب من استبداله بأخر يفوقه روعة وجمالاً وحيوية ونضارة وشباباً الى آخر ما هنالك من رغبات.

تفقد المرأة بذلك التقييم الخاطيء أحد مكوناتها ومزايها وهي إنها انسانة كريمة بمشاعرها وذاتها،

نعترف نحن معشر النساء أو البعض منا بأننا نصر على التمسك بنضارة الشباب والجري وراء كل وسائل المحافظة عليه من أجل عيون الرجل .. الرجل الذي نقدم له كل القرايين الممكنة ليرضى ويهدأ .. ولعلنا بعد ذلك نحظى منه بالاكتهاء والقناعة وننجح في تكبيله بقيود أبدية تضمن لنا كبح جماح عينيه اللاهتين في تصيد الغير وملاحقة الحسان كلما سحت له الفرصة هنا وهناك، ولا يمنعه من الوصول الى ذلك في أحيان كثيرة وجود الزوجة الحسنة بقربه.

كل الوسائل تتخذ لترضي المرأة الرجل .. ولا أعني الرجل دون تحديد لموقعه وتأثيره في حياتها .. بل أعني الرجل الزوج .. ذلك الصيد الثمين الذي تحارب المرأة من أجل الحفاظ عليه إلى حد الإجهاد والإرهاق النفسي.

صيد ثمين .. قد لا يعكس هذا التعبير اهتمامنا فقط نحوه ولا تقييماً له .. بقدر ما يعكس حرصنا على مكاسبنا فيه والإصرار على عدم الفشل في حياتنا الزوجية هذا الفشل الذي يستدعي الشماتة من الآخرين وخلق الفرصة - لكل من هب ودب - لتشخيص الحالة وتوجيه الاتهام، وإن تكون هناك ضحية تسكب عليها نيران اللوم والتوبيخ سوى المرأة .. الزوجة المغلوقة على أمرها التي جانبها

هند احمد هرساني

- جدة -



مطمئن تسمويه تقوس البعض .. وتفتقر اليه قلوب
الكثيرين في مختلف مجالات التفاعل البشري
والالتقاء الوجداني وخاصة بين الزوجين .. فتبرز
عند ذلك الصور البشعة لممارسات جارحة
وانتكاسات عديدة للأمال وهزائم مُرة للعواطف
وايذاء سافر للمشاعر .

مسكينة إذن هي المرأة!

إذا لهنت وراء كل ما يبقي لها جمالها ويغذي
شبابها بالنضارة والإشراق فهي تفعل ذلك من أجلي
أيها الرجل، أيها الزوج الحبيب، كي تضمنك الى
جانبيها، لأن تعاملك معها يؤكد لها أن ليس هناك غير
القشور .. والشكليات الزائلة، ليس هناك العمق
الرحيم والمشاعر الثرية التي تضمن لها مستقبلا
خاليا من الانتكاسات العاطفية التي تؤدي الى هدم
أعمق ما في الكيان الشامخ وهو الصدق والأمن
والحب الحقيقي النزيه .

المرأة في هذا الواقع .. امرأة مسكينة لا
أسلحة أخرى لها غير أسلحة الجمال التي لجأت
اليها الأنثى عبر غابر العصور .. من أجل عينيها!
ممارسات خاطئة حولت المرأة الكريمة بذاتها
الى أنثى تشبثت بانوثتها بعيداً جداً عن انسانيته
من أجل البقاء والتفرد بالخطوة والإعجاب ممن
يهمها أمره ..
وهذا واقع في رأيي غير مشرف تنحدر اليه
بعض النساء نتيجة سلوكيات خاطئة من الرجال
نحوهن ..
عندئذ يحق لنا أن نذرف دموع الحسرة والألم
وننعي الوفاء في ارتباطنا المهترئ وبناثنا التداعي!

جميلة بعبائها ثمينة بثروتها المعنوية وأضاعاتها
النفسية، وهي ليست دمية جميلة على الدوام، شابة
على مر الزمن، رشيقة في كل الأحوال، وفي صحة
وعافية على مدار الأيام .

لا بد أن تعتري بعض الغيوم وجه القمر، قد
تظلمه لفترة تكرر ضوءه لفترات وتتحدى بهجته
لفترات أخرى، ولكنها لا تغير مضمونه .. ولا تغير
معدنه .. وهكذا هو حال المرأة .

من المحبة والاحترام، لها أن يتقبلها الرجل بكل
حالاتها وعلى اختلاف مراحلها .. فهي زهرة قد
تعصف بها الأنواء ولحن رقيق قد يجرحه نشار
الأيام .

ماذا يبقى للمرأة من مشاعر بعد مرحلة الشباب
والنضارة والرونق .. وربما في بعض الأحوال .
ماذا بعد الصحة والعنفوان؟

ما الذي يبقى للمرأة عند الرجل؟ هذا هو المعيار
الصادق والتقييم الحقيقي في رأيي لدى عمق
المشاعر وقوة ارتباط الرجل بالمرأة .

احتواء المرأة بكل المشاعر في كل الظروف
والاهتمام بها على اختلاف الأحوال هو الوفاء الذي
تطمح فيه كل امرأة، كل زوجة محبة .

ماذا بعد الغروب؟

ألا توجد اشراق في المشاعر، وتوهج في
العواطف وسطوع في المحبة .. هل انتهى الموسم
وضاعت الفرص وانفضت الأمانني وتعثر الزجاء
وضاع الأمل؟

الوفاء خلق كريم ومبدأ ثابت تزدهر به علاقتنا
بالآخرين .. وهو ضرورة ملحة وعملة نادرة يتبادلها
الزوجان عبر رحلتهم المشتركة .. وهو احساس

أ

و

د

ا

ق

ز

و

ج

ي

ة



٩٩١- أبو عواد:

قالت لي تصف معاناتها: انها أرملة رجل حي!! يا لها من عبارة مؤثرة تحتاج إلى مجلدات لوصف معيشة وحياة أرامل لأزواج أحياء يرزقون!! ترى كم يظلم الرجال زوجاتهم وكم في كل بيت صابره...؟ ومن حقي أن أقول بالمقابل كم من الرجال أذلاء في بلاطهن داخل أسوار المنزل وربما خارجها؟

٩٩١- أم عمرو:

إذا ماتت الزوجة في نظر زوجها أو مات الزوج في نظر زوجته فهذا بمثابة تصريح بدفن العلاقة الزوجية قبل أن تزكم رانحتها أنوف المحيطين بها.

٩٩٢- أبو عواد:

أحبك لأجد الوسيلة مقدمة للغاية.. انتي أحبك حب الغاية ذاتها لأنك أهل لذلك ولأن الحب لا ينبغي أن يكون مطية ولا سفينة شرعية، الحب هو المرفأ وهو الغاية والهدف.

٩٩٢- أم عمرو:

لا يوجد في الحب غاية ولا وسيلة. التعريف الوحيد للحب أنه علاقة يعطي فيها كل طرف للآخر بلا سبب ولا مقابل ولا حدود.

٩٩٢- أبو عواد:

هل يتجزأ الحياء؟ سألت نفسي غير مرة هل تكون المرأة خجولة في الطريق وخلاف ذلك في مكان آخر؟ وهل

الخل فستان تلبسه المرأة كغيره من الفساتين الجميلة وتخلعه متى شاءت أم هو شيء متأصل كأصابع يدها وكفها المخضب وأظافرهما المطلية؟..

٩٩٢- أم عمرو:

نعم الحياء لا يتجزأ ولكن كيف يمكن أن نتصور محارباً في معركة على قدر كبير من الحياء.. الحقوق لا تؤخذ بالحياء وخاصة إذا كان من يضع يده عليها لا يتسم بأى قدر من هذه الصفة.

٩٩٤- أبو عواد:

ما هو المجال المغناطيسي لجاذبية المرأة؟.. وكيف يقع مجنوب في مجال من هو أقوى جاذبية؟ وكيف باستطاعة الجانبيتين أن تقض الاشتباك على مجنوب هو في أحسن الأحوال ضحية؟..

٩٩٤- أم عمرو:

المجال المغناطيسي للمرأة هو الدائرة التي يغطيها حبها وحنانها وأمومتها وعلى من يقع داخل إطار هذه الدائرة أن يسكن ويقر عيناً فلن يستطيع الفكك منها أبداً.

٩٩٥- أبو عواد:

الزوجة في حالات معينة تحتاج لأن تعلن في صفوف قواتها البرية والبحرية والجوية حالة التأهب القصوى عندما تشعر بأن هناك عدواً يهدد حدودها الأمانة! أليس كذلك؟

٩٩٥- أم عمرو:

إن إحساس المرأة بالخطر المحقق



عندما يصبح جهازه محطة استقبال لارسال إباحي
من صديق غير مخلص!!

٩٩٨= أم عمرو:

من الأفضل أن نربي بناتنا ليكن حارسات على
أنفسهن فمهما نصبنا من أنفسنا حراساً عليهن فلن
نتمكن من ذلك على مدار الساعة. المرأة الفاضلة لا
تسمح لأحد بالتجاوز عليها وهي أكثر قدرة على قطع
لسان كل من يحاول ذلك.

٩٩٩= أبو عواد:

ليست في نساء اليوم امرأة كامرأة أيوب عليه
السلام ولا كزوجة فرعون «آسيه» جميعهن يتظاهرن
بالحب والتضحيات. وعند أول منعطف يجد الزوج
نفسه وحيداً!!

٩٩٩= أم عمرو:

وهل يوجد من رجال اليوم من يعتبر نفسه مثل
أيوب عليه السلام؟ أين يوجد هذا الرجل؟.

١٠٠٠= أبو عواد:

جميع الساقطين على وجه الأرض هم الذين
أوصلوا المرأة إلى هذا الغرور والعنجهية التي باتت
معها لا تريد أن تسمع شيئاً غير المديح والثناء
والإطراء والتذلل في بلاطها كأنها صدقت نباح تلك
الكلاب الضالة وحوم خفافيش الليل حولها!!

١٠٠٠= أم عمرو:

لا اعرف كيف وصل الرجل الى هذه الدرجة من
البخل؟ حتى الثناء والمديح التي لا يكلفه شيئاً يريد
أن يضمن به. المديح والثناء تعزيز يشجع الطرف
الأخر على المزيد من العطاء والتضحية، والغف المملوء
بالكلمات العذبة طيب الرائحة.

ببيتها وحشدها لكل أسلحتها القضاء على الهوام
التي تزحف حوله هو غريزة وضعتها الله فيها وفي
أغلب الكائنات الأخرى للمحافظة على عشاها وعلى
صغارها.

٩٩٦= أبو عواد:

إذا اطمأنت الزوجة أن زوجها كما يقولون -
حمامة مسجد!! وسرحت قواتها الاحتياطية فإنها
وحدها تتحمل المسؤولية إذا حدث عدوان غاشم
وأصبح الزوج أسيراً في أيدي الأعداء!!

٩٩٦= أم عمرو:

أشفق على الرجال من هذه الصفة التي
يلحقونها بأنفسهم. أنهم ليسوا كائنات مسلوية
الإرادة كما يدعون وعندما يقعون في شرك منصوب
فإنهم يفعلون ذلك بمطلق إرادتهم وعليهم أن يرتفعوا
إلى مستوى تحمل مسئولية ما يفعلون ولا داعي لمثل
هذه الأعداء الواهية، مكشوفة هذه اللعبة!.

٩٩٧= أبو عواد:

أوافق الشاعر في قوله «وبعض مودات الرجال
سراب» .. لكن البعض الآخر من هذه المودات ماء
عذب وينابيع دافئة فيها يطفأ الظم وتبرأ العلة..
لكن الذي في معظمه سراب هو مودات النساء ما لم
تكن أماً أو أختاً إلا ما ندر!!

٩٩٧= أم عمرو:

تصبح مودة الزوجة لزوجها سراباً ويتعذر عليه
أن يتيقن من صدق مشاعرها إذا شاركتها فيه زوجة
أخرى. هنا تتحول المشاعر إلى المنافسة ولا تتبع من
نفس صافية.

٩٩٨= أبو عواد:

على الزوج العاقل أن يقطع الحرارة عن هاتفه

رسالة من الأبوريكي إلى السيدة الجميلة

أميمة معذبتي:

غادرت خراسان عند الفجر وهاك رسالتي
أبعثها إليك مع صديقي ثابت بن علي، فأقرئها
وتدبري معانيها وما تشي به، فليسوف تطلعين فيها
على صدرى وما يكنه لك من حب وودادة.. وما
يحفظه لك من تقدير وإجلال، وليسوف تطلعين فيه
على أسباب سفرى المفاجيء بغير أن أنذرك.. فقد
سئمت العتاب، وسئمت توترات الخصام وما يسببه
لى من قلق بالنهاة وأرق بالليل. وذلك هو العذاب
الواصب الذى لا يحتله إنسان مثلى.

رأيتك يا معذبتي وقد دأبت فى الأيام الأخيرة
على السخرية منى والتهكم على. وكأنك لا تعرفين
من أنا ومن أكون ومن أبائى وأجدادى.. أنا
سليل العظام والكبراء:

جدى معاوية الأغر سمع به

جرثومة من طينها خلق النبى

وورثته شرفاً رفعت مناره

فبنو أمية يفخرون به لى

إن همتي كبيرة عظيمة، وإن شأى إرادتى لا

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي

- مصر -

• هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس
أحمد

• ينتهى نسبه إلى معاوية بن أبي سفيان

• ولد في مدينة أبور، خراسان

• كان فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية -
تسابة.

• أخذ عن عبد القاهر الجرجاني في
التنوير.

• مدح أمراء خراسان وخلفاء العراق
وأمرائها.

• تولى خزانة دار الكتب بالنظامية ببغداد.

• في آخر عمره تولى الإشراف على رجا
سلطة السلطان محمد بن ملكشاه.

• مات بالمشهد سنة ٥٧٧ هجرية

• من تصانيفه

أ - كتاب قصة العجلان في نسب آل أبى
سليان.

ب - كتاب زفة الخائف.

ج - كتاب من طبقات العلم في كل فن.

د - كتاب كركي المتأمل. يصف فيه
الحيل.



فبات يريني الخطب كيف اعتدائه ويت أربه الصبر كيف يكون

أميمة معذبتي:

تركك يا معذبتي ففادرت خراسان واتجهت
صوب مملكة الأمير الهمام الشجاع مقارع الروم
ومنازلهم وداحرهم .. قصدته في ثلة من فرسانه
واتجهت إلى قصره .. وفي الليلة التي يعقدها للشعراء
والزائرين من طلاب المصالح انتظرت .. أن أسمع
قصيدتي في مدحه وقد أبدعت فيها أيما إبداع ..
ولسوء حظي اعتذر عن السماع ووعدني يوماً غير
ذلك ليعد ما يليق بمنته إجازته مما يحسن بين الناس
نكره ويبقى على ممر الأيام أثره .. أنشد أخذتني
حمية الكبرياء وأمرت أصحابي أن يعيروا ثقلة
الفرات متفرقين في دفعات، وانسلت من غير أن
يعلم أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش، فإنه
سمعني أنشد على شاطئ الفرات حين عبوري:

أبابل لا واديك بالخير مفعم
لراج ولا نايك بالرفد أهل
لئن ضقت عني فالبلاء فسيحة
وحسبك عاراً أننى عنك راحل
فلن كت بالسحر الحلال مدلة
فعدنى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها
وكل مكان خيمت فيه بابل

فبأثر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له:
رأيت على شاطئ الفرات فارساً يريد العبور إلى
الشرق وهو ينشد هذه الأبيات - فقال سيف الدولة:

يعرف له حدود أو أماد يقف عندها، أو أبعاد ينتهي
إليها - هل تذكرين يوم تهكمت عليّ حين دعوت ربي
قائلاً: «اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاريها» ..
وأنتك تقولين: «أى شيء هذا الدعاء؟» فرددت عليك
بما يجسد إرادتي وخليقتي، وبما يثبت لك أنني جاد
فيما أطمح إليه - فأنا لست خائر الإرادة ولا ساقط
الهمة ولا ممن يركنون إلى السلامة:

يعيرني أخو عجل إبائي
على علمي وتيهي واختيالي
ويعلم أنني فـرط لحي
حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست بحاصن إن لم أزرها
على نهل شيبا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجال مدائ فيما
أحاوله فلست من الرجال

فهل كنت تظنين يا معذبتي أنني ممن يرضون
بالدون أو ممن يضرعون على أعتاب الملوك والأمراء
والوجهاء؟ لست من هؤلاء أبداً، ولكني أبي عنود
شموس .. أمدحهم؟ نعم .. أبجلهم؟ نعم .. أبسط
أيديهم بالنعم؟ نعم .. ولكن عن عزة نفس وشموخ
إرادة وترفع عن سواء الناس .. فقمامي رفيع، وشأني
عظيم .. فلم أتزلف إلى أصحاب الشأن تزلف
الضراعة والذلة؟

لا أنكر أن دهري تنكر لي، وسوف يتنكر لي
ولكنه لن ينال من صمود إرادتي وعزة نفسي:
تنكر لي دهري ولم يدر أنني
أعز وأحداث الزمان تهون

وأبيك، هو الأبيوردي، فركب لوقتبه في قل من
عسكره .. فلحقني، فاعتذر، وسألني الرجوع
وعرقتي عذره في امتناعه عن سماع شعري وأمر
بإنزالي في قصره معه وحمل إلي ألف دينار ومن
الخيال والثياب ما يزيد على ذلك قيمة.

أميمة معذبتي:

في تلك الليالي التي قضيتها في ضيافة الملك
النبيل الجسور سيف الدولة بن حمدان، في تلك
الليالي لم يغمض لي جفن: صورتك لا تفارق خيالي
وحبك لا يتركني بحالي يفتح لخطري ذكرياتي معك
فيعاودني الحنين إليك .. وإنه لعذاب:

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة

بالقلب تجلب عبرة المشتاق

وتنود عن قلبي سواك كما أבי

دمعي جواز النوم بالأمواق

لم يبق مني الحب غير حشاشة

تشكو الصبابة فاذهبى بالباقي

أيمل من جلب السقام طبيببه

ويقيق من سحرته عين الراقي

إن كان طرفك ذاق ريقك فالذي

ألقى من المسقى فعل الساقى

نفسى قداوك من ظلوم أعطيت

رق القلوب وطاعة الأحداق

فلقطة الأشبهاء فيما أوتيت

أضحت تدل بكثرة العشاق

هلا تذكرت يا معذبتي كما تذكرت أنا ليالي

زمن العذيب؟ هل تذكرينها؟ ما كان أبهجها: بل ما
كان أنضرها وأنضرنا .. كنا في غضارة الشباب
وفجر الفتوة ورويق الحياة بأطياها وأحلامها
وأمانها .. وكنا حيث نعيش بالهوى أو يعيث بنا
الهوى في غرارة ويكارة .. لا نعرف الأسرار أو
الإسرار، ولا نعرف المواربة أو المداجاة .. نلهم
وتلعب ونخطر الهويني تارة ونستبق إلى أشواقنا
تارة .. أه، ما أحلاها من ذكريات خليق بضمير
الحب ألا ينساها أو أن يتنكر لها فهي صفو الزلال
الذي يشفي صدانا ولطانا .. معذبتي:

لك من غليل صبابتي ما أضمر

وأسر من ألم الفرام وأظهر

وتذكرى زمن العذيب يشفني

والوجد ممنويه المتذكر

إذ لمتى سحماء مد على النقا

أظلالها ورق الشباب الأخضر

ولاداتك المنشأ الصغار وليس ما

ألقاه فيك من الملام يصفر

هو ملعب شرقت بنا أرجائه

إذ نحن في حلل الشبيبة نخطر

فيهر أنفاسي وصوب مدامعي

أضحت معاله تروح وتطر

وأجيل في تلك المعاهد ناظري

فالقلب يعرفها وطرقي ينكر

أميمة معذبتي:

مما يكاد يبكي. أننى يوم دخلت بغداد، النصف
حولى شردمة من الأفاقين زينا لى مهاجمة الخليفة



فتتجع في مطالبها كلاب
وأسد الغاب ضارية تخيب
وتقسم هذه الأرزاق فينا
لما ندري أخطئ أم تصيب؟

أميمة معجذيتي:

غادرت بغداد إلى أصبهان... ولا أخفي عنك يا
حببيتي أن قد خالجتني شكوك كثيرة من جدوى
نهايى إلى تلك الملكة فكنت إلى اليأس أقرب منى
إلى التفاؤل ولكن حالتي النفسية قرت وهذأت عندما
جعلنى أميرها قيما على الوجهاء والأشراف. عندئذ
تذكرت نصيحتك لى بأن أهاجم الناس وأشتهم
وأزري بهم في شعري فذلك هو السبيل الوحيد
لإرغامهم على أن يجوبوا بالمال وهم صاغرون... وأه
لو سرت بتصيحتك المشؤمة هذه لهبطت منزلتى عند
الناس فضلا على الملوك والخلفاء والأمراء... يومها
قلت لك:

كفى أميمة غرب اللوم والعذل
فليس عرضى على حال بعيتذل
إن معنى العدم فاستبقى الحياء ولا
تكلفينى سؤال العصبية السؤل
فشعر مثلى وخير القول أصنقه
ما كان يغتر عن فخر وعن غزل
أما الهجاء فلا أرضى به خلقا
والمدح إن قلت فالجد يغضب لى

حببيتي معجذيتي:

أحن وللأضواء بالفور حنة
إذا تكررت أوطانها برىا نجد

فوافقهم مداراة حتى أتخلص منهم وأتقى سفاتهم.
وما أن علم بى أمير بغداد حتى دعانى إليه. وكان
كريما عطوفاً يقدر الرجال ولا يبخل عليهم بمال.
وأكثر من هذا فإنه جعلنى خازنا لدار الكتب
النظامية ففرحت بهذه الوظيفة لأنها يسرت لى
أمرين:

أولهما: أنتى تجنبى السفهاء الثقلاء... والآخر
أنها أعطتنى فسحة من الراحة والطمئنان بعد طول
ترحل في الأفاق، ولكن الوظيفة لنحس طالعلى لم
تنجنى من ثقلء الأمراء الذين منحتهم الدنيا بغير
حساب وهم لا يستحقون سوى ضرب النعال... هنا
ألح علي السأم أن أهجى بغداد وأتجه صوب
أصبهان:

فقد سئمت مقامى بين شرمة
إذا نظرت إليها قطبت همى
أراذل ملوكا الدنيا وأوجههم
لم يكشف الفقر عنها بهجة النعم

أليس محيراً للعقول أن يملك الدنيا الطغاة
الأراذل؟ أليس محيراً للعقول أن يفوز الأندياء
السوقة بالوجاهة والمناصب الرقعية ويقصى دونها
الأشراف أصحاب الأقدار العالية والأصول
السامية... إن ذلك لهو الخلل الذى يكاد يعصف
بإيماننا... وإنها:

خطوب للقلوب بها وجيب
تكاد لها مفارقنا تشيب
نرى الأقدار جارية بفسر
يريب نوى العقول بما يريب

شجرات الزئبق

٢٩٧ - قلب

الحيوان:

كتب صياد

أوربي يعلن توبته

عن اصطياد الحيوانات فكان مما قال:

«ذهبتُ إلى الغابة ذات صباح، فرأيتُ قرداً

جميل الصورة بالنسبة إلى فصيلته، وهو صغير

وحده على الشجرة يقفز من مكان إلى مكان في

أعاليتها، وكأنه طروب فرح بصفاء الجو، وخضرة

الشجر، فأردت أن أصيده لأحتفظ به كي أبيع

بشمن غال، وصويت البندقية إلى قمبه، ولكنها

أخطأت المكان فاتجهت إلى موضع قاتل، وسارعت

فحملته جاهلاً مكان الإصابة من جسمه، وما كنت

أنتقل به إلى منزلي الصيدي في الغابة حتى

سمعت ضجة عالية، ورأيت عشرات القردة تزحف

نحو منزلي، فلوصدت الباب، ولكنها تجمعت وكأنها

صممت على ألا تذهب حتى ترجع بالقرود الصغير،

فاضطرت أن أرميه إليها بعد أن فارق الحياة،

فحين أبصرته ميتاً، جعلت تتصرف واحداً واحداً،

الاقردة عجوزاً أخذت تضمه بشدة إلى صدرها،

ثم تتركه وتضع التراب على رأسها، ودموعها

تتهمر كالإنسان تماماً دون فارق، وزاد أسفى حين

أبصرتها تقبل كل عضو من أعضائه، ودموعها لا

تزال تتهمر، ثم رأيتها تجره، وتحمله، وتسير به،

وكانت تعجز عن مواصلة السير، فتضعه على

الأرض وقتاً، ثم تحمله، وأنا أتابعها، وقلبي يتقطع

من الندم، ولم أذق اليوم والليلة طعاماً، لأن منظر

الأم العجوز في بكاؤها ووضع التراب على رأسها،

لم يجعلني أفكر إلا فيها وفي ولدها الصريع، وفي

الصباح جهزت أمتعتي، وعزمت على السفر، وأنا

سائل نفسي، إذا كنت قد اصطدت أكثر من مائتي

حيوان، فكأنني فجعت أكثر من مائتي أم، ولا

أدري... وكان طبعياً أن أترك هذه المهنة القاسية!

القاسية حقاً دون جدال».

٢٩٨ - رهبة العصافير:

قال الجاحظ في الحيوان:

وليس في الأرض طائر ولا سبُع ولا بهيمة

أحنى على ولد ولا أشد به شغفاً من العصافير،

فإنها إذا أصيبت بولادها أو خافت عليها العطب،

فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثل

الذي مع العصافير، لأن العصفور يرى الحية قد

أقبلت نحو عشه ووكره لتأكل بيضه وفراخه،

فيصيح ويرنق فلا يسمع صوته عصفور إلا أقبل

عليه وصنع مثل صنيعه بحرقة ولوعة وقلق،

واستغاثة وصراخ، وربما أفلت الفرخ وسقط إلى

الأرض، وقد ذهبت الحية، فيجتمعن عليه إذا كان

قد نبت ريشه أدنى نبات، فلا زلن يهيجنه ويطرن

حوله، لعلمها أن ذلك يحدث للفرخ قوة على

ويذكر كباتب هذه السطور بمجلة الكتاب الأستاذ عوض جندى - مقالا قرأه في شبابه في إحدى المجلات الإنجليزية، جاء فيه ما يلي تأييدا لهذا النبأ:

كان لسيدة انجليزية أرنب جميلة أهدتها إليها إحدى صديقاتها، فشغفت الأرنب بحب تلك السيدة، حتى كانت لا تفارقها متى أطلقت من قفصها إذ كانت تتبعها حيث تذهب، كما يتبع الكلب صاحبه وترفض الطعام إذا قدمه إليها أحد سواها، وكانت السيدة تقطن في أرياف إنجلترا فاضطرت إلى مغادرتها لقضاء بضعة أسابيع في لندن، فلم تبدأ من ترك الأرنب في منزلها تحت رعاية خدماها، لتعزى مرافقتها إياها في مساكن العاصمة الانجليزية، فحزنت الأرنب حزناً شديداً على فراق سيدتها وصامتت عن الطعام، وأبت الخروج من قفصها، فأخذ الخدم يحرصونها على الأكل بالذ أنوعه، فكانت ترفضه رفضاً باتاً، فصاروا يتوقعون أن يقهرها سلطان الجوع ذات يوم، ويكسر شوكة عنادها فتأكل مرغمة ولكنهم كانوا مخطئين، لأن الأرنب ظلت صائمة، حتى آل الأمر إلى استدعاء صاحبها المحبوبة من لندن، فعادت، وما إن رأت الأرنب سيدتها حتى هربت إليها، وتعلقت بها كأنها تريد مصافحتها.

وحديثي - والكلام لصاحب المقال - قريب لي، في العقد الثامن من عمره، فقال شاهدت منذ

النهوض، فإذا نهض طرن حواليه وبونه يشجعته بذلك العمل، ولو أن إنساناً أخذ فرخي عصفور من وكرة بحيث يراههما أبواه في منزله لوجد العصفور يقتحم ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزال في تعبه بما يعيشه حتى يستغنى عنه، ثم يتحمل في ذلك غاية التفرير والمخاطرة، وذلك من فرط الرقة على الولد.

٢٩٩ - حزن الحيوان:

جاء في مجلة الكتاب (مارس ١٩٥٢):

نشرت الصحف المصرية أخيراً برقية طريفة من ميلانو في إيطاليا تقول: امتنع عن الطعام منذ يوم عيد رأس السنة الأسود والنمور والفهود في حديقة الحيوان بميلانو بعد أن توفي مدير الحديقة الذي كان يعطف على الحيوانات ويطعمها بيده، فقد فقدت الحيوانات شهوتها للطعام حزناً على المدير الذي كان يمر بها جميعاً ويلطفها، ويتحدث إليها كل يوم عندما يوزع عليها الطعام.

ولما توفي في يوم رأس السنة افتقدته الحيوانات، وراحت تزار وتعمى حزناً عليه، ثم امتنعت عن الطعام، وقد صرّح موظفو الحديقة أنهم بعثوا إلى أرملة المدير، وهي الأخرى صديقة الحيوانات يسألونها العون، ويطلبون إليها أن تكفكف دموع هذه الحيوانات التي صدها الأسى عن الطعام والشراب.

نصف قرن في بلدتنا بمديرية البحيرة كلباً أميناً
 يموت حزناً فوق رمس صاحبه الذي كان في حياته
 يطعمه بيده، صباحاً وظهراً ومساءً، فقلت حبذا
 هذا الإخلاص...
٤٠٠ - الذئب العاشق:
 قصة واقعية أروها بتصرف عن الدكتور
 يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف في كتابه
 عن التاريخ الطبيعى: في كرمبو بولاية المكسيك
 سهول فسيحة كثيرة القطعان خصبة المراعي،
 ولكن يعكر صفوها ذئب خطير كبير الحجم، لقبه
 الأهليون (بملك كرمبو) وهو زعيم عرجلة من الذئاب
 تآتم بأمره، فيسلطها على جموع الماشية لتفتك بها
 ويمن يحرسها، حتى أصبح اسمه مصدر رعب
 صاعق، وكان ذا حيلة لا تتيسر إلا لإنسان عاقل
 مدرك، فهو يحتال على الإيقاع بالمزارعين بما لا
 يدور في ذهن بشر.

وقصة هذه الفخاخ طويلة يصعب سردها،
 وكلها تنتهى بالفشل، غير أن صياداً ماكراً أشار
 على القوم باستدعاء ذئبة جميلة من إقليم عيَّته،
 لتكون مصدر سرور للذئب الذى لم يشاهد هذا
 النوع من الذئاب الدنماركية، وطبيعى أنه
 سيفتديها بروحه، وأنها لا تحوى تجربته الماكرة،
 فإذا وقعت في فخ محكم مما يتحاشاه الماكِر
 الداهية فإنه سيتدخل لإنقاذها، ولابد أن يلحظ على
 بعد، ليعقبه الرصاص القاتل داخل الفخ الحديدى

وقد حاول الرعاة قتل (لويو) وهذا اسمه
 المشتهر بينهم بكل وسيلة ممكنة، بالسهم والفخاخ
 والأسلحة النارية فكان أتباعه تتساقط لتتجدد أما
 هو فممن مكره في حرز حريز، وحين ضاق
 المزارعون به أعلنوا أنهم يعطون خمسين ألفاً من
 الدولارات لمن يتمكن من صيده، فأراد صياد ثري
 شهير أن يفوز بالجائزة، وأعد الأسلحة والكلاب
 المدربة والصيادين الخاضعين لإشاراته، وجعلوا
 يترصدونه نون جوى، لأنه يعتصم بالمغاور والآكام

صفر ١٤٢٠ هـ - مايو / أيار ١٩٩٩ م

وغيذا، فجعلت تكلل هائلة قريبة، حتى قصت
لبانتها، ثم رجعت ثانية الى طلاها فصادفت أسوأ
موقف!! صادفت بقية أشلاء يغمرها الدم، إذ أتبع
له سبع مقترس لم يك يرمقه حتى جعله غداً
الهنيء، ولا تسلي عن حزننها اللاب، وأسأها
الوجيع حين طفت تنظر إلى حشاشتها القتيلة في
ذعر هائج، وفي النفس ما بها من جذوات الصرة،
هذه الصرة الكاوية جعلها الشاعر الإيبوردي
مثيلة لحسرتة حين فارق حبيبته مكرها فقال:

وما أم ساجي الطرف مال به الكرى
على عذبات الجزع تحسب قلبا
تُراعي يلحدي مقلبتها كناسها
وترمي بثغري نحوه نظرا غريا
فلاح لها من جانب الرمل مرتع
كان الربيع الطلق ألبس عسبا
وأنسها المرعى الخصب فصادفت
مدى العين في أرجائه بلدا خصباً
فلما قضت منه اللبنة راجعت

طلاها فآلفته قضى بعدها نجبا
أتبع له عارى السواعد لم يزل
يخوض إلى أوطاره مطلباً صعبا
فولت على دعر وفي النفس ما بها
من الكرب، لا لاقيت في حادث كريا
بأوجد منى يوم عجت ركابها
لبن فلم تترك لذي صبوة لباً

الثقل فلا يستطيع النجاة، والرصاص ينهال عليه
من كل مكان، وجاءت الذئبة المسكينة وتركت في
السهل الممتد، فتجمع حولها الذئاب في فرح،
ورأها (لويو) فاصطفاها لنفسه، وجعلها أميرة
الذئاب لا يمكن لغيرها أن يتقدمه في المسير، ووثق
القوم من الخطوات الأولى في نجاح الخطة،
فأخذوا يرصدون الفخاخ الثقيلة ذات الحديد
الأمم، ويراقبون في حذر مجيء الذئبة إلى الماء
حيث توضع الفخاخ، حتى تمت الواقعة وهوت في
الشرك، فصاحت صيحة مرعبة سمعها (لويو)
فأقبل يعدو من السهل البعيد، ولم يحجم عن
انتشالها فاندفع إلى الفخ يحاول انقاذاها، وانهال
عليه الرصاص من كل صوب، فهوت قوته، ولم
يستطع الوثوب بحبيبته، وتقدم القوم يرونه في
الاحتضار، فكان ينظر إليهم باشمئزاز وقد أدرك
عاقبته المحتومة، أما الذئبة الدنماركية فقد ذاقت
حتفها لأول طلقة من طلقات الرصاص، وكانت هي
الطعم اللذيذ.

٤٠١- من شعر الإيبوردي:

لهذا الشاعر نفثات وجدانية رقيقة، وقد عبّر
عن بعض لواعجه مستعيناً بصورة فنية، لظبية
جميلة ترعى مرجاً ناضراً بالجرع، ومن خلفها
ولدها الصغير، لا يكاد يقدر على القفز وراعاها،
فتركتها في ظل أراكة لتعود إليه بعد أن ترعى نبات
المرج وأنسها المرعى الخصب بما يضم من ثمر

وفي نهاية الكتاب جعل الكاتب فصلا عن (الشعراء في مواجهة الموت) وفصلا آخر تحت عنوان (واسوف يعطيك ريك قترضى) والكتاب في مجمله هو تألف بين الطب والأدب.. إنه كتاب يجمع بين طرافة الأدب ولذة المعرفة الطبية في العديد من الموضوعات التي تهمل كل أنسيان. والكتاب يحتوي على ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير طباعة دار القلم دمشق.



**** المختار من أشعار الاخيار -** جمع وإعداد المهندس عبد الله سند الجودي
وأحتوى الكتاب على كم وفير من الأشعار جمعت من خير ما نطق به الملوك خاصة وكبار القوم عامة والشعراء منهم وقد وضعت تحت عناوين منها: (نصرة

الدعوة المحمدية - مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) - التهديد والوعيد - السباحة والشفاقة - الفخر - الرثاء - المدح - الأمثال والحكم - الفزل - صمود الحب - وصية والد لولده - العجاسة - صروف الزمان... الخ).

والكتاب يحتوي على ٢٣٠ صفحة من الحجم الكبير الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

**** كيف تحمي صحتنا من أخطار الكمبيوتر** تأليف الدكتور: عبد البديع حمزة زلي.

هذا الكتاب يوجه الانتباه الى الكيفية السليمة لاستخدام أجهزة الحاسب الآلي بحيث لا تعرضنا إلى أخطار محتملة. وإن من العادات الخاطئة التي يقدم عليها بعض من يستخدمون هذه الأجهزة مما تجعلهم يعانون على أنفسهم فيعرضون صحتهم إلى الأذى أو إلى الهلاك ولابد من أخذ الحيطة والحذر من سوء استخدام الحاسب الآلي ولابد من الانتباه الى الاساليب الصحية السليمة لاستخدام هذه الأجهزة، حتى لا يعتدى مستخدموها على أنفسهم، إذ أنه إذا أحسن الانسان استخدام أجهزة



**** في موكب الزمن** - ذكريات ويشجون قروية - تأليف: محسن أحمد ياروم.
هذا الكتاب يمثل ألوانا من الذكريات وصورا من الحياة وضرويا من التجارب مرت على المؤلف خلال اشتغاله بالخدمة الحكومية في وزارة المعارف قبل

ثلاثين سنة تقريبا. جمعها الكاتب ليُري القارئ مقدار البون التاسع الذي طرأ على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال نصف قرن.

والكتاب لا يرسم ملامح دقيقة للسيرة الذاتية لكاتبه وإنما هو فصول انتقاما الكاتب من واقع الحياة التي عاشها، تصور ضرويا من الذكريات التي طافت بذهنه عن أحداث مرت عبر طفولته وصباه فحقرت في أعماق نفسه ضرويا من النديبات والجروح والمناشط والمكاره رأى أن يسجلها لتضيء معالم الطريق للسائرين من أبناء الأجيال الصاعدة فيه.

والكتاب مجلد ويحتوى على ٢٥٥ صفحة من الحجم الكبير، طباعة عالم المعرفة بجدة للنشر والتوزيع.

**** الداء... والدواء بين الأطباء والأدباء** تأليف الدكتور/ حسان شمسي باشا استشاري أمراض القلب.

وابتدأ المؤلف الكتاب بفصل ذكر فيه ما قاله الشعراء في مرضهم أو مرض أبنائهم. وجعله تحت عنوان الشعر والمرض.

ثم جعل فصلا آخر بعنوان بين الطبيب وفريضه تناول فيه أدب الطبيب ونصائحه، ومدح الأطباء وهجاءهم ورتابهم وأجرتهم وجشع بعضهم وغير ذلك مما يخص الأطباء.

وتتلاقح الفصول لتتحدث عن عالم النوم، والأرق، والأحلام، وهموم الشيخوخة وأعبائها وأمراض الجلد والحسبة والجذري والجذام... الخ... من الأمراض المستعصية وغيرها.





والكتاب يحتوي على ١٢٨ صفحة من الحجم الكبير .

الحاسب الآلي فلن يعرض نفسه الى الأذى .

والكتاب يحتوي على ١٢٨ صفحة من الحجم الكبير .

الاتصال والاعلام) هذا الكتاب يعتبر دراسة منهجية قيمة للصحافة اليمنية ماضيها وحاضرها وتطورها .



**** «وطني» سيد البقاع» ديوان شعر للأستاذ الشاعر ابراهيم صباي، صادر نادي ابها الأدبي ١٤١٩هـ، اشتمل الديوان على (إحدى عشرة قصيدة) تغنى فيها الشاعر لهذا الوطن الغالي .**

**** «من جوانب العدالة عند الملك عبد العزيز» تأليف الاستاذ عبد الرحمن بن صالح آل عبد اللطيف .**

هذا الكتاب عرض موثق عن جوانب العدالة في حياة الملك عبد العزيز، وفيه أخيار وقصص عن صفات الملك عبد العزيز



وشخصيته ولحات عن تاريخ حياته في الكويت وشجاعته، وتوخيه الدقة في اختيار رجال نواته الأكفاء، وبحقوق المواطن والتكافل الاجتماعي الذي هو من أبرز مميزات الدولة السعودية .



**** «ترجمة الكتب الى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية» دراسة بيليو مصرية بقلم نورة صالح الناصر، من منشورات مكتبة الملك/ عبد العزيز العامة/ الرياض. الكتاب شمل الفترة (١٣٥١-١٤١٢هـ) هذا الكتاب صدر في سلسلة (الاعمال المحكمة) برقم ٢٦، وجاء الكتاب في أكثر من (٦٠٠) صفحة .**

هذا الكتاب يبحث في اعمال الترجمة إلى العربية في المملكة العربية خلال ستين عاماً، في كل مجالات وميادين العمل في المملكة



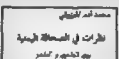
**** «شهود هذا العصر» بقلم الأستاذ/ محمد الوكيل رئيس تحرير صحيفة المسانية. الكتاب مجموعة لقاءات وحوارات أجراها الأستاذ محمد الوكيل مع عدد من رجال الملك عبد العزيز -رحمه الله- ومع أصحاب السمو الملكي الأمراء،**

ورؤساء البول، ومع رجال المال والأعمال» ومع عدد من المثقفين والفكرين .

والكتاب في جزئه الأول يمثل توثيقاً لتاريخ المملكة على لسان من أجريت معهم الحوارات واللقاءات . . ونتمنى للأستاذ الوكيل التوفيق في إصدار ما تبقى من هذا الإصدار .

**** «أبيك يا ودي» كتاب من إعداد الأستاذ خالد بن محمد المالـك .**

الكتاب دمة حزينة حرى على ابنه (فهد) والكتاب في مجمله كلمات عزاء من محبي الأستاذ المالكي، في وفاة ابنه (فهد) والكتاب صيغة من صيغ التواد والتراحم الاجتماعي الذي يتمتع به شعب هذه البلاد الطيبة .



**** «نظرات في الصحافة اليمنية» تأليف الأستاذ محمد آدم التروقي .**

جاء الكتاب في ستة فصول فيها (بيانات) الصحافة اليمنية، الصحافة بعد الثورة، صور

نحو دراسة جامعية مضمونة النتائج

يشكو الكثير من أساتذة الجامعات، في هذه الأيام، من ضعف المستوى الثقافي لدى الطلاب المنتسبين الجدد الى الجامعات، فتلقى اللائمة على مدارس ما قبل التعليم الجامعي التي تحاول بدورها أن تتدارك الخلل بمراجعة مستمرة للمناهج وطرق التدريس فيها، ولكن على الرغم مما تقوم به المدارس من تحسين وتنظيم، لا يزال الجدال مستمرا والتهمة قائمة.

فالمشكلة، كما يراها الكثير من أساتذة الجامعات، تتمثل في غياب أو ضعف الترابط بين المناهج المدرسية والمناهج الجامعية، فمن المفترض أن يأتي الطالب من المدرسة إلى الجامعة وهو يحمل في حقيقته المبادئ الأولية والأساسية لنوع العلم الذي ينوي التخصص فيه، فينحصر دور الجامعة بالنهوض بالطالب من خلال هذه المبادئ والأساسيات إلى عالم أكثر انفتاحاً ومعرفة، فيطلع على جزئيات هذا العلم ومكوناته من البداية إلى القمة، ويتعرف على أسماء من شارك في بناء مملكته، وذلك من أجل النهوض بالمستوى الإدراكي للطالب وتأهيله للابتكار والإبداع. إذاً، لا بد من وجود أساسيات لدى الطالب، والتي تؤلف المنصة التي يمكن أن ينطلق منها ليتابع دراسته بتجاح في المرحلة الجامعية.

فلو ألقينا نظرة شاملة وسريعة إلى ما يُدرّس في مدارس ما قبل الجامعة لرأينا أن هناك من العلوم ما يدرّس كله أو نصفه أو جزء منه، وأن هناك من المواضيع التي تدرّسها المدارس بشكل مفصل تعتبر في الجامعة مواضيع غير أساسية أو لا حاجة لها، وهناك من العلوم ما يتطلب حصصاً أكثر من بعض العلوم الأخرى، والعكس ربما يكون صحيحاً، وعلينا أن لا ننكر فضل المدرسة وأعباءها الكثيرة والنور الأمثل الذي تقوم به في تربية الأجيال، بالإضافة إلى مسؤوليتها أمام المجتمع والوطن.

ومن أجل تأهيل الطلاب، أو إعدادهم للدراسة الجامعية يجب أن يكون هناك تنسيق متكامل ودقيق، بين المناهج المدرسية والجامعية، ولا يمكن أن يكون هذا التنسيق متكاملاً ومتفاعلاً، ما لم تكن هناك مرحلة تخصصية تسبق دخول الطالب إلى الجامعة، يدرّس فيها مبادئ وأساسيات العلوم بكل تخصصاتها.

وعلى هذا الأساس نقترح تخصيص ما يسمى «بالمرحلة الثانوية» للقيام بهذه المهمة، فالمرحلة الثانوية بسنواتها الثلاث، يمكن أن تكون دراسة تخصصية، ونعني بذلك إيجاد تخصصات معانلة لتخصصات الجامعة أو لفروعها وأقسامها، وأن تكون المرحلة الإعدادية «المتوسطة» مرحلة ثقافية يدرس فيها مجمل العلوم العامة، بحيث يقوم المدرس في هذه المرحلة بإعطاء فكرة شاملة وعامة عن كل علم من العلوم، موضحاً إيجابياته وسلبياته وأهميته في المستقبل، وحاجة المجتمع له وإعطاء تقييم كامل عن هذا العلم، على أن يكون التقييم واقعياً ومنطقياً، بحيث يستطيع الطالب في هذه المرحلة تكوين مفهوم شامل ومتكامل، عن ماهية العلوم، ليستطيع في النهاية اختيار ما يجده مناسباً لقدراته ورغباته لتكون مهنته في المستقبل.

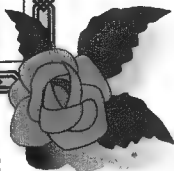
على هذا الأساس يجب أن يترك للطالب حرية اختيار نوعية العلم عند الانتقال إلى المرحلة الثانوية، والتي كما أشرنا ستكون «تخصصية»، وأنه لا بد من التأكيد بأن اختيار الطالب لنوع العلم الذي يتخصص فيه في المرحلة الثانوية، يجب أن يكون نابعاً من رغبته الذاتية بعيداً عن ضغوط الأهل أو رغباتهم أو مؤثراتهم أو التقييم المدرسي، ونعني بذلك أن لا يدخل تحصيل الطالب أو علاماته أو تقييمه العلمي في تحديد نوع تخصصه، أو إرغامه على دراسة تخصص ليس مقتنعاً به وذلك تحت أي ذريعة من الذرائع، وأن يكون اختيار الطالب نابعاً عن رغبة ذاتية سليمة وصادقة.

ربما يدعي البعض بأن الطالب لا يستطيع في هذه المرحلة أن يختار بنفسه نوع مهنته في المستقبل، ولكن في اعتقادي أن مثل هذا الادعاء أو المفهوم ليس شاملاً وعاماً، فمن خلال تجاربنا وتجارب الكثير ممن نعرفهم ومن قرأنا عنهم، نعتقد أن الطالب في هذه المرحلة بالذات يستطيع أن يكون فكرة عامة عن نوع التخصص الذي يود دراسته في الجامعة.

هذا ومن أجل التكامل والتطابق بين المناهج المدرسية والجامعية، لا بد من وجود لجنة مشتركة تعمل بشكل متواصل على إعداد المناهج ومراقبة تنفيذها في كل من المرحلة التخصصية والجامعية، وتقوم هذه اللجنة بوضع الدراسات وإعداد البحوث التي من شأنها الارتقاء بهذا العمل المشترك من أجل رفع هوية الطالب العلمية ودمج الهوية بين المدرسة والجامعة.



إعاقة طفل



كل الأطفال ..

يجرون ... يمرحون ...

ترى .. هل أستعيد عافيتي !!!

(الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين)

مع تحيات وزارة



AL MANHAL

مجلة الممرح الأدبية

تسعى عن دارة المنهل الصحفية والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رقم بريدي ٢١١٦١ من جـ ٢٩٢٥ ت : ٢٤٣٩١٢٥ فاكس : ٢٤٣٨٨٥٣

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلد / فاخرًا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤

لجبي الثقافة والمقتني المجموعة
عرض خاص

يتمدد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
أرغب في الآتي

اشتراك سنوي (١٥٠) ريالاً .

(٢) سنوات (٤٠٠) ريالاً مع الإصدارات .

(٥) سنوات (٥٥٠) ريالاً وكتاب شذرات الذهب .

وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة .

(أ) شيك (ب) حوالة بنكية

فضلاً
تفنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)

مبلغ رقم بتاريخ

الاسم : _____ العنوان : _____
القطر : _____ المدينة : _____ المنطقة : _____ شارع : _____
بناية رقم : _____ شقة رقم : _____ ص ب : _____ رمز بريدي : _____
تليفون : _____ فاكس : _____ تليكس : _____

حاله من حاله

مجلة العرب الادبية



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٢٤٣٢١٢٤ فاكس : ٢٤٢٨٨٥٣



الإشتراك السنوي

مبلغ (١٥٠ ريالاً)

للإشتراك السنوي للأفراد تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) .

مبلغ (٤٠٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٢) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب ،
وديوان الانصاريات ، ورواية (التوامان) .

مبلغ (٥٥٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٥) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب .

شاملة
رسوم البريد



الأثر والأثر
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



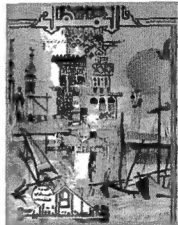
الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



الإبداع والبدع
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ أبريل ومايو ١٩٨٩ م



العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ أبريل ومايو ١٩٨٨ م



النقد والتقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ أبريل ومايو ١٩٩٣ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ أبريل ومايو ١٩٩٢ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

حاز البنك الأهلي التجاري على جائزة "يوروموني" لأحسن بنك في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٨م

- أكبر وأقدم بنك وطني في المملكة العربية السعودية.
- شبكة تضم ٢٤٥ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء المملكة.
- ٤٨ فرعاً متخصصة بالخدمات المصرفية الإسلامية.
- ٣٣٠ جهاز "الأهلي لكسبرس" للصرف الآلي.
- ٤٣٠٠ نقطة بيع إلكتروني في منافذ البيع.
- حصة نسبتها ٣١% من معاملات بطاقتي فيزا و ماستر كارد في المملكة.
- شبكة تضم أكثر من ٦٠٠ بنك مرسل في أكثر من ٧٠ بلداً.
- يقوم البنك بتنفيذ نحو ٢٥% من نشاطات قطاعات الإعتماد بالمملكة.
- يضم البنك أكبر وأحدث غرفة تداول في الشرق الأوسط.
- أكثر من ٣٠ صندوقاً استثمارياً تمثل مأسبته ٦٠% من السوق السعودي لصناديق الإستثمارات المقترحة.
- يدير البنك صندوق متاجرة بالأسهم العالمية بعد من أكبر صناديق الإستثمارات المشتركة لتي تتقيد بتعليمات للشريعة الإسلامية وذلك بما قيمته ١,٧ بليون ريال سعودي.